
يسقط هتلر

الغلاف / هانيبال – هيو

الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠١٠

ISBN: 978 – 977 – 6299 –59-15



وكالة سفنكس

٧ شارع معروف الدور السابع

وسط البلد – القاهرة

ت/ف: ٠٠٢ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨٦٥

www.sphinxagency.com

info@sphinxagency.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر، ويحظر نشر أو اقتباس هذا العمل أو أي جزء منه بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات دون إذن كتابي من الناشر، ومن يخالف ذلك يتعرض للمساءلة القانونية

Sphinx Agency © 2010

obeikandi.com

يسقط هتلر

إعداد

كارولا شترن

إنجه بروديرسين

obeikandi.com

شكر لجميع من ساهم في ترجمة هذا العمل وهم:

أميرة أحمد، إيمان نافع، خالد طوبار، رشيد شراك،
سلمى صالح، طارق عبد الباري، عبد السلام حيدر،
هاني غانم.

صدر العمل الأصلي عن دار نشر إس. فيشر في ألمانيا
S. Ficsher Verlag
باعتوان Eine Erdbeene für Hitler

تم دعم هذا الكتاب من مشروع Litrix.de
“The publication of this work was promoted
by funding from Litrix.de, a project initiated
by the federal cultural foundation, Germany,
in cooperation with the Goethe Institute and
the Frankfurt Book fair”

obeikandi.com



فاكهة هتلر

لقد تنثى لي زراعة نوعا جديدا وقيما من فاكهة الفراولة،
وبشرفني باسم مستشار الدولة أن أتقدم لكم بطلب تسمية
هذا النوع الجديد من الفاكهة بـ "فراولة هتلر"، لأنه هناك
أيضا نوع من الفراولة يسمى "فراولة هنديةنبورج"

من خطاب "برونو كوخ" أحدي مالكي بساتين الفاكمة من
منطقة مالينته- جريمسولين إلى المستشار هتلر بتاريخ ١
أغسطس عام ١٩٣٣.

المحتوى

إنجه بروديرسين

<< شجاعة وحسن خلق >>

"تمهيد"

يحكي هذا الكتاب عن صعود وانهيار النازية والتي تعني "الاشتراكية الوطنية"، يحكي الكتاب عن الحرب وعن اضطهاد وإبادة البشر وعن عام التحرير عندما انهزم "الرايخ الثالث" في النهاية.

تعد هذه الحقبة في حد ذاتها تاريخًا، ولكنها أيضًا حقبة زاخرة بالقصص التي يمكن أن يتعلم منها المرء، قصص عن أشخاص شاركوا فيما كان يفعله النازيون لأنهم كانوا يستفيدون من ذلك، وعن أشخاص آخرين جازفوا بحياتهم لكي يساعدوا أناسًا آخرين، وكثيرًا ما كان هؤلاء أبطالاً صامتين لا يكاد أحد يعرف أسماءهم.

من هؤلاء على سبيل المثال هيلتجونت تسازينهاوس، التي عندما سألت لماذا فعلت ما فعلت، قالت: "بدافع الإنسانية وحسن الخلق"

هانس مومسن

<< دولة القائد >>

حول نشأة نظام ديكتاتوري

كثيرًا ما كان أدولف هتلر زعيم النازيين أو الاشتراكيين الوطنيين،



الذي طالما وُصف بالحزم، كثيرًا ما كان مترددًا.

وبسبب هذا التردد فشلت محاولته لإسقاط جمهورية فايمار البرلمانية البغيضة في نوفمبر من عام 1923. إذ حُكم عليه بالسجن في أحد الحصون لمدة أربعة أعوام بسبب ما سُمي "بانقلاب هتلر"، لم يقض منها في الحبس سوى بضعة أشهر.

استغل هتلر هذه الشهور في كتابة سلسلة مذكراته المعروفة باسم "كفاحي" ولم تنتقض عشرة أعوام من ذلك التاريخ حتى صار ما صار، ففي الثلاثين من يناير عام 1933 تم تعيين أدولف هتلر مستشارًا للرايخ الألماني. وقد آزره الكثير من المحافظين إذ أنهم كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون أن "يروضوا" الاشتراكيين الوطنيين وأن يستغلونهم لتحقيق

أغراضهم الخاصة. إلا أن هتلر وأتباعه - بدءاً من هيرمان جورينج الذي كان يعمل طياراً مقاتلاً ومروراً بمسئول الدعاية جوزيف جوبلز حتى هاينرش هيملر الذي صار فيما بعد قائداً لسرب الدفاع التابع لزعيم الرايخ - جعلوا من ألمانيا خلال عدة أشهر دولة زعيم ذات نظام ديكتاتوري.

هيلكه لورنتس

<< في رحلة مع القائد >>

كيف غزا النازيون الحياة اليومية؟



كان كارل وأنيدوره وماريانه أطفالاً عندما وصل الاشتراكيون الوطنيون إلى السلطة، إلا أن عام 1933 كان يمثل بالنسبة لهم أيضاً بداية عهد جديد . مارشات عسكرية في الخلاء، أمسيات السمر في النوادي، معسكرات صيفية، احتفالات ببلوغ الشمس ذروتها في فصل الصيف... كان هناك دائماً ما يشغل الشباب الذين كان ينبغي عليهم وفقاً لإرادة زعيمهم أن "يفكروا تفكيراً ألمانياً وأن يتصرفوا تصرفات ألمانية."

كانوا هم المستقبل، كانوا ينشدون أناشيءًا عسكرية، وتعلموا التحية الألمانية، كما تعلموا التفرقة بين "جنس السادة" و"سفلة الناس" وعلى الرغم من هذا: فالشخص الذي أحدث شرخًا في الصورة التي كونتها أنيدوره عن العالم، كان بالتحديد أسيرًا روسيًا من "سفلة الناس" يعمل بالسخرة . لقد استطاع أن يحطم حاجز القسوة الباردة الذي كانت "فتاة هتلر" المؤمنة تمامًا بهذه المبادئ ترى العمال الأجانب "أعداء" يجب الانتصار عليهم.



ميريام برسلر

<< جنة ونار >>

من لايبزيغ إلى تيريزنشتات

كانت قد أتمت لتوها ١٤ ربيعًا، وكانت تستعد للهجرة إلى فلسطين، لأن أختها الكبرى هيلينه كانت قد هاجرت إلى هناك بالفعل.

ولكن بدلًا من أن تأتي إلى فلسطين ذهبت هانيلوره - وهي فتاة يهودية من مدينة لايبزيغ وقد صار اسمها الآن "هنا" . إلى كوبنهاجن ومنها إلى جزيرة فونين. كان على "هَـنّا"

أن تعمل وتكد ولكنها كانت تشعر بأنها آمنة من إرهاب النازيين حتى حدث ذات يوم أن تعالت أصوات بندقيات رجال سرب الدفاع على بابها والوقت لا يزال فجراً لتؤخذ "هنا" إلى معسكر اعتقال تيريزنشتاد.



أورزولا فولفل

"لماذا يجب أن يقتل الجندي؟"

أيام حرب ولىال انفجارات

لم تأت الحرب فجأة. بل بعثت بمفرداتها وكلماتها أولاً، كلمات مثل "التجنيد الإجباري" و"القتال" و"الدفاع الجوي".

كان هانيس هوبر قلقاً على زوجته وأطفاله وشارك معه سكان البناية في بناء مخبأ للاحتباء من الغارات الجوية، قال أنه مخبأ للحماية يمكنهم أن يحتموا به جيداً.

حينئذ كانت لا تفصلهم عن الحرب سوى بضعة أعوام، إلا أنها وصلت في وقت ما إلى هذه البناية السكنية التي تقع على أطراف مدينة صغيرة بين دويسبورج ودينسلاكن في ألمانيا - انضم أرنولد، ابن إريش أحد معتقي مذهب الديمقراطيين الاشتراكيين - إلى سرب الدفاع إلا أنه مات في نهاية الحرب.

أما رالف وهو ابن أوتو شमित مراقب أو مخبر مجموعة البنايات في المنطقة - فكان يراقب بفرع الإرهاب، الذي كان يمارسه سرب الدفاع على الشعب الروسي، وكان فولفجانج الذي اضطر لخوض الحرب ضد بولندا ضمن سرية مكونة من الطلبة وأصيب خلال ذلك إصابة خطيرة، أول ضحايا الحرب في هذا البناية السكنية.



هيرمان فينكه
"لا تقل أن هذا من أجل
الوطن"

عن أناس أبدوا المقاومة

لقد حذره الأصدقاء، إلا أن كارل فون أوسيتسكي ناشر المجلة السياسية "الساحة العالمية" قرر أن يخلد مرة إلى النوم.

ففي ليلة 28 فبراير 1933 أُلقي القبض عليه ثم أخذ بعد ذلك إلى معسكر الاعتقال إستيرفيجن. غير أنه تم إطلاق سراحه مرة أخرى عام 1936 بسبب الاعتراضات الدولية، غير أنه كان قد صار عندئذ رجلاً مريضاً أنهكه المرض بشدة.

لم يكن كارل أوسيتسكي هو الوحيد في "الرايخ الثالث" الذي دافع بشجاعة عن قناعاته الديمقراطية؛ إذ كان هناك هؤلاء الناس الذين قاوموا حتى بذلوا أنفسهم وأرواحهم في سبيل ذلك، منهم على سبيل المثال النجار جيورج إيلزر الذي عكف على مدار ثلاثين ليلة على صناعة قنبلة في بدروم أحد البارات الشعبية بمدينة ميونخ إلا أن هتلر غادره قبل الوقت إلى أن كان مخططاً له، أو القسيس مارتين نيموللر الذي حبس في معسكر اعتقال زاكسنهاوزن "كسجين شخصي للزعيم"، أو المناضلون البلجيكيون الشبان الثلاثة

الذين أوقفوا في أبريل من عام 1943 أحد قطارات الموت
المعبئة بالمقبوض عليهم وهم في طريقهم إلى معسكر
اعتقال "أوشفيتس"، وأنقذوا بذلك حياة 231 شخصًا.



هارتموت فون هينتج

1945

عام التحرير

لماذا استمر الألمان في القتال في الشهور الأخيرة من هذه
الحرب الجنونية بينما كان العدو قد توغل في البلاد؟ وكأن
"النصر النهائي" لهتلر يمكن تحقيقه من خلال الطاعة
وأداء الواجب والصمود؟ الأمل الوحيد الباقي لهم هو ألا
يذهب المرء ضحية أحد التفجيرات أو ألا يضبط بعد ذلك
بوصفه هاربًا من الجندية. " في معسكرات الاعتقال
الضخمة كان لدى ملايين الجنود فرصة لكي يمنعوا التفكير
في هذا الأمر، بينما كانت القوى المنتصرة تجهز في
المناطق التي احتلتها نظام الحياة الجديد. تشكلت في
نورنبرج بعد هزيمة ألمانيا محكمة دولية أدانت مجرمي

الحرب الكبار الذين أدرك الكثير من الألمان في ذلك الوقت لأول مرة بشاعة ما ارتكبوه ، إلا أنهم في نفس الوقت لم يرغبوا في تصديق ما حدث.

وبدأت عملية التحويل التربوي - ليس فقط بالمشاهد المفزعة والعقاب والحرمان من العمل. وإنما بدأت في المقام الأول بأن تعين على كل شخص أن يراقب نفسه بينما يتعامل مع النتائج: بدون سلطة عليا وفي جو من الحرية. كان الانهيار شاملا ومن هنا نشأت الفرصة.

كارولا شتيرن

<< الكراهية تنشأ عن طريق خلق صورة للعدو

>>

خاتمة

كان الجميع في هذا المكان الصغير على جزيرة" أوزه دوم " يؤيدون " القائد . "كانت الأم تؤيده، وكذلك أيده القس والمعلم في المدرسة وحتى الأجانب كان يبدو أنهم يؤيدونه - كما قام أمير ويلز بزيارة هتلر في " قصر الجبل"، ورفع أعضاء الفريق الفرنسي أيديهم أثناء دورة الألعاب الأولمبية في برلين تحية لهتلر.

قبل النازيين بوقت طويل كانت الصور الذهنية للعدو موجودة ومتمثلة في "الشيوعيين" و "اليهود"، والأحكام التعميمية تخلق مناخًا مناسبًا لظهورها بشكل فعلي، ومن خلال هذه الصور تنشأ الكراهية والكراهية تؤدي إلى إحماء العنف.

obeikandi.com

إنجكه برودرز

<< شجاعة وإقدام >>

مقدمة

عندما يقول شخص من تلقاء نفسه: أنا الأقوى، وأنا الأشجع، وأنا فوق الجميع... فسينفر منه كل من يسمعه، بل وسيحرجونه. فالناس لا تحب المغرورين. ولكن عندما يقول "نحن" بدلا من "أنا" حتى يستقطب الآخرين - كأن يقول نحن الأقوى والأفضل ونحن "أسياد الآخرين" فسيسمعه الآخرون وبكل سرور. ويحدث هذا الأمر بالفعل لاسيما عندما لا يجد الناس عملا أو غذاء كافيا بل وتصبح حياتهم مثل كومة الحطام. فإذا ما صارت أحوالهم على ما يرام ، فاعلم أنهم على استعداد لتصديق من يعدهم بانتشال بلادهم من أزمتها. حينئذ تدق نواقيس الخطر. ووقع ذلك بالفعل حينما تمثل هتلر للألمان في صورة محقق الآمال. فقد وعدهم بتحريرهم مما أطلق عليه "العار القومي المشين" الذي لحق بهم جزاء توقيعهم "معاهدة السلام في فرسايلى" إبان الحرب العالمية الأولى. كما وعدهم بإعادتهم لوظائفهم، وقضائه على "المشاحنات بين الأحزاب"، وإقامة "وحدة شعبية" حقيقية.

وقد لاقى ذلك استحسانا لدى الألمان الذين اعتراهم شعور بأنهم انضموا لقائمة خاسري التاريخ: فهم خسروا الحرب العالمية الأولى وفقدوا إمبراطورهم، كما أنهم حصلوا لأول مرة على خبرات في حكم جمهورية فايمر وفي الديمقراطية. ومن المؤسف أن كل تلك الأحداث لم تقنعهم أن الديمقراطية غير مستقرة. ويظهر ذلك جليا داخل الأحزاب التي كانت ينبغي أن تحمي الديمقراطية. لكنها لم تكن ديمقراطية في أغلب الأحيان. فبعض الأحزاب كانت تساند هتلر اعتقادا منهم أنهم يستغلوه في قضاء مطالبهم الشخصية. كما أملت أحزاب أخرى في أن يتحول هتلر إلى رجل دولة جاد عندما يصبح مستشارا لحكومة الرايخ الألماني، كما اقتنع كثيرون بأن شبح النازية في طريقه إلى الزوال.

ولم تلق الديمقراطية ترحيبا في ألمانيا في ذلك الوقت. فقد اعتاد الناس أن يختار لهم ذوا السلطة "الأعلى منهم" ما الذي يفعلوه وماذا ينتهوا عنه. وبطبيعة الحال كان من المفترض أن تقوم الجمهورية ذات السلطة البرلمانية على

اتفاق الأغلبية على ما يجري دخل الدولة. كما كان من المتوقع أن تشهد البلاد احتدام الخلاف حول تحديد الصواب من الخطأ، بالإضافة إلى جدال مطول بهدف التوصل إلى نتيجة. لكن كثيرين رأوا أن البرلمان مجرد "مجلس للثرثرة"، حيث يسوده "كلام لا يؤدي إلى فعل". وبالرغم من أن الطريق إلى الديمقراطية ليس هينا، إلا أن العالم لم يعرف نظاما أفضل منه يحكم الدولة ويمنح الحرية ويضمن تطبيقها حسب الحق والقانون. وتكمن أهمية الديمقراطية في أنه في حال عدم تطبيقها، يسود الإرهاب الأعمى.

وفي الحقيقة لم يطبق النازيون الحق أو القانون، بل أنهم كانوا يسخرون منهما. كما وضعوا قانونا خاصا بهم، حيث ساندتهم كثيرون في تحقيق ذلك. وفي هذا الكتاب يلقي المؤرخ هانس مومسن الضوء على مساندي النازيين في الوصول للقمّة. وقلما وصل النازيون الحاسمون إلى السلطة وقلما أحسنوا استغلالها، حتى صنعوا من ألمانيا دكتاتورا في غضون عدة أشهر.

وهكذا برع النازيون في تحقيق السياسة الازدواجية: فمن ناحية وجهوا الإرهاب والعنف ضد الديمقراطيين الاشتراكيين، والشيوعيين، واليهود، وضد كل رافضي الانضمام إلى سياستهم النازية. ومن ناحية أخرى اهتموا بكسب تأييد الآخرين لسياستهم. فقد حصل الناس على فرص عمل مرة أخرى، بجانب قسط من الرفاهية، كما منحهم هتلر الثقة بالنفس. وتعكس العبارة المشهورة "ألمانيا: ثمرة الفراولة الخاصة بهتلر"، بالإضافة للخطابات الغرامية الموجهة لهتلر مدى الإعجاب بشخصية هتلر والذي وصل إلى درجة هستيرية أحيانا. وتعد فئة الشباب هي أكثر الفئات التي اهتم هتلر باستقطابها. فقد أنعم على الشباب بفرص جيدة للترفيه كالألعاب التي أقيمت بالمعسكرات، ومسيرات العروض العسكرية، ومعسكرات الخيام، والرحلات المنظمة أثناء الأجازات. وها هي هيلكه لورنر تحكي لنا كيف كانت الحياة الجماعية مثيرة.

ولم تكن عبارة "مجتمع الشعب" التي سادت في ذلك الوقت: إلا وهم خادع، لأنها لم تقصد كل الشعب بالفعل. وهذا ما عايشته الفئات اليهودية هانيلوري من مدينة لايبزج - كما

تروي لنا مريام بريسلر. فقد هربت تلك الفتاة إلى الدنمرك لكن الألمان قاموا باحتلال تلك الدولة الصغيرة المحايدة وإحضار الفتاة اليهودية هانا إلى ألمانيا واعتقالها بمعسكر تيرزينشتات. وكانت محظوظة أنها نجت بعد أن أنقذها الصليب الأحمر السويدي بفترة قصيرة.

وبلغت محصلة اليهود الذين قتلوا في غضون سنوات ذلك الحكم الغاشم ملايين الأشخاص من بينهم حوالي مليون ونصف طفل. "ولم يكن كل ضحايا النازيين يهودا فقط " وذلك حسب قول الناجية المشهورة إلي فيزيل. وأضافت: "لكن كل اليهود كانوا ضحايا".

وكان من بين الضحايا أيضا ملايين الغجر والرومان والذين تمت مطاردتهم كما جرى مع البولنديين والروس. وقد زاد هتلر من أعداد المناطق المجهزة لمعيشة الأسياد الألمان الذين كان يقوم المنحدرون من دول " أوروبا الشرقية " بخدمتهم كعاملين بالسخرة. وهكذا شن هتلر حربا بعد أخرى. وتحكي لنا أورزولا فولفل كيف عايش الحرب

قاطنوا بيت بالإيجار على مقربة من مدينة دوزبورج. كما تسلط الأضواء على "الشرارة الأولى للحرب"، والحياة داخل القبر الخاص بالدفاع الجوي، علاوة على خطابات المراسلة في ساحة القتال و ليالي القنابل. ولم ينج كل قاطني البيت. وقد انضم إبريش أثناء سنوات الحرب إلى ما أطلق عليها "العاصفة الشعبية" وحاول مداواة جراحه حيث كان من البداية من المناهضين للنازية.

ورغم أحداث الإرهاب والحرب كان هناك البعض الذي لم يصرف نظره أو سمعه عن الأحداث بل راح يبيد المقاومة. ويروي لنا هيرمان فينكه عن مجموعة "أنكل إيميل" التي ساندت المواطنين اليهود المطاردين، وعن الناقد الصحفي والناشر كارل أوسيتسكي الذي تردد في مغادرة ألمانيا بالرغم من تحذير أصدقائه له. وقد قبضت عليه المخابرات، وتظاهر كثيرون ممن يعيشون بالخارج منددون بحبسه. وعندما تم الإفراج عنه من معسكر الاعتقال كان مريضا مرضا شديدا.

وقد قاوم الألمان ببسالة وإقدام حتى وقعت النهاية الأليمة، وذلك بعد اضطروا للاستسلام في مايو من عام ١٩٤٥، حيث كان الدمار يخيم على ألمانيا. في هذه الأثناء كان هارتموت فون هينتيغ قد وصل إلى رتبة ملازم ثاني حيث قبض عليه الأمريكان وحبسوه بعد الحرب في أحد المعسكرات لعدة سنوات. وفي معسكرات الاعتقال كان الأمريكان يرغمون الألمان أن يشاهدوا ما فعلته حكومتهم في حق ملايين من البشر. فمن يزيد عمره عن ١٨ عاما كان عليه أن يملأ استمارة استفتاء حول حسابات تتعلق بالأعوام المنصرمة. وهكذا فهم يعلمون الألمان بأسلوب جديد. وهو ما اشعر الكثيرين بالإهانة بل جعلهم لا يتحدثون عن قوات الاحتلال بأسلوب جيد. وحتى بعد الحرب بفترة طويلة لم يكن معظم الألمان مستعدين أو حتى قادرين على الإفصاح عن الأحداث التي ألمّت بهم خلال حقبة "الرايخ الثالث". والأسباب كثيرة: فإما أنهم رأوا مناظر مفرزة أرادوا نسيانها بسرعة شديدة، أو لأن بعضهم كان يخجل أنه شارك في تلك الأحداث المفرزة. بالإضافة لذلك لم يدرك كثيرون مدى الظلم الذي شاركوا فيه. ورأوا أنهم وقعوا فريسة للخداع ، حيث لم يعلموا شيئا عن معسكرات

الاعتقال، وعن جرائم اغتيال اليهود والغجر وغيرهم. ولكنهم كانوا على علم باتخاذ بعض الإجراءات: مثل تعليق يافطات عند المحلات مكتوب عليها "اليهود غير مرغوب فيهم"، كما تم تسريح الغير آريين" من الوظائف الحكومية، وفصل الأكاديميين "اليهود" من الجامعة. أما جيرانهم الألمان الآريون فكانوا إما مساهمون في طردهم من المجتمع بشكل ملحوظ أو أنهم تعاملوا معهم بأسلوب سلبي ليستفيدوا من ذلك.

ولم يبدأ النقاش العلني بين أوساط الرأي العام فعليا إلا عندما شرعت الأجيال الصاعدة في طرح أسئلة على آبائهم وأجدادهم. وفي أحيان كثيرة أرفقوا الأسئلة بشكاوى وانتقادات، الأمر الذي لم يؤدي إلى نقاش مجدي في أغلب الأحيان. ولكن مع كل ذلك كانت ألمانيا تتجه تدريجيا إلى الديمقراطية المستقرة.

وتكمن أهمية هذا الكتاب الذي نحن بصده الآن في أن الفرق بينه وبين كتاب تاريخ آخر يتسم بالجمود والجفاف أن مؤلفي هذا الكتاب قد عاصروا حكم "الرايخ الثالث". كما لعبت الخبرات التي اكتسبوها أثناء تلك الفترة دورا حاسما

في حياتهم بعد ذلك. لأن من يتمعن في هذا العصر يدرك أنه لم يكن مجرد تاريخاً فحسب، بل أنه تاريخ مليء بالأحداث والقصص التي يمكن أن نتعلم منها. فهي قصص تدور حول صنفين من الأشخاص: الصنف الأول شارك في الأحداث من أجل مصلحته الشخصية فحسب، والصنف الثاني خاطر بحياته ليساعد أناساً آخرين. ويتسم الصنف الثاني بأنهم أشخاص غير معروفين. ونذكر منهم على سبيل المثال الأخوة شول، الذين قاموا بتوزيع منشورات مناهضة لهتلر وللحرب وذلك في جامعة مونشن، مما أدى إلى إعدامهم. وفي أغلب الأحيان كان هذا الصنف من الأشخاص أبطالاً مجهولين. ومن أمثال هؤلاء هيلتجوند تسازينهاوس، التي طلبوا منها أن تقوم بالقضاء على خطابات أرسلها مساجين يهود إلى أهلهم. ولكنها لم تنفذ تلك الأوامر، بل على العكس من ذلك: فقد اهتمت بإرسال تلك الخطابات إلى العناوين الصحيحة. لكن المخابرات كشفت أمرها وتلقت أوامر بالقضاء عليها. وعندما سؤلت بعد سنوات عن الأسباب التي دفعتها للقيام بذلك، أجابت: "إنه واجب إنساني. فكل إنسان تأتي له الفرصة لإبداء الشجاعة والتشبث بالمقاومة".

obeikandi.com

برلين، يوليو ٢٠٠٤.



هانز مومسون << دولة

>> القائد

حول نشأة نظام ديكتاتوري

في إحدى غرف ميونيخ الخلفية لتصنيع البيرة المحلية،
أسس أنطون دركسل - صانع الكوالين - حزب العمال
الألماني سنة ١٩١٩.

ولم يتوقع أحد أن مجموعة من صغار الطبقة السفلى من
المجتمع سوف يقودون الزعامة في ألمانيا، بكل هذا
الحماس والانتحارية الرهيبة.

وصل أدولف هتلر في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ إلى الحكومة
وتربع على الكرسي البرلماني على حكومة فيمار
الديمقراطية كديكتاتور لا يحده حد.

وقد تمت مناصرة دركسل من المجتمعات البرجوازية باتصالات سرية، بعد تنازل القيصر فيلهالم الثاني في ٩ نوفمبر سنة ١٩١٨ استلم دركسل وأعوانه الحزب الديمقراطي تحت ضغط حزب العمل الذي فرض نفوذ التطرف على جميع ألمانيا.

في ذات الوقت كان أدولف هتلر مختبئاً في تكعات الجيش الألماني البفاري في ميونيخ.، وكان محتاجاً إلي مساندة الشعب الوطنية، وكانت هذه المساندة من أنطون دركسل في عمل مشترك بواسطة الجيش الألماني (الرايخ). كانت فصاحة هتلر وموهبته الخطابية، هي المتحدث الرسمي لحزب دركسل، وجذب الجمهور إليه، وتأسس البرنامج الذي تكون من ٢٥ نقطة (شعبية)، وهذه النقاط تتبلور في تلك النهاية التي أدت إلي الحرب العالمية الأولى، والتي خسرت فيها ألمانيا الحرب منفردة والتي حجزتها عن رأس المال الكبير وأعطت وعوداً للاتحاد الشعبي والعمال وصغار الناس لتكوين اتحاد حقيقي.

ومن ضمن النقاط الأساسية والحيوية لهذا البرنامج، هو منع كل اليهود (حتى من كان منهم أصل ألماني) منعاً باتاً في فرص العمل ومنافذ الرزق في ألمانيا.

وقد أدت هذه النقطة الحساسة إلى اختلاف الرأي، وعدم الموافقة على ذلك بين جماعة الثورة وكيف يتم إعلان ذلك. (معاداة اليهود ووضعه كنص صريح في القانون المدني.)

في فبراير سنة ١٩٢٠ تم ضم حزب العمل الوطني إلى حزب العمل الألماني الاشتراكي، ولكن هتلر داس بجماحه على قوانين حزب العمل الصغيرة لأنها تتناسب مع حزب العمل الألماني.

وبالرغم من هذه الطموحات الجامحة لهتلر إلا أن دركسل الذي قدمه من قبل إلى حزب العمل. وجد أنه رغم كل هذا التمرد إلا أنه مفيد للحزب .

وقد حدثت خلافات كثيرة بين دركسل وأفراد جماعة (الشظايا) والرغبة في جمع شمل اتحاد عام للعمال سنة ١٩٢١.

بدأ هتلر في جمع شمل الطبقات الراقية والبرجوازية أمثال (ماكس أمان) (وهارمان آسر) (ورودولف هتس) من مجتمع (التوهل) وقد رأى دركسل أن يجيب مطالب هتلر الملحة، وأن يجعله قائداً، وإعطائه شرف توصيل الرسائل، وتحديد الأهداف المطلوبة، وقد ظهرت على هتلر بعد توليه

هذا المنصب، كل صفات الدكتاتور الذي طبق الدكتاتورية بكل شروها، ليس هناك انتخابات أو رأى معارض، فكل القرارات مصدرها الأساسي مركز الاتحاد، وبالطبع كان التشدد في القرارات، هو القضاء التام (وأبادتهم) على اليهود، وكل العناصر والجنسيات الأخرى الغير ألمانية، وكان يضع كل النظم والقوانين الصارمة التي تحمى أهدافه، ولا تجعلها عرضة لمهب الريح، ومعظم هذه القوانين الخمسة والعشرون مؤداها وهدفها الأساسي القضاء على اليهود واليهودية وكان الستار الشرعي لتنفيذ، وتحقيق الأهداف هو:

حزب العمل الألماني الاشتراكي الذي منحه السلطة الشرعية، والسياسية التي تجعله في صف أعلى مكانة من الطبقات الراقية والبرجوازية. مما يحقق أهدافه كما يحلو له. وخلاصة هذه الأهداف التي من أجلها حارب حتى يصل إلي السلطة، وهى القضاء على الشيوعيين، والبرلمانيين، ومجرمي نوفمبر في سنة ١٩١٨.

"مجرمي نوفمبر"

وهم الذين وقعوا اتفاقية مع اليهود. (تم سبهم من قبل السياسيين)

وكذلك فهم متهمون بأنهم الجيش الألماني المهزوم، والذين طعنوا السياسة الألمانية بخنجر الغدر، والحقد لكل نائب سياسي وكذلك الشعب والجمهور الألماني (فيمر).

لم يهدأ هتلر بعد فوزه في الانتخابات بعد في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩٢٢. ولم تشبعه المحارق والإهانات التي كان يشعلها في أجساد الأطفال، والنساء، والرجال اليهود، ولم يستطع أحد أن يجمع جماعه، لقد طاش هتلر وسَخَّر أكثر من ٥٥٠٠ فرداً من أفراد بايارن لزيادة القوة والطاقة التي تشعل وقود المحرقة لليهود، وتقضى على الأبرياء من الألمان وحرمانهم من أسرهم وأمنهم.

وبدأت تلوح لهتلر ألوان أخرى، وفنون من الحرب، والتدمير التي كلما زادت قال لها: هل من مزيد؟

وكانت فتوحات وانتصارات (نابليون بونابرت) و(مسياس الُور) تُخايله، وكأنه يتحداهم ويقول لهم:

ليس هناك من يستطيع أن يُمثلني في قوة الشر، والقتل، والقضاء على الأبرياء.

وقد وجد مستشار الرايخ الألماني جوستاف شترسمان أن عليه تحريك دورة التوتر ضد جمهور (الفيمر) لصالح المكانة الفرنسية، كذلك فإن حزب اليسار الوزاري في (ساخسن) (وتورينجان) الذين يحاولون جاهدين منع بيع ألمانيا، والنوريين الذين يتحججون بنقل السلطة التنفيذية لجيش الرايخ لذلك قرر الجنرال (فون سيسكت) بمشروع انقلاب، وكان من الواجبات المكلفة (للبرجين) والربط بينهم وبين باقي الجهات التنفيذية.

جائزة نوبل للسلام

حصل (جوستاف شتسيمان) الذي أسس الحزب الوطني الألماني، والذي أصبح مستشار. الرايخ الألماني سنة ١٩٢٣ لمدة قصيرة، ثم أعيد إلي الحزب وأصبح وزيراً للخارجية حتى وفاته سنة ١٩٢٩، وقد قام بمجهود كبير لحل المشاكل الألمانية الخارجية التي تسببها الحرب العالمية الأولى، وقد ترفع من أجل كل المساعي الممكنة

لتحسين العلاقات الألمانية الفرنسية، والتي للأسف تم حلها مرة أخرى بسبب هتلر سنة ١٩٣٣.

وفي سنة ١٩٢٦ حصل على جائزة نوبل للسلام، وقد حصل هتلر على المال بواسطة اتحاد العمال، وبالطبع كان من نصيب هذا المال التخطيط للهروب والاستيلاء عليه، [ولأن كل قوانين الحكومة، وعلي الشعب أيضاً الاعتراف بالذات (الأننا)، وقد روجت أجهزة الإعلام الألمانية لهتلر على أنه المنقذ لألمانيا من الكساد الاقتصادي والحركات الشيوعية وخاصة الخطر اليهودي، وكان من ضمن المساندين له في هذه الحركات (فون كار) في الثامن من نوفمبر، والذي كان يتزعم كسب ثقة المعارضين، وتسخيرهم لأهداف هتلر الوحشية.

وكانت ألمانيا مقسمة إلى ولايات يتزعمها ممثل ومتحدث رسمي باسم هتلر، وحزب العمال الألماني الوطني، هذا بالإضافة إلى بث روح الشك والجاسوسية بين أعضاء البرلمان، وبعضهم البعض، أو ما يسمى بالبوليس السري (الجستابو) للإرشاد عن أي خائن يتمرد على الحكم النازي، وقد كان من السلطة التنفيذية الجنرال أوتو فون لوسوق

ورئيس البوليس السري هانس فون سيستر، ومن أسوأ ما كان يتبعه هذا النظام ما يسمى بزوار الليل. وقد قام هتلر وأعوانه بانقلاب عسكري في التاسع من نوفمبر بحريق لم تشهده ألمانيا من قبل وحرب بين البوليس السري واليهود بمساعدة شعب بايارن. في حين هرب هتلر، واختبأ بقرية لوندورف بفيلا أريخ هانفرتاينج، ولم يهدأ هتلر، لما حدث من انقلاب وحريق فليس هدفه هو محاربة الثوار والانقلابات، هناك هدف آخر أكثر شراً.

(جوتسي)

هو صاحب دار النشر للفنون وصديق هتلر الذي كان يرشده عن كل المعلومات و التفاصيل، وقد كان برفقة هتلر في خطاب ميرنيخ، ثم أصبح وزيراً للخارجية وفي سنة ١٩٣٧ هرب إلي انجلترا وأرشد الأمريكان

بكل تفاصيل الحرب النازية والمداخل النفسية لسير هذه الحرب.

وكان هتلر يعشق الجمل الخطابية الرنانة، والوعود البراقة التي تجذب إليه الجمهور، وهذا ما فعله لزيادة كسب القاعدة الشعبية، واتخذ حزب العمال الألماني الوطني الصليب المعقوف شعاراً له، وتبنى التحية الرومانية التي تتمثل في مد الذراع إلي الأمام.

وعمل على زيادة كسب الود الشعبي من خلال وسائل الإعلام، والسيطرة الكاملة على كل الأجهزة المعنية للدولة، وكذلك كانت وزارة بايارن تحت قبضة جوستاف فون كار. وكذلك رئيس حركة الانقلاب أريخ لوندورف الذي ساعد هتلر على التملك والتحكم التام في الشعب الألماني، وكان رودولف هس كاتب كل التقارير، والبيانات التي يلقيها هتلر وكانت تحت عنوان (معركتي الخاصة) التي حولت الشعب الألماني إلي الإحساس بأنه الشعب الأرى صاحب العزة الذي ليس له مثيل.

(الرجل الثاني للقائد)

(فاندي) هكذا كان يلقب رودولف هيس أدولف هتلر. وقد فوضه هتلر في كثير من الأمور السياسية، وملكه قبضه تحقيق الدمار والقتل الذي أدى إلى خراب العالم في عام ١٩٣٣. أثناء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١ سافر إلى بريطانيا وأوشي بهتلر وفضح مذكراته اليومية وخطته وهكذا استغل الرجل الثاني هتلر بجنونه ويعتبر هس من المنشقين عن الحرب بوقاحة، من وجه نظر لعبه السياسية، وقد توفي بعد ٤١ سنة من الحرب منتحراً سنة ١٩٨٧ .

وقد عُرف هتلر بنشاطه و أهتمامته السياسية من النمسا، وفي فيينا تحديداً تأثر أدولف هتلر كثيراً بالفكر المعادى للسامية؛ نتيجة تواجد اليهود بكثرة في تلك المدينة، وقد دَوَّنَ هتلر في مذكراته مقدار كرهه لليهود بشكل عام.

وقد انضم هتلر إلى دورات معدة من قبل إدارة التعليم، والدعاية السياسية هدفها إيجاد كبش الفداء لهزيمة ألمانيا بالإضافة إلى سبب اندلاعها. وتمخضت تلك الاجتماعات من إلقاء اللائمة على اليهود والشيوعيين والساسة بشكل عام.

ولم يحتاج هتلر لأي سبب من الاقتناع بالسبب الأول لهزيمة ألمانيا في الحرب لكرهه لليهود

وأصبح من النشيطين للترويج لأسباب هزيمة الألمان في الحرب.

وقد قسم هتلر مهاراته الخطابية إلى كل من الشباب والنساء والعمال،

وبالتالي أصبح الشعب كله مجنداً لحساب ألمانيا، وهذا أيضاً بسبب ادعاء هتلر بأن الألمان شعب فوق كل الشعوب، وقد كان أريخ لوداندورف من أعوان هتلر في تحقيق مآربه وبعد وفاة (فريدريخ أبرت) رئيس الرايخ الألماني شن لوراندوف حملته دعاية وانتخابات كبيرة سنة ١٩٢٥ لهتلر وانه حامى الجنس (الأرى) الألماني من الأجناس الأخرى بما تحمله من تلوث على وجه الأرض.

بطل الشعب

كان أريخ لوداندورف تحت قياده رئيس ألمانيا باول هيباربورج، وكان يعمل كأركان حرب في الحرب العالمية الأولى، وقد أبدع ونجلي في الانتصارات الحربية.

وقد أصدر كتابه (قيادة الحرب والسياسة) سنة ١٩٢٣ وبعدها أصدر كتاب (إبادة اليهود) لتوجيه ألمانيا على طريقة القضاء على اليهود.

وفي سنة ١٩٢٨ نما (حزب العمل الألماني الوطني)، وأصبح عدد المجندين به (١٠٨٠٠) مجند مابين النساء، والشباب، وقد نجح هتلر في استقطابهم بالبلاغة الخطابية، والأفكار اللامعة والأحلام الكبيرة لدولة ألمانيا وسموها على جميع البشر.

وكذلك مدى أهمية توفير العمل والمساواة بين طبقات الشعب وعدم التمييز بين طبقات الشعب والبرجوازيين. و نادي هتلر في الشعب بأن هناك إستراتيجية موضوعة بخطة محكمة بأن تصبح ألمانيا الحاكم الأول والأخير، لجميع أنحاء العالم، ويصبح العالم كله وحدة واحدة من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، هذا بالإضافة إلى تحقيق النقاط (ال٢٥) الموضوعة لرفع مستوى ألمانيا والقضاء نهائياً على الجنس اليهودي.

وكان من معاونين الذين أضافوا التوابل إلي هذه السياسة والمبادئ التي رسخها هتلر هو وجوزيف جوبلس. وقد اختطف هتلر الخلاف الغربي السوفيتي وأبرم معاهدة (عدم الاعتداء) بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي عام سنة ١٩٣٩.

الاشتراكية أول الصف

وكان (أوتو) الأخ الأصغر لجيورج شتراسار ومدير دار نشر وتسويق الحرب، و كان من المساندين للاتحاد الاشتراكي (لحزب العمل الألماني الوطني). وبعد ضغوط سياسية ترك ألمانيا.

وكان من المتزعمين الأوائل لمظاهرات ضد هتلر كثرة اشتراكية شعبية وكمقاوم لليهودية والأجناس الأخرى غير الألمانية.

وفد كشفت سياسية هتلر عن أنيابها في سبتمبر سنة ١٩٣٠ وخاصة في الكتل الشرقية وإعلان الزعامة المضادة للتوجيه الشيوعي.

وقد كانت أسوء الفترات التي شاهدها ألمانيا من سبتمبر سنة ١٩٣٠ وحتى نوفمبر سنة ١٩٣٢.

بما فيها من نزاعات سياسية بين الشعب والبرجوازيين للوصول إلى مقاعد حزب العمل والذي كان يهدم بثبات الزعزعة السياسية الخارجية حتى تكون له كل خيوط السلطة الكاملة والسيطرة.



وكانت فترات حذر التجوال والتفتيش في الشوارع هي السائدة والمهازل التي حطمت كرامة المواطن الألماني بيد السلطة التنفيذية الألمانية. هذا غير التسلل الشيوعي الذي بدأ يتغلغل داخل حزب العمل الألماني الوطني للقضاء على الحزب، مما أدي بهتذر إلي القضاء عليهم وحرقهم. كذلك كانت هناك حرب إعلامية شعواء للتنديد، وفضح

هتلر بقيادة (فيلهلم جرو نر) ولكنه لم يتمكن من القضاء عليه، وقد أصبح فيلهلم فريك قائداً شعبياً للحركة الراديكالية سنة ١٩٣٣. وتنشيط الممارسة السياسية للبيت الفلاحي البسيط.

فيمر والمبنى

لقد شيد المهندس المعماري فالتر جروبيوس سنة ١٩١٩ فى مدينة (جوته- فيمر) المبنى الذي يحوى جميع أعمال الفنانين تحت سقفه، وهذه الأعمال خاصة بأعظم الفنانين المشهورين.

وكان هذا المهندس ينادى بالحادثة في جميع أعماله مما أقلق رئيس مدينه فيمر ولكنه وضع مشروع المهندس في الخطة، وقد لاقى حرب ضد أفكاره مما أدى إلى نقله إلى (دساو) بعد ذلك إلى برلين سنة ١٩٣٢ وفى إبريل سنة ١٩٣٣. كان البوليس البرليني يتفحصه وتم إغلاقه بعد ذلك بشهور قليلة. وقد خرج هذا المبنى الفني خارج ألمانيا تماماً

نشط الحزب النازي في تكثيف وتوجيه الشعارات البراقة إلى الشعب وإلى الشباب خاصة، وأن الحياة ملك للألمان فقط.

وكان ذلك أيضاً عن طريق المنشورات والجرائد وكان المسئول عن هذه الحملة الإعلامية الفريد هو جنبرج. والذي كان يحمل صورة هتلر، وأنه بطل الشعب الذي سوف يظهر ألمانيا والعالم كله من اليهود. وقد تزعم هنريخ يورنينج حزب المعارضة سنة ١٩٣١ ضد حزب العمل الألماني الوطني، وقد زعزعت هذه المظاهرات هتلر كثيراً وسياسته الوحشية وبدأ يبحث عن حيل دبلوماسية لإعادة ثقة الشعب وزعيم المعارضة هو جنبرج

قادر على الدفع

تماسك الشعب الألماني. من أجل إعادة إصلاح آثار الدمار، ورفض فكرة (الهولوكست) المحرقة، والرقى بمستوى الشعب الألماني، وعدم الاعتراف بفكرة استعباد اليهود. وقد تم في سنة ١٩٨٨ تغيير اسم حزب العمال الألماني الوطني-إلى الحزب الاشتراكي الألماني. وقد تم الحصول على حق الحرية وإعلان خطة الشباب سنة ١٩٣٠

وبالطبع بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تم القضاء تقريباً على الرجال والنساء الألمان بالإضافة إلى المجاعة

والأمراض التي توغلت في البلاد، وأصبح العامل هو الطفل الصغير وقد كتب الصحفي الإنجليزي (كينكر بوكر) كتابه "ألمانيا هكذا أو هكذا"، ولم يستطع حزب العمال الألماني الوطني إنقاذ المهزلة الإنسانية التي تورط فيها، وماذا يُجدي مع أقل القليل من الفئات لكل هذا الدمار، كم من الأسر التي تشردت وكشفت النقاب عن هذا الوحش الذي التهم دماء الأبرياء. وقد تم تنظيم الحزب وإعادة الانتخابات تحت قيادة هنريخ هيملر وجوزيف جوبلس وقد كانت نسبة الانتخابات لحزب العمال من سبتمبر سنة ١٩٣٠ حتى يوليو ١٩٣٢ ٣.٣٧% (صوت) وقد شهدت فترة الحكم النازي لألمانيا انتعاشاً اقتصادياً مقطوع النظير. وانتعشت الصناعة، ولم يُترك مواطن ألماني بلا عمل، وتم تحديث السكك الحديدية، والشوارع وعشرات الجسور، مما جعل شعبية هتلر تتصالح مرة أخرى. واستمر هتلر في الجيش الذي اقتصر على قمع الثورات الاشتراكية في ألمانيا، وكذلك انضم هتلر إلى (إدارة التعليم والدعاية السياسية) والذي هدفها إيجاد كبش الفداء لهزيمة ألمانيا في الحرب بالإضافة إلى سبب اندلاعها. وتمخضت تلك

الاجتماعات من إلقاء اللائمة على اليهود والشيوعيين والسياسيين بشكل عام.

أعضاء الحزب

أصبح بعد الانتخابات حزب العمال هو صاحب السيادة فهناك عشرين عاملاً لكل ثلاثة مدرسين. مما يعنى أن فئة العمال هي الغالبة في هذا الوقت، وقد أصبح كثير من العمال بعد ذلك من رؤساء الأحزاب العمالية وقد حصل عدد العمال الأعضاء في حزب العمال الألماني الوطني حوالي ٥،٨ مليون عضو

وأحس هتلر بالزهو اتجاه انتصارات الداخلية وبدأ يظهر في جميع وسائل الإعلام المتاحة في ذلك الوقت ويتجول في الشوارع ويجلس على المقاهي أو في فيلا احد الشهداء العسكريين، وقد كان للصيدلي جرجور شترا سار فضل في زيادة وتقدم الوسائل العلمية الحديثة سنة ١٩٣٢ مثل مكنة فرز الأصوات (الانتخابات) والسينما، والراديو، وبالتالي كانت من أهم الوسائل التي تخدم هتلر في تحقيق

أهدافه السياسية (وأن الموت أول النصر) كانت مازالت هي النعمة المسموعة في خطابات هتلر الذي لم يرتو بعد.

سياسي بلا ضمير

كان جوزيف جوبلكس (سنة ١٨٩٧ - ١٩٤٥) المسئول عن النشاط الإعلامي الذي يخدم (حزب العمال الألماني الوطني) وقد أسس معهداً لتدريس الصحافة والكتابة الأدبية وأسس



كذلك مجموعة عمل للشعر الإعلامي الألماني لحزب العمال الألماني الوطني، وكان المتحدث الرسمي كوزير للإعلام باسم هتلر وسمو سياسته العظيمة التي تهدف إلى القضاء على اليهود وتوضيح عيوبهم، وإنهم جنس أدنى من الشعب الألماني.

وبقى كوزير للإعلام حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وبعد انتحار هتلر انتحر جوزيف وزوجته ماجدة وأولاده الستة.

ورغم كل الشروط المتوفرة في العمليات الانتخابية في مارس ابريل سنة ١٩٣٢ وكل الدعاية الإعلامية إلا أن هتلر رفض إعلان نتيجة الانتخابات وأصبح الأمر الواقع هو القتل بلا أي سبب لأي مشتبه شيوعي أو يهودي .

القتلة

في سنة ١٩٣٢ أصبح لدى هتلر فرقة القتل بلا أي سبب ضد كل من يتهامس ضد السلطة سواء أكان من الشعب الألماني، أو اليهود، أو الشيوعيين.

وبدأ الانشقاق، والتمرد، وأحزاب المعارضة تظهر، وتعلن بكل صراحة عن رغبتها في الانفصال عن حزب العمال، وبدأ هتلر يخطط لحرب جديدة ليثبت فيها لمعارضيه، إنه لم يهزم وبدأ يتحرك لإثارة الزوابع السياسية بين الدول وبعضها البعض.

قُتل

كان جرجور شتراسار المحرك الأساسي لهتلر، وترويج وإبراز سياسته وزعامته، وانقسم عليه كزعيم للمعارضة في انقلاب خططه للجيش، ولكن الحزب فشل وقتل في ٣٠ يونيو ١٩٣٤.

ومما زاد من موقف هتلر سوء أنه بدأ في إخضاع حزب العمال الألماني الوطني، وبدأ يتقرب كل من يهم برفع رأسه في وجه هتلر ومعارضته وبدأ ينشر البوليس السري بينهم، للتجسس على بعضهم البعض وبدأ الانشقاق والانهيال يزداد داخل الحزب وأخذ أعضاء الحزب حذرهم من هتلر مما أدى إلى إعادة تجديد الحياة البرلمانية من جديد ومحاولة إعادة الهدوء لكسب الحزب والشعب معاً ولتطبيق الديمقراطية التي يطالب بها أعضاء البرلمان .



قيصر الوسائط

كان (الفرد هوجنبرج) من أعظم الذين نجحوا في ترسيخ كيان هتلر السياسي

والزعامي، لما فعله هذا الرجل من تنشيط الثقافة والمراكز الثقافية التي تعرف بها الأقاليم الأسبوعية وتشجيع الشباب على التعاون والعمل السياسي وأصبح في عام ١٩٣٣ وزيراً للاقتصاد، ولكنه أُجبر على تقديم استقالته سنة ١٩٣٣.



وبعد مفاوضات وعقد جلسات وزارية بمجلس الوزراء وحزب المعارضة وحزب العمال تقرر أن تكون للدولة هذا الشكل ألا وهو دمج مهام هتلر السياسية كمستشار لألمانيا ورئيس للدولة. وقد تمت المصادقة عليه من برلمان جمهور فايمر.

صاحب البنك هيامارشاخت

بعد أن استطاع هتلر أن يجذب إليه الشباب كقوة عاملة، استعان بأغنى رجل "صاحب بنك" في ألمانيا وهو (هيامار شاخت). وقد تم تمويل مشروعات البناء و التعدين فلم يعد في ألمانيا عاطل ولا جائع. وانتعشت ألمانيا كدولة صناعية.

٢٧ فبراير سنة ١٩٣٣ اندلع حريق كبير في بقيادة شيوعي هولندي (مارينوس فان) حيث أنه فعل ذلك تحت قيادته الشخصية ولم يشترك معه العمال. ولكن البوليس لم يصدق ذلك. مما أدى إلى تصعيد الموقف ونشب حريق هائل أدى إلى حريق الأوبرا والبرلمان.

وبالطبع أدى هذا الحريق إلى انقلاب وإلقاء القبض على جميع الشيوعيين من منازلهم بواسطة زوار الليل والبوليس السري (الجستابو) وانقلب البرلمان وحزب العمل الألماني الوطني رأساً على عقب وزاد الشك بينهم فيمن يرغب في قلب نظام الحكم.

وزير الرايخ للشئون الداخلية

يعتبر (فيلهلم فريك) ١٩٣١/٣٠ أول وزيراً للحكومة (تورينجن) ثم بعد ذلك وزير الرايخ للشئون الداخلية، وكان مسئولاً عن شئون الأقاليم الداخلية ولكنه وكما هو معهود في تاريخ السياسة فقد تم استبعاده سنة ١٩٤٣ كبوهيمي أو الخيل العجوز التي تضرب بالنار.

**Der Reichstag
in Flammen!**
Von Kommunisten in Brand gesteckt!

**So würde das ganze Land aussehen, wenn der
Kommunismus und die mit ihm verbündete
Sozialdemokratie auch nur auf ein paar
Monate an die Macht kämen!**

**Grave Gärger als Geiseln an die Wand gestellt!
Den Ganern den roten Dahn aufs Dach gesetzt!**

Wie ein Aufspieß muß es durch Deutschland gehen:

**Zerstampft den Kommunismus!
Zerschmettert die Sozialdemokratie!**

 **Wählt** **Hitler** **1**
Liste

انهارت الحياة تماماً بعد اندلاع حريق ٢٦ فبراير وبدأ التعذيب الشديد لليهود. وقد ندم اليهود لعدم مغادرتهم قبل سنة ١٩٣٥. عندما صدر قانون يحرم أي يهودي ألماني حق المواطنة كذلك فصلهم من أعمالهم الحكومية ومحلاتهم التجارية، وتحتم على كل يهودي ارتداء نجمة صفراء على ملابسه. وقد ظهرت لهتلر أسوأ الصفات الوحشية الشيطانية فقد دفن أعضاء حزب العمل أحياء. ووضعهم كذلك مع اليهود في غرف التعذيب بلا رحمة أو هوادة. (شكه في خيانتهم) وبدأت الحكومة تبتعد عن الشعب تماماً وكان هم هتلر الأكبر هو الدخول في حرب جديدة (الحرب العالمية الثانية). وعاود هتلر خرق اتفاقية فيركسي مرة أخرى عندما أحتل المنطقة المنزوعة السلاح (أرض الراين) ولم يتحرك الإنجليز ولا الفرنسيون تجاه انتهاكات هتلر، مما أدى إلى أن عمت الفوضى والمجاعة مرة أخرى وأصبحت ألمانيا معسكر لتدريب الجيوش والتجنيد الإلزامي .

أسرة
سنة
س



قائد الرايخ س - س

انه من تلاميذ هتلر الذين
تدربوا بشدة وجدية، وهو من
مسيحية كاثوليكية، وكان
١٩٢٣ من المنقلبين على
هتلر، وأصبح (قائد الرايخ
- س) إنه (هينريخ هيلم).

وكان من أشد المعذبين لليهود وتطهير الشعب الألماني
منهم تماماً. وقد انتحر في مايو سنة ١٩٤٥.

وقد نادي هتلر بالمقاطعة الكاملة لليهود، وأصبحت
المحارق في الشوارع عياناً بياناً بلا رحمة ولا هوادة وحذر
كل من يتستر على أي يهودي بالويل والخراب واستغل
وزير الإعلام وكل الوسائل المقروءة بأن القضاء على
اليهود هو تطهير عرقي لتتقية دماء الشعب الألماني
وكشفت بيروقراطية هتلر عن أنيابها.

جزية (ضرائب الهرب) الرايخ

كل من يرغب من اليهود في الفرار عليه أن يدفع ٢٥% من الضرائب للسماح له بالخروج وقد حصلت ألمانيا سنة ١٩٣٤ ٥٠٠٠٠٠ مارك ثمن حرية وهرب وتشرّد اليهود خارج ألمانيا.

ومن المهازل التي تتم عن خلل الحاكم (هتلر) انه كان يشجع كل ورش العمل المسيحية فقط على العمل والمعونة المالية واعتبار يوم الأول من مايو عيداً للعمال المسيحيين فقط، وكان البوليس السري يراقب المحالات التجارية والورش الصناعية والمنازل، للتأكد من أن المسيحيين يحصلون على المعونات. (من دماء اليهود).

الاعتقال الاحتياطي

وكان قانون الطوارئ يسمح بالتفتيش والاعتقال الاحتياطي بلا أي أذن ولا تمييز بين شيوعي أو عامل أو يهودي، وقد تم اعتقال أكثر من ٢٥٠٠٠ شخص في يوليو



سنة ١٩٣٣. وكانت السمة العالية لوجهه العمل الألماني هو الجدة والاجتهاد وقد وصل شكل العمل في نوفمبر سنة ١٩٣٤ كاتحادات عمالية صغيرة لكل فئة عمالية أو صناعية. عود الخشب الجاف للرايخ: تحولت الحياة العمالية تماماً في ألمانيا في عهد (روبرت لي) المسئول الأول عن

عمال الأقاليم الألمانية، ولكنه فصل عن عمله بسبب إدمانه للخمر. وقد أسس مدارس أدولف هتلر للصناعات الثقيلة، وتم تأسيس نقابات عمالية، وقد انضم إلي هذه النقابة ٢٥ مليون عضو. وكان له أثر كبير في تنمية

الصناعة في ألمانيا ووصول ألمانيا إلي المركز الأول في
الصناعات الثقيلة.

ورغم ازدهار الصناعة (للعامل الألمان) إلا أن العمال
اليهود كانوا يلاقون أشد أنواع الاضطهاد والعنف.
وهناك المظاهرات التي قامت من أجل التسوية بين العمال
بعيداً عن الديانة. وقد لاقى من حكومة هتلر بالعنف
والتعذيب كذلك نادي العمال بأن يتقاضوا أجراً كافياً نظير
عملهم.

وظهرت أنياب هتلر ومخالبه في كل مكان للقضاء على
اليهود وبدأ يهتف باسم الدين المسيحي والكنيسة المسيحية
وكانت هناك زعزعات طائفية بين الأرثوذكس والكاثوليك.
كادت أن تؤدي بالانهيار التام نتيجة ألعاب جنونية لهتلر.

الاتفاقية بين الدولة والكنيسة الكاثوليكية

تمت الاتفاقية بين الدولة والكرسي البابوي في ٢٠ يوليو
سنة ١٩٣٣. بأن الكنيسة منفصلة عن الدولة ولها حرية
العبادة بطريقتها الخاصة ولها شئونها الخاصة البعيدة تماماً
عن الدولة.

ولكن البابا احتج سنة ١٩٣٧ في منشور بابوي بسبب عدم احترام الاتفاقية وإلقاء القبض على عدد كبير من أعضاء الكنيسة الكاثوليكية المقدسة.

وقد كان (رؤمس ريغالن جورينج) من الذين كانوا يخططون لقتل هتلر، وقد كانت هناك محاولة في ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٤. ولكنها فشلت.



شوكة في عين هتلر

إن ارنست روم كان من الرجال المشاهير في فترة الحرب العالمية الأولى وخاصة إنه من المنشقين.

وقد عمل في الجيش الألماني سنة ١٩٢٨ (بوليفيا). وقد استعاده هتلر مره أخرى وعينه كرئيس الإسطل لقسم الاقتحام. وقام ارنست بثاني ثوره ضد هتلر وكاد أن

يضع شوكه في عين هتلر في ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٤ بسبب ظلم هتلر البين وقد أعدم رمياً بالرصاص في يوم من الأيام في وقت متأخر

ومنذ هذا الوقت (٣٠ يونيو) أصبح الإعدام رمياً بالرصاص قانوناً يطبق على كل من يعترض على حكم أو رأي الديكتاتور وأصبح حزب العمل الألماني الوطني منفذاً لأحكام الإعدام وحرقت اليهود دون أن يكون هناك سبباً أو رقيباً على هذه الأفعال بل إن أعضاء مستشارين الرايخ؟ اضطروا إلي أن يحلفوا اليمين في ٢ أغسطس سنة ١٩٣٤ بزيادة الحزم والدفاع عن القضية الهتلرية (النازية) بشدة وحزم وعدم التهاون مع المخالفين للقانون، وتم استخدام وسائل الإعلام التي كانت تحت سيطرة جوزيف جوبلر وكانت المنشآت (الزعيم يحلف اليمين) ولم يكن شعار (اتحاد الشعب) سوى أكذوبة أطلقها هتلر في خريف ١٩٣٣ كنوع من التمويه لإخراج اليهود المختبئين من جحورهم والقضاء عليهم في المحارق (الهولوكوست). فقد روجت أجهزة جوبلر الإعلامية لهتلر على انه المنقذ لألمانيا من الكساد الاقتصادي والحركات الشيوعية إضافة

إلى الخطر اليهودي، وبالطبع من لم تتفع معه وسائل
الأعلام السلمية فإن البوليس السري (الجستابو) كفيل
بإقناعهم (معسكرات الإبادة والهجير القسرى). وبتنامي
الأصوات السياسية للأصوات التي تخالف رأى هتلر كان
(هتلر) مسئلاً عن المخالفين والمتمردين.

وفى ٥ نوفمبر ١٩٣٧ عقد هتلر اجتماعاً سرياً مع
مستشاري الرايخ وأفصح عن خطته السرية في الأمة
الألمانية الجغرافية. مما يتطلب زيادة عدد المجندين من
الشباب الألماني .

فما حياة هتلر إلا كذب وأحلام ورديه أدت إلى دمار
الشعب الألماني مسيحي ويهودي.

أدولف هتلر: من مواليد النمسا ٢٠ ابريل ١٨٨٩ وتوفي
في ٣٠ ابريل ١٩٤٥ وفي يناير ١٩٠٣ مات أبوه ولحقته
والدته في ديسمبر ١٩٠٧ كان أبوه ألويس موظف جمارك
صغير .

وكان له خمسة أشقاء وشقيقات لم تكتب الحياة من بين
السته إلا لأدولف وشقيقته بولا.

كان أدولف هتلر شديد التعلق بوالدته وشديد الخلاف مع
أبوه رغم احترامه له.

وكان الخلاف بسبب انخراط أدولف في مدرسه الفنون الجميلة إذا كان أبوه يتمني له أن يصبح موظفاً بالقطاع العام.

وهو من عائله كاثوليكية مسيحية، ولم تكن نتائج نتيجة القبول بالمدرسة (ذات الأربعة صفوف) مضنيه ولم يُقبل لرداءة رسوماته، وعاود الكرة وكانت رسومه تافه إلي حد لم تؤهله للمشاركة في الامتحانات في ثاني مرة، فكانت ضربة قاصمة لطموحه الفني. وكان سبب فشله في اختبار أكاديمية الرسم. إن رسوماته تكمن في الهندسة المعمارية، واضطر إلي الخضوع لحكم القدر، ولكنه مع حزنه الشديد أدرك أن فشله في نيل شهادة تخرج الثانوية سيحول بينه وبين دخوله مدرسة الهندسة المعمارية، وقد تأثر هتلى كثيراً بالمحاضرات التي كان يُلقبها البروفسير

(ليبولد بوتشي) الممجة القومية الألمانية، وفي الثامنة عشر من عمره قرر أن يرحل إلي (فيينا) أملاً أن يصبح رساماً. وعكف على رسم المناظر الطبيعية، والبيوت مقابل أجر يسير وكانت الحكومة تصرف له راتباً كونه صغير السن وبلا مُعيل. وتم رفضه من قبل مدرسة فيينا للفنون الجميلة مرتين وتوقفت إعانته المالية من الحكومة، وفي

فبينما تأثر هتلر كثيراً بالفكر المعادي للسامية نتيجة تواجده اليهود بكثرة في تلك المدينة وتنامي الحقد والكراهية.

وفي عام ١٩٠٣ انتقل هتلر لميونخ لتقادي التجنيد الإلزامي، وكان يرغب في الاستقرار في ألمانيا عوضاً عن الإقامة في الإمبراطورية المجرية والنمساوية لعدم وجود أعراق متعددة كما هو الحال في الإمبراطورية النمساوية.

وباندلاع الحرب العالمية الأولى تطوع هتلر في صفوف الجيش البافاري وعمل كساعي بريد عسكري. بينما كان الكل يتهرب من هذه المهنة ويفضل الجنود البقاء في خنادقهم بدلاً من التعرض لنيران العدو عند نقل المراسلات العسكرية.

وخلال الحرب كون هتلر إحساساً وطنياً عارماً اتجاه ألمانيا رغم أن جنسيته الأصلية نمساوية. وصعق هتلر باستسلام الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى. لاعتقاده باستحالة هزيمة هذا الجيش. وبعد الحرب العالمية الأولى اقتصر عمل هتلر على قمع الثورات الاشتراكية في ألمانيا. وتمخضت هذه الأعمال من إلقاء اللائمة على اليهود والشيوعيين وبانضمامه (لحزب العمال الألماني الوطني) كان ينادي بأنه (يجب القضاء على الحقوق المتاحة لليهود

بصورة قانونية مما سيؤدي إلي إزالتهم من حولنا بلا رجعه).

وبد ذلك غير هتلر اسم الحزب إلي (الحزب الألماني الاشتراكي الوطني أو النازي)

واتخذ الحزب الصليب المعقوف شعاراً له وتبني التحية الرومانية التي تتمثل في مد الذراع إلي الأمام.

وبعد ما تبوأ هتلر المراتب السياسية في ألمانيا من خلال وسائل الإعلام الألمانية روجت أهدافه

تحت السيطرة المباشرة للحزب النازي المنقذ الخطر الشيوعي واليهودي الذي يهدد الاقتصاد والأمن الألماني.

ومن لم تتفع معه الوسائل السلمية، كان البوليس السري (الجستابو) ومعسكرات الإبادة والتهجير كفيhle بإقناعه.

وفي ٢٥ أكتوبر ١٩٣٦ تحالف هتلر مع الفاشي موسو لينى الزعيم الإيطالى واتسع التحالف ليشمل اليابان، والمجر،

ورومانيا، وبلغاريا، بما يعرف (بحلفاء المحور) .

وفي ٥ نوفمبر سنة ١٩٣٧ عقد هتلر اجتماعاً سرياً فى (مستشاريه الرايخ) وأفصح عن خطته السرية فى توسيع رقعة

الأمة الألمانية الجغرافية.

وعمل هتلر على تصعيد الأمور بصدد مقاطعه "ساديتلاند" التشيكية والتي كان أهلها ينطقون الألمانية وقد اختطفت هتلر الخلاف الغربي السوفيتي وابرم معاهدة (عدم اعتداء) بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي مع ستالين في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣٩ وفي ١ سبتمبر ١٩٣٩ غزا هتلر بولندا ولم يجد الإنجليز والفرنسيونُ بدأ من إعلان الحرب على ألمانيا.

وكانت في هذه الفترة (الآلة العسكرية الألمانية لا تقهر).



أليك . مكذ في ضابك نغى ١٠ غلفيذ ٠٨٢٧ يهصد فيز لسلفظ
ضفة نطكخ لزي ب

وتعتبر الانتصارات الخاطفة التي حصدها هتلر في بداية
الحرب العالمية الثانية من سنة ١٩٣٩ إلى ١٩٤٢ جعلت
منه رجل الإستراتيجية الأوحد في ألمانيا وأصابته بدهاء

الغرور وامتناعه عن الإنصات إلى آراء الآخرين أو حتى
تقبل الأخبارات السيئة وإن كانت صحيحة. فخسارة ألمانيا
في معركة (ستلنجراد) الروسية، ومعركة (العلمين
المصرية) بينه وبين إنجلترا وتردى الأوضاع الاقتصادية
الألمانية وإعلان الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية
وفى ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١. وضعت النقاط على
الحروف ولم تترك مجالاً للشك من بداية النهاية لألمانيا
هتلر.

فمجاوبه أعظم إمبراطورية (انجلترا) وأكبر أمة (الاتحاد
السوفيتي) وأضخم آلة صناعية واقتصادية (الولايات
المتحدة) لاشك تأتي بقرار فردى لا يعبأ بلغه العقل
والخرائط السياسية وفى سنة ١٩٤٣، تمت الإطاحة بحليف
هتلر الأوربي (موسوليني) واشتدت شراسة الروس في
تحرير أرضهم المغتصبة وراهن هتلر على بقاء أوروبا
الغربية في قبضته ولم يعبأ بالتقدم الروسي الشرقي.

وفى ٦ يونيو سنة ١٩٤٤ تمكن الحلفاء من الوصول إلى
الشواطئ الشمالية والفرنسية وبحلول ديسمبر، تمكن الحلفاء
من الوصول إلى نهر الراين وإخلاء الأراضي الروسية من
آخر جندي ألماني. سقط الرايخ الثالث نتيجة

الانتصارات الغربية ولكن عناد هتلر أطال من أمد الحرب لرغبته في خوضها لأخر جندي ألماني. أمر هتلر أن تدمر المصانع والمنشآت العسكرية وخطوط المواصلات والاتصالات وتعيين هينريك هملر مستشاراً لألمانيا في وصيته، كما قام بإغراق إنفاق مدينه برلين حين كان يختبئ المدنيون ذلك لعتبا رهم خونه لعدم وقوفهم في وجه العدو الروسي على أبواب برلين.

وبقدوم القوات الروسية على بوابه برلين أقدم هتلر على الانتحار في العاصمة برلين مع عشيقته إيفا براون في ٣٠ ابريل ١٩٤٥ وأسدل الستار على كابوس الحرب العالمية.



<<مع

هيلكه لورنتس

القائد في الرحلة>>

كيف غزا النازيون الحياة اليومية؟

هم مازالوا على قيد الحياة، وحينما جاء الحزب النازي إلى السلطة كان كل من كارل وأناماري وأنادورا في مرحلة الطفولة، كان كارل وماريانا في الثامنة أما أنادورا فكانت في الخامسة من عمرها.

أبناء تلك الحقبة الذين عاشوا على الحدود الألمانية تجاوز عددهم التسعة ملايين ما بين طفل وشاب، وحين جاءت سنة ١٩٣٣ بدأ عهد جديد تغيرت معه حياتهم تغييراً جذرياً.

كان يوم الثلاثين من يناير ١٩٣٣ يوماً خاصاً في تاريخ ألمانيا، هذا أيضاً ما شعر به كارل الصغير، كان الجميع في عائلته في انتظار هذا اليوم الذي أعلن فيه رئيس البرلمان الكهل باول فون هندنبرج، قائد حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي أدولف هتلر مستشاراً للرايخ، الآن سيتغير كل شيء، وطبعاً كما كانوا يتمنى الجميع إلى الأفضل، على الأقل هؤلاء الذين آمنوا بـ "القائد" بقلوب حارة وحماس شديد مثل عائلة كارل.

دق جرس المنزل في دوزبورج عدة مرات، وفي كل مرة كان بعض الأصدقاء والأقارب يمرون ليشرّبوا نخب فوز التوجه

السياسي الجديد، كان الجميع في مزاج احتفالي، أخيراً أصبحوا من الفائزين، أخيراً في الواجهة ومن أصحاب التقدم ، في بلد شعر فيه الكثيرون منذ الهزيمة في الحرب العالمية الأولى أنهم خاسرون على الدوام، والآن لم يرغب الجميع إلا في سماع ما ينقله جهاز الراديو في بيت رئيس الفرقة المحلية لحزب العمال الألماني الاشتراكي القومي فريدريش فالتر، والد كارل، كان الكل يريد أن يكون مشاركاً في الأحداث في برلين، حيث عاش الناس بلحمهم وشحمهم انبثاق عهد جديد بالمسيرات التي تحمل المشاعل، تحدث أدولف هتلر، المستشار الجديد إلى مؤيديه، سيصل الصوت الزاعق النفاذ عما قريب بصورة منتظمة إلى كل بيت.

كذلك شعر صبي الثامنة كارل أن هذا المساء يعني تأييداً شخصياً له، فقد مشى منذ وقت طويل بخطوات عسكرية مطرقة - "واحد، اثنان، واحد، اثنان" يا سلام - عبر الشوارع، مثل جنود صغار جمال يثبتون أيديهم فوق سراويلهم القصيرة، ويضعون بحزم قدماً قبل أخرى ويغنون بصوت مدوٍ أغان مثل - يجب أن تحيا ألمانيا، يجب أن

تحيا ألمانيا، حتى لو متتا، حتى لو كان علينا أن نموت،
يجب أن تحيا ألمانيا".

بمثل هذه النصوص القوية تهيأوا لما هو قادم ومقبل عليهم دون أن ينتبهوا، لقد اعتادوا على فكرة الحرب والسلام لا يزال قائما، تعرفوا في المزاح على منتهى الجد، فتحو لفكرة الموت بابا في حياتهم الشابة، وظنوا أن ما لقنهم إياه النازيون مرة بعد أخرى عبر السنوات التالية كان رغبتهم الذاتية: على الفرد أن يتكيف مع الجماعة- الخروج عن الصف ممنوع، كان ينبغي أن تشمل المشية العسكرية، التي تدربوا عليها جميع البلاد في المستقبل، ومن لا يشارك فيهما فإنه سيعزل.

الغريب أن الأمر لم يفت أحداً وكل من كان يملك أذنين تسمعان أدرك أن ألمانيا أصبحت في هذه السنوات أكثر صخباً، حيث المسيرات في الشوارع، والأناشيد الجماعية، والخطابات الصاخبة التي يلقيها الحزبيون الكبار في الإذاعة بحميمية وبكثرة ، وفي تحية القائد الشجاعة أو في الاستعراض العام لفرقة الهجوم. لقد نشأ قبل الحرب بوقت

طويل مجتمع مجند، نظمت النساء والأطفال فيه أيضا وفق لمبادئ الأمر والطاعة، كان على البلاد وفق لحلم النازيين أن تصبح ثكنة عسكرية عملاقة، نظام للرقابة الكلية إلى الداخل، وسلاح واحد إلى الخارج.

لقد كرس فريدريش فالتر، والد كارل، نفسه منذ وقت طويل للطاعة الكاملة التي طالب بها النازيون، وهو ابن لعائلة عمالية، قطع تأهيله المهني كعامل في بناء السفن عام ١٩١٤ مع اندلاع الحرب العالمية الأولى لينتطوع في الجيش، واختار حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي في السنوات القليلة بعد خسارة الحرب العالمية الأولى، إن هذا الحزب وحده يستطيع أن يخرج بلاده من المأزق، هذا ما كان يعتقد، كان يشعر أن معاهدة فرساي التي أملت فيها القوى المنتصرة شروط السلام على بلاده عام ١٩١٩ هي ذل وعار على ألمانيا، وقد شهد بنفسه احتلال الجنود الفرنسيين لمنطقة الرور.

معاهدة فرساي

في قاعة المرايا في فرساي وقع الوفد الألماني عام ١٩١٩ بعد خسارة الحرب العالمية الأولى معاهدة السلام، تعين على ألمانيا أن تتخلى عن مستعمراتها ومناطق كثيرة من بلادها، من بينها سارلاند وأيضا الموافقة على الحد من التسلح، كانت المعاهدة بالنسبة إلى الكثيرة بمثابة شعور بالذل، خصوصا مع مسألة ذكر الاعتراف بالذنب في المعاهدة، وبالتالي تحديد ألمانيا بأنها مسئولة عن "جميع الخسائر والأضرار"، وقد سمت الحركة الاشتراكية القومية المعاهدة "إملاء فرساي" وصادفت في هذا تأييدا شعبيا واسعا. لقد امتنع مستشار الرايخ هتلر عن سياسة تنفيذ المعاهدة على عكس المستشار السابق له، بل وأدخل عام ١٩٣٥ الخدمة الإلزامية خلافا للقانون وجعل القوات المسلحة الألمانية تدخل عام ١٩٣٦ راينلاند المنزوعة السلاح، لقد بارك هذا العمل بعد استفتاء شعبي وللحديقة أمر هتلر بالتراجع الأمر في حالة تعبأة الفرنسيون لجنودهم

وتقدمهم نحو ألمانيا، في ١٩٣٧/١/٣٠ أعلن هتلر أنه سيعتبر عن تنفيذ ألمانيا للمعاهدة باحتفال كبير.

بدأت حياته الخاصة حطاما أيضا. حيث أنه لم يمهله المهني في بناء السفن ولم تؤد الخدمة العسكرية إلى النصر، فتح كارل مع أبيه بعد نهاية الحرب متجرا صغيرا قاما فيه بعمل إطارات للصور واللوحات - عمل ربح به ما جعل العائلة تعيش بالكاد، كما أمل مثل الكثيرين أن تغييرات جذرية في المصير الوطني، محو الهزيمة في الحرب، يمكن أن تغير ظروف حياته الخاصة أيضا.

كثيرا ما روى لابنه كارل القصة البشعة كيف أن جنديا فرنسيا أسقط لألماني أسنانه بضربة من عقب بندقيته لأن الألماني لم يوسع له المكان، قصة تطاول المنتصر على المهزوم هذه لم تبق دون أثر على الابن اليافع، الشكوى الدائمة للأبوين من الطريقة المجحفة التي يعامل بها الشعب الألماني وجدت فيه مستمعا يقظا، هكذا تعلم من هو الصديق ومن هو العدو، ما يعتبره جيدا وما يعتبره

شريرا، إلى جانب من يقف ومع من عليه أن يتعامل بحذر، ومن كان المسئول عن الفقر في بيته، حيث لمس الصبي تأثيرات الأزمة الاقتصادية الساحقة في خريف ١٩٢٩ في عائلته هو، كان على المحل الذي أداره الأب بمفرده بعد وفاة الجد أن يغلق. ومن ذا الذي كان يرغب في صنع إطارات للوحدات أو صوره في هذا الوقت؟ كان الناس يكافحون فقط من أجل خبزهم اليومي، من أجل دفع الإيجار في نهاية الشهر، من أجل أحذية للأطفال، لم يحصل كارل على مصروف للجيب. بحث مع أصحابه أثناء اللعب في أماكن تجميع القمامة عن معادن قديمة ليشتري بالفلسين اللذين يكون قد كسبهما أحيانا كيس من المكسرات.



كان في ألمانيا عام ١٩٣٣ حوالي سبعة ملايين عاطل عن العمل، كانت الديمقراطية في نظر فريدريش فالتر أضعف من أن تحل مشكلة كبيرة كهذه، بل إنها كانت المسئولة عن سوء أوضاع الألمان، في الرايخستاغ، البرلمان، يتكلم المرء ولا يفعل، وضع فريدريش فالتر كل أمله في حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي، حزب أظهر قوة ونظاما صارما

وانضباطا. أصبح عام ١٩٣٠ قائد فرقة محلية في الحزب - وتجول في المدينة ببدلته الرسمية البنية مزهوا، بالنسبة له تحققت عام ١٩٣٣ جميع آماله، وقد كان كيانا فاشلا من قبل، أصبح له ثانية دخل مضمون في إدارة خدمة عمل الرايخ وانتقلت العائلة إلى منزل أوسع وأجمل، أعجب كارل بوالده وأراد أن يكون مثله.

وهكذا انتسب وهو في الثامنة إلى شبيبة هتلر، كان في الواقع أصغر مما ينبغي لهذا، فقد كان العمر الأدنى للأعضاء قبل ١٩٣٣ أربع عشرة سنة، وبعد استلام السلطة ١٠ سنوات، ولكن كارل استثنى، كان هذا تكريما، رغم أن النازيين أرادوا وضع الشباب تحت رقابتهم إلا أن الانتماء إلى المنظمات كان ينبغي أن يبدو مكافأة وليس أمرا بديها.



شبيبة هتلر

في ١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٦ أعلن عن جعل شبيبة هتلر شبيبة للدولة، استطاع الفتيان في سن العاشرة أن ينتظموا في منظمة صغار هتلر، وفي سن الرابعة عشرة كانوا ينتمون إلى

شبيبة هتلر الفعلية، ذهبت الفتيات حتى سن الرابعة عشرة إلى الفتيات اليافعات، بعد ذلك إلى رابطة الفتيات الألمانيات، في بداية عام ١٩٣٣ كان لشبيبة هتلر ١٠٠٠٠٠ من الأعضاء، وفي نهاية ١٩٣٤ كانوا حوالي ٣,٦ مليون فتى وفتاة، كان هؤلاء جميع الشبان بين العاشرة والثامنة عشرة تقريبا

من دخل شبيبة هتلر كان يدخل في عالم يحترم كلمة الغرباء أكثر من كلمة الأبوين، لم يلحظ الكبار وهم في عصر النازيين ذلك الأمر، كما في عائلة كارل، ، لم يلفت أحد ذلك، ولكن حين كان الوالدان يتخذان موقفا متحفظا إزاء النازيين أو ينتقدانهم تصبح العلاقة معقدة إلى حد كبير، أية كلمة كانت نافذة أكثر - كلمة قائد شبيبة هتلر أم كلمة الأبوين؟ وأي تقارير يقدمها الأطفال في شبيبة هتلر عن الأحاديث التي تجري في البيت؟

لم يمر كارل بمثل هذه المشكلات، بل سر والده أن يصبح أبنه رجلا حقيقيا، رجلا قويا، مقاتلا صلبا، تمرن كارل وأصدقائه على ألعاب الميدان، على التلصص، على

التخفي، الاستكشاف والتسلل، وغنوا أغنية الإخلاص السامية، الاستعداد للتضحية بحياتهم وأغنية روح الجماعة، أراد كارل وأصدقائه أن يكونوا شجعانا ومخلصين وموالين مثل الشيخ شاترهاند وفيناتو في روايات الهنود الحمر والمغامرات لكارل ماي، لم تكن لديهم فكرة عن أن مثلهم سيسيء استخدامها ذات يوم من قبل أصحاب السلطة الجدد لأهداف مختلفة تماما - أن يقوموا بهجوم على مواقع الرشاشات، يرموا الرهائن بالرصاص، يلحقوا القنابل على المدن، أن يقوموا بالحراسة في البرد القارس بعيدا عن الوطن، في خنادق غير عميقة حتى لو كان ذلك يعني الموت المؤكد.

في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٣٣ عين بالدور فون شيراخ قائدا لشباب الرايخ الألماني، بهذا أصبح كل عمل الشباب في ألمانيا تحت إشرافه ومراقبته، كان بالدور فون شيراخ محرضا، معاديا ملتها لليهود، وكان يعرف أن التحكم بالأطفال والشباب سيكون أسهل لو لم توجد سوى شبيبة هتلر. وهكذا حل منظمات الشباب الأخرى بل ومنع بعضها، كشافة الكاثوليك على سبيل المثال أو الشباب

المسيحي، لم يُخَفِ بأي روح يريد أن يربي الشبيبة الألمانية:

"أعلنت الشبيبة الحرب على المدللين، تربية الشبيبة هي تربية على الاعتماد على النفس، لم يكن في أي وقت من قبل مثل هذا العدد الكبير من الشبان المعتمدين على أنفسهم، إنهم ينظرون بتعال واحتقار إلى ما درج المرء على تسميته بـ "الأطفال" ويشعرون باستياء لا حدود له إذا سماهم الراشدون أطفالا، (...) نسمي الكائنات التي لا ترتدي زيا موحدا من مراحل العمر الدنيا "أطفالا"، الذين لم يشتركوا في أمسية وطنية أو مسيرة في حياتهم. ..آه، واحد من صغار هتلر يفهم العالم بعض الشيء! إذا ما تمزق سرواله وهو في الطريق فإنه يخيطة بنفسه، (...) اعتاد الأطفال في مثل هذه الأوضاع أن يبكوا ويصرخوا طالبين أمهاتهم، صغار هتلر يعتمدون على أنفسهم، الأطفال لا يسافرون إلا بصحبة البالغين، صغار هتلر يسافرون مع قادتهم، يتحدث الآباء الآخرون عن طفلهم، آباء صغار هتلر يتحدثون عن ابنهم". ابني، واحد من صغار هتلر! في هذه الجملة يكمن التحول العميق لشبابنا".

بالدور فون شيراخ (١٩٠٧ - ١٩٧٤)

عين وهو لا يزال في العشرين في قيادة الرايخ لحزب



العمال

الألماني

الاشتراكي

القومي وكان

في وقت مبكر

جدا ضمن

الحلقة الضيقة

المحيطة

بهتلر، تولى

مهمة قيادة الحركة الجامعية للاشتراكيين القوميين (النازيين)، أصبح في يونيو (حزيران) ١٩٣٣ قائد شبيبة الرايخ وأصبح بهذا مسئولا عن تربية الشباب خارج المدرسة التي كان يراد ربطها عن طريق الألعاب والمغامرات بالاشتراكية الوطنية، ابتداء من ١٩٤٠ أصبح قائد لواء وحاكما في فيينا، وكان مسئولا عن ترحيل يهود فيينا، بعد انتهاء الحرب تخفى باسم ريشارد فالك ولكن تم القبض عليه عام ١٩٤٥ وحُكم عليه بالسجن عشرين عاما.

ذات يوم زار كارل ابن عمه، وهو واحد من شبيبة هتلر الأشداء، شارك هنا أيضا في الريف مع كارل في العطلة الخاضعة للتنظيم، كان البرنامج يحتوي على استعراض عسكري، ذلك الذي يسمى بالفيلق، ١٥٠ شابا متحمسا شاركوا في المسيرة، حملوا معهم العلم ذا البرق الأبيض فوق الخلفية السوداء، وكما يفعلون دائما في مسيراتهم غنوا، كانت أغاني الاستعراض لا توجه خطاهم وحسب وإنما أيضا أفكارهم، "حيوا الرايات، حيوا الشارات، حيوا القائد الذي أوجدنا! حيوا جميع الذين ماتوا من أجلها، اتبعوا ندائهم بإخلاص! دعونا نكن حماة الراية بوجه الأعداء في الليل والنهار، سواء انتصرنا أو متنا تبقى رايتنا نقية".

كانوا ينتظرون من الناس الذين يمرون أمامهم احتراما للراية، تحية صارمة للرمز الذي جسد لهم حركة الاشتراكيين القوميين - وكذلك أيضا سلطتهم الجديدة، لم يعودوا أطفالا - هم، صغار هتلر، كانوا المستقبل، هنا وقف على جانب الطريق شخص لم يرد أن يحيي قطعة القماش التي كان لها بالنسبة للشباب مكانة دينية تقريبا، لم

يمد يده ولم يصفق عقبي حذائه، لم يتردد ابن عم كارل في ردة الفعل: صفع الرجل، كان كارل يقف إلى جانبه ووجد هذا أمرا عاديا، لم يكن يشعر بالعطف على أناس يقفون في طريق الأفكار القومية، كانوا يقفون عائقا وحسب.

احترام الأكبر سنا؟ لم يعد ذلك بالنسبة للشباب أمرا بديهيا، لم يعد يستحق الاحترام إلا من كان ينتسب إلى الحركة البنية النازية، مع كل إقامة في مخيم، مع كل رحلة عسكرية دق الإسفين بين الآباء والأطفال أعمق وأصبحت الفجوة التي تفصل القيم القديمة عن الجديدة غير قابلة للردم، لم يعد العطف مثلا ينتمي إلى تلك الفضائل الذي يلحق للأولاد في الأماسيات في البيت، يجب عليهم أن يكونوا قساة كالصخر، صلب مثل فولاذ مصانع كروب، سريعين مثل كلاب الصيد، هذا ما طلبه منهم هتلر الذي يتحدثون عنه كقائد لهم في مؤتمر الحزب في نورنبورج عام ١٩٣٤ وسط تصفيق المستمعين، كانوا هم الشباب، هم ألمانيا الجديدة.

كان الكثيرون يفكرون مثل كارل وابن عمه، وكان جوابهم الآن على كل ما يقال لهم من فوق: "نعم". ولم يعد

"لماذا؟".

"أمر القائد، نتبعه"

أصبح المبدأ في كل التصرفات، كان الاعتراض ممنوعا، ولم يكذب يثار أيضا.

ودع الأبناء الآباء سريعا، وأعجب اليافعون بأن يفقد ما يعتبره الآباء مهما كل قيمته وأهميته، أصبح سماع عبارات التحية مثل "يومك سعيد" أو "حياكم الله" نادرا أكثر فأكثر، كانت التحية الألمانية قد أدخلت إلى المدارس منذ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٤، اختتمت الآن الكثير من الرسائل أيضا بـ "يحيا هتلر"، الرسمية في كل الأحوال ولكن أيضا الشخصية، أصبحت كل تحية وكل وداع قسما للعهد الجديد، خضعت الأنا بصورة متزايدة للجماعة.

كانت هذه التغييرات في الحياة اليومية لماريانا التي عاشت في مدينة صغيرة قرب شتوتجارت في غاية الصعوبة مقارنة بكارل، فهي كانت تتحدر من عائلة مسيحية عميقة الإيمان وقفت من أيديولوجية الاشتراكيين القوميون موقفا نقديا، كانت ماريانا في العاشرة حين حضر معلم الصف ذات يوم في الزى الرسمي لحزب العمال الألماني الاشتراكي القومي إلى الدرس، كتب بخط سوتربلين على السبورة "يحيا هتلر"

وأعلن بصوت ثابت: "لن نقول منذ اليوم نهارك سعيد وإنما يحيا هتلر"، وصدق خلال ذلك كعبي حذائه ومد يده اليمنى بصرامة بالتحية الهتلرية إلى الأعلى، ذعرت ماريانا. كانوا يغنون في المدرسة التي كانت حتى ١٩٣٣ أغنية كنسية مسيحية في بداية الدروس. لقد ولت الآن تلك الأزمنة لحالها.

التحية الألمانية

من يرفض أداء هذه التحية يمكن أن يعاقب. في الاحتفالات العامة ينبغي أن يستقبل القائد بهتاف يحيا يصرخ المرء به بصوت عال.

عاش كارل في مدرسته في أطراف منطقة الرور تجربة مماثلة، لكنها لم تسبب له الذعر. فقد معلم الموسيقى وظيفته، وهو في الواقع شخص معروف في المدينة، معاصر، مجنون وظريف، كان يخرج للنزهة مع قططه ذات الشعر الطويل.. كان البديل للمعلم المفصول أحد ممثلي العهد الجديد، رفيق حزبي (ر.ح.)، كما كان المرء يطلق عليهم باختصار. كان يحتذي في غرفة الدرس حذاء

جلديا لامعا برقبة طويلة وسروالا عسكريا من سراويل
الفرسان. لم يلغ الأغنية التي كانت تغنى كتحية الصباح
"حياك الله" لكنه سبقها بنص جديد: "يحيا هتلر يحيا" صار
الصف يغنيها منذ الآن. وكان على الجميع أن يشاركوا في
الغناء. لم يحتج أي من المعلمين. لم يغامر أي منهم بهذا
فالدولة الاشتراكية القومية توقعت من موظفيها الولاء غير
المشروط والانتماء إلى حزب العمال الألماني الاشتراكي
القومي، ومن المعلمين قبل غيرهم. لم يجد الكثيرون في
ذلك صعوبة، وقفوا ممثلين حماسا خلف الاشتراكيين
القوميين.

لكن كان ثمة أناس أيضا فكروا بشكل مختلف ومغاير. كان
أحد معلمي كارل واحدا من هؤلاء المتشككين الذين انتسبوا
إلى حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي دون حماسة
- وإلا، هكذا واجهه المرء، سيفقد وظيفته. هذا ما لم
يستطع فعله الموظف الذي كان سابقا رئيس جمعية محلية
تابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي والذي رُقب بريبة في
كل الأحوال. كان أبا لخمس أطفال. هكذا أذعن. ولكن
شخصا مثل هذا بقي غير مؤتمن - وقد عول أصحاب

السلطة الاشتراكيون القوميون على أن يراقب الأطفال بيقظة المنحرفين المحتملين.

كان والد ماريانا أيضا لا يؤيد النظام. رفض أن يصبح رفيقا في الحزب. لم يستطع النائب السابق في البرلمان عن حزب خدمة الشعب الاشتراكي المسيحي، وهي حركة مسيحية، أن يوفق بين ضميره والانتساب إلى الحزب الذي ناضل ضده ذات يوم بشعارات نبوية مثل "هل ينبغي أن يسود الموت والرعب في ألمانيا؟". تظهر قصته أن قليلا من الشجاعة الأدبية استطاعت أن تكبح شهية السلطة الكلية للنازيين. وجد والد ماريانا وهو موظف في وزارة الاقتصاد رئيسا يدافع عنه، إما لأنه احتترم دوافعه أو لأنه لم يرد أن يفقد كفاءته المهنية. لقد وضع يد الحماية على هذا الشخص اللاحزي ومنع فصله. لكنه لم يستطع أن يمنع إلغاء ترقية سابقة وتخفيض راتبه.

احتاج النازيون من أجل حصر مثل هذه الصور من السلوك والفكر المغاير أو إغلاقها تماما إلى وسيلة ليتمكنوا من الحضور في كل مكان وكل وقت، ليعششوا في العائلة، المكاتب والدكاكين. ووفرت التقنية والوسائل الحديثة لهم هذه الأداة: الإذاعة.

أدركوا بذلك شير إكانيات هذه الوسيلة الجديدة القادرة على الوصول إلى كل مكان، نقل الرسائل من المرسل إلى المستقبل دون ضياع للوقت وتزيين الخطب المحرصة والأخبار الكاذبة بموسيقى مثيرة وهزليات شعبية وموسيقى كلاسيكية رفيعة. رأى جوزيف جوبلز وزير هتلر للدعاية والتوعية في الإذاعة سلاحا جديدا في الحرب من أجل كسب القلوب والعقول التي كانت بالنسبة لتسليح البلاد في مثل أهمية الطائرات الحربية والدبابات. سرعت وزارته تطوير راديو يُعتمد عليه ويسعر مناسب للجميع، ما يسمى براديو الشعب. أريد أن يكون في المستقبل في مطابخ البيوت وفي الحانات، في زوايا الزبائن الدائمين في المقاهي وفي أماكن العمل. وقد كتب وزير الدعاية جوبلز "الإذاعة هنا هي الوسيط الأول والأكثر تأثيرا بين الحركة الفكرية والشعب، بين الفكرة والناس"، لقد صهر راديو الشعب القائد والمجتمع معا.

عرفت اللغة الشعبية ما أمله الوزير من الراديو وسمي الراديو الشعبي بـ " فم جوبلز " حيث يشي الاسم أيضا بما حلم به النازيون: فهمم في كل إذن. في معرض الإذاعة الألماني العاشر في أغسطس ١٩٣٣ عُرض موديل جديد

للراديو على الجمهور. بسعر يبلغ ٧٦ ماركا ألمانيا. كان
أرخص بكثير من سابقه. كانت أجهزة الراديو تكلف ٢٠٠
- ٤٠٠ ماركا وتعتبر ترفا. حقق الراديو الشعبي الرخيص
الذي صار الجهاز الصغير منه بعد وقت قصير يكلف ٣٥
ماركا فقط، نجاحا سريعا. توفر لدى عرضه ١٠٠٠٠٠
جهاز، بعد ذلك بسنتين نزل ١,٣ مليون جهاز إلى
الأسواق. وعند اندلاع الحرب كان عدد الأجهزة ٣,٥
مليون. كان بوسع أصحاب السلطة أن ينطلقوا عام ١٩٣٥
من ٦,٧ مليون وفي عام ١٩٣٩ من ١٢,٤ مليون مستمع.
كان لدى ٦١ % من العوائل عام ١٩٤١ جهاز راديو. فمن
لم يكن يملك جهاز راديو شعبيا كان يريد أن يوحي بأنه
ليس من الشعب، وانه لا يهتم بكلمات القائد.



لقد أفصح النازيون عن هذا الجبر والقسر بصراحة. ورد في نداء لـ "غرفة الإذاعة الاشتراكية القومية" في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٣: "لا يجوز في هذه الأيام، حيث ينبغي التعريف بكرامة وشرف ووحدة الشعب الألماني في كل

أنحاء العالم بشهادة قوية، أن يوجد بيت ألماني لا يتوفر فيه جهاز راديو يحقق الاتصال المباشر في كل وقت لكل رفيق مع القائد ورفاقه في الكفاح في الحكومة والحزب. ... لقد أثبتت الأحداث السياسية الأخيرة مرة أخرى أن الاستماع إلى الراديو ليس مسألة ترفيه شخصي وإنما ضرورة وواجب سياسي تفرضه الدولة.

أريد للسينما كذلك ألا تبقى في المستقبل مكانا لمجرد الترفيه. لكن جوبلز لم يكن رئيس دعاية فظ وغبي، بل أن تصوره عن طريقة استخدام هذه الوسائل الجديدة المحبوبة من الجماهير بأفضل وجه كان حديثا جدا. إلا أن كل سيناريو فحص منذ الآن فصاعدا في وزارة الدعاية، ولم يعد بالإمكان تصوير أي فيلم دون موافقة الجهات الرسمية. كان ينبغي فقط ألا يلاحظ المرء ذلك في الأفلام: فقد كان جوبلز يعرف أن الناس لا يحبون هذا. كان يعتقد أن ما لا يلفت النظر يؤثر بشكل أقوى. "لا نريد كذلك أن نكبح التسلية الصغيرة. لا ينبغي أن يقوم المرء بالتوعية من الصباح حتى المساء" هكذا كان يقول.

إلا أنه فرض على جميع الذين يعملون في الصناعة الكبيرة للتسلية والثقافة أن ينتموا إلى غرفة ثقافة الرايخ التي تقع

تحت إشرافه. اعتبر من لم يفعل غيرَ موثوق به سياسيا. من لفت الانتباه بشكل غير مستحب واستُبعد منها لم يجد بعد الآن في ألمانيا عملا كممثل أو مغن أو مخرج أو راقص أو كاتب سيناريو.

استُخدم الفيلم لدى الشبيبة أيضا كأداة مؤثرة للدعاية. أُدخلت عام ١٩٣٤ بشكل إضافي ساعات لأفلام الشباب. هذه الفعاليات لشبيبة هتلر كانت مفتوحة للشبان تحت سن الثامنة عشرة. في عام ١٩٣٤/١٩٣٥ أُقيمت ٣٧١ فعالية من هذا النوع حضرها ما يقرب من ٢٢٠٠٠٠ مشاهد، وفي الشتاء الأول للحرب ١٩٣٩/١٩٤٠ بلغ عدد المشاهدين ٣,٥ مليون. شاهد هؤلاء في عرض الأخبار الأسبوعي الألماني الذي كان يسبق عرض كل فيلم ما كان جوبلز مستعدا لإطلاعهم عليه عن سير الحرب. رأوا جنود ألمانيا منتصرين وأعداء راكعين.

إنها تعرف ما تريد

"إذا جئنا إلى السلطة يجب عليكم أن تنتجوا أفلامنا" يقال أن هتلر قال لهم هذا عام ١٩٣٢ في أول لقاء. حققت ليني ريفنشثال (١٩٠٢ - ٢٠٠٣) نجاحا مهنيا كمخرجة سينمائية في دولة النازيين. لقد اعتبرت نفسها فنانة غير سياسية، لكن فيلمها "انتصار الإرادة" عن مؤتمر حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي في نورنبورج كان فيلم



دعاية مؤثرا، أظهر هتلر وكأنه مخلوق فوق أرضي. "امرأة تعرف ما تريد"، هذا ما ذكره جوبلز في يومياته. حصلت عام ١٩٣٦ على تكليف بتصوير فيلم عن الألعاب الأولمبية في برلين. احتاجت ريفنشثال قرابة سنتين لتقطيع ٤٠٠٠٠ متر من الفيلم عن "احتفال الشعوب والجمال".

أقيمت في الريف أيضا، حيث لم تكن ثمة دور للسينما، مثل هذه الفعاليات. ذهبت السينما المتجولة إلى هناك، عرضت بعد الظهر أفلاما للأطفال، وفي المساء للكبار. تظاهرت الاشتراكية القومية التي طاردت فنانين كثيرين فغادروا البلاد أو أودعتهم معسكرات الاعتقال أو قتلهم، بأنها سلطة ثقافية حديثة لطيفة نفخت ريحا نقية في الضواحي أو في بيوت العوائل المتزمتة. على الشاشة غناء، رقص، مزح، وترنم ممثلون مثل ماريكا روك، هاينريش جيورج، هيلدا كرال، هاينز رومان، فيرنر كراوز وهانز موزر حتى بعد أن أخذت القنابل تسقط فوق ألمانيا. فالمحافظة على المزاج الطيب حسب ما يرى جوبلز "مهمة للحرب"، وبالذات حين يكون علينا أن نتحمل أعباء ثقيلة، يكون ذلك مطلبا ملحا لقيادة الحرب الناجحة على الجبهة وفي الوطن."

وهكذا تغلغت الاشتراكية الوطنية في كل شيء في هذا المجتمع وغزت بالراديو الشعبي وصناعة الأفلام حتى المناطق ذات الخصوصية الشخصية للناس. كان ينبغي ألا توجد منطقة واحدة خالية من الايدولوجيا ومحصنة ضد النازية بعد الآن. المدارس، السينيمات، غرف المعيشة أصبحت جميعها ساحات استعراض للنازيين. وقد أرادت السلطة البنية (النازية) الحاضرة في كل مكان ألا تستثني أي مؤسسات حتى التي لا تقع تحت سلطة النازيين أو خارج صلاحية الدولة مثل الكنائس.

كان الأسقف لودفيج مولر قد منع منذ ٤ يناير ١٩٣٤ القساوسة من أي نقد سياسي في مواعظهم. منذ ذاك الحين أطلق معظم الموالون للنظام النازي ظاهريا وباطنيا على أنفسهم "المسيحيين الألمان". ونضرب مثلا بأن أشياء مثل التفسير الديني لموعظة الجبل بشكل خاص يتفق مع السلطة الجديدة لم تعد من الأمور الغريبة والاستثناءات، والجدير بالذكر أن موعظة الجبل هي نص مركزي للمسيحية المسالمة، كان تفسيرا يتفق تماما مع مقاصد الاشتراكيين الوطنيين. وقال معلم الدين في مدرسة مارينانا بحماس: لو هبط المسيح من السماء هذه الأيام لتحمس

لمعونة الشتاء وللجمعية الخيرية الشعبية، نعم، ولقال حتى
عن المنشأتين اللتين أرغم الناس على العمل فيهما من أجل
المجموع: "لقد أحسنتم صنعا!" ولشكر ابن الله القائد ادولف
هتلر على ذلك بصراحة شديدة.

في المدرسة ابتلعت ماريانا وصديقاتها اللاتي تربين تربية
مسيحية احتجاجهن وصمتهن. ولكن في حلقة الكتاب
المقدس التي التقين فيها في المقبرة القديمة لمدينتهن
الصغيرة، وكانت هذه اللقاءات شبه ممنوعة، لذا كان يعلن
عنها على أنها لقاءات شخصية، لم يخفين هنا رفضهن
لهذا التفسير النازي للكتاب المقدس. ويرجع هذا لأحسسهن
أنهن كن في هذا اللقاء عند المقابر وحدهن في الآخر
الدنيا، كن واثقات أنه ليس بينهن في هذه المجموعة من
المؤمنات إحدى المتحمسات للصليب المعقوف اللاتي
يتجسسن عليهن. ولكن لا بد أن تكون بين الفتيات واحدة
نقلت الحديث. ففي اليوم التالي استوقف معلم الدين الذي
كان مدير المدرسة في نفس الوقت، ماريانا وهي في طريقها
إلى الصف. أصرطحها معه إلى مكتبه. أراد أن يعرف:
"عما تحدثتن أمس في حلقة الكتاب المقدس؟" لم تغير
مارينا الحقيقة، دون أن تكشف نفسها. "لقد قارنا موعظة

الجبل مرة أخرى مع درسكم." تركها المدير تذهب إلى صفها دون أن يعلق على جوابها. لم يكن يتوجب عليه أيضا أن يفعل ذلك، لقد وصلت رسالته إلى الصبية ذات الأحد عشر عاما. عرفت ماريانا الآن أنه لم يبق ما هو خفي على النظام، بل الأسوأ من ذلك أنها عرفت الآن أن ثمة واحدة أظهرت لها وجه صديقة لكنها تصرف كجاسوسة وخائنة. الريبة، الشك، الشعور بالعزلة مرت في ذهنها. فهمت الآن لماذا كان أبواها يغلقان النوافذ ويتأكدان من أن باب المنزل مغلق حين يتحدثان عن السياسة وعن النازيين. كانت قد اعتبرت ذلك حتى الآن مغالاة في التحفظ. عرفت الآن، ما كانت الأم تعنيه حين كانت تقول لها في الصباح المبكر في طريقها إلى المدرسة: "انتبهي لما تقولين".

لكن لم يقف جميع الأطفال إلى جانب آبائهم إذا ما بقي هؤلاء على مسافة من النازيين. كانت آنادورا من "فتيات هتلر المتحمسات" حين سمح لها وهي في العاشرة أن تنتمي إلى جمعية شباب هتلر. كان والدها رجلا متدينا ومعلما في منطقة الألب في شفاين التي نظر إليها النازيون بارتياح كبير. لكن آنادورا أرادت أن تنتمي إلى الفتيات

اليافعات، أن ترتدي بذلة موحدة مثل الفتيات الأخريات - تنورة سوداء ببلوزة بيضاء مغلقة الأزرار ومنديل عنق أسود مربوط بعقدة جلدية تشبه ربطة عنق. ارتدت جميع الفتيات بين سن العاشرة والرابعة عشرة اللاتي تم قبولهن في الجمعية هذا الزى. وكان مثل الجميع فخورات أن يكن مختلفات عن آبائهن.

استقبلت آنادورا يوم أدائها قسم اليمين متلهفة. في ٢٠ أبريل، يوم ميلاد هتلر جرى ضم الفتيان والفتيات إلى جمعية شبيبة هتلر في احتفال - كما لو أن البلاد تهدي أطفالها معنويا إلى القائد. معلم آنادورا الذي لم يكن له أطفال، تبرع لها بهذه المناسبة بصديريّة بنية جميلة جعلت الزي الرسمي كاملا. ولكن لم يكن جميع الآباء والأمهات قادرين على شراء شيء كهذا، فقد كانت الصديريّة باهظة الثمن. كانت آنادورا سعيدة حين سحبت قائدة الجماعة عند أداء القسم الاحتفالي العقدة الجلدية التي تربط منديل الرقبة ورفعتها حتى العنق علامة على قبولها في شبيبة هتلر، إنها الآن أخيرا واحدة منهن.



اندمجت الفتاة النشيطة وسط الجميع فهي كانت تحب الاختلاط بالناس. كان شعور آنادورا أيضا عن هذه الفترة مثل شعور الكثيرات ممن هن في مثل سنها - كان هناك نشاطات تشغل الوقت دائما: تعلم الفتيان والفتيات في معسكرات نهاية الأسبوع والعطلة أن يجدوا طريقهم في الساحة بمعونة البوصلة والخريطة، طافوا مغنين ومستعرضين عبر وطنهم. لم يعوا أبدا أنهم وقعوا خلال ذلك أكثر فأكثر في قبضة الدولة التي أرادت أن تصوغ هؤلاء الشبان حسب تصورها، ولكن "القائد" كان يعي ذلك. "هؤلاء الشباب، إنهم لا يتعلمون شيئا آخر سوى أن يفكروا بطريقة ألمانية، أن يتصرفوا بطريقة ألمانية، وحين يدخل هؤلاء الصبيان في سن العاشرة منظماتنا، ويستنشقون هناك

للمرة الأولى هواءً نقياً ويشعرون به، ثم يدخلون بعد أربع سنوات قضاؤها في الشعب الشاب، شبيبة هتلر، ونحتفظ بهم هناك أربع سنوات أخرى، ثم لا نعيدهم حقاً إلى أيدي منجبي صفوفنا وطبقاتنا القدامى، وإنما ندخلهم في الحال الحزب، في جبهة العمل، في فرقة الهجوم أو سرب الحماية، في فيلق سائقي الشاحنات الاشتراكيين الوطنيين وهكذا. وحين يكونوا قد قضاوا هناك سنتين أو سنة ونصف ولم يصبحوا اشتراكيين قوميين تماماً فإنهم يرسلون إلى خدمة العمل ويجري هناك صقلهم لمدة ستة أو سبعة أشهر، الكل بشعار واحد، المعزقة الألمانية. وإذا كان ثمة ما تبقى هنا أو هناك بعد ستة أو سبعة أشهر من الوعي الطبقي أو التعالي الفئوي فيتولاه الجيش لمواصلة معالجته لمدة سنتين، وحين يعودون بعد سنتين أو ثلاث أو أربع ندخلهم كي لا ينتكسوا بأي حال من الأحوال، في فرقة الهجوم أو سرب الحماية في الحال وهكذا، ولن يكونوا أحراراً ثانية طول حياتهم!"

تبدو هذه الجملة الأخيرة شيطانية بالنسبة لأسماعنا اليوم. لكنها كانت لأنادورا يومذاك الانتماء إلى عالم "لم ينقص فيه شيء". على سبيل المثال الأمسيات في دار شبيبة

هتلر. هذه الدور التي أصبحت في بعض المناطق غرفا في مدرسة، وفي أخرى بيوتا كانت مصادرة من منظمات شباب سابقة والتي كانت قد تم حلها أثناء الحكم النازي . كانت آنادورا شديدة الشغف بالمسرح، وكان لها هنا أن تتغنى بأغاني الحب أو تتقمص بتقان دور امرأة نبيلة شقراء.

أحبت أيضا الاستعراضات على طول الساحة. لم يكن يزعجها أن يضع المرء في حقائب الظهر حجرا للفتيات لتقويتهم. لم تشعر في ذلك بالإرهاق: "لقد غنينا، فقط غنينا دائما"، هذا ما احتفظت به ذاكرتها حتى اليوم. كانت تشتعل حماسة حين تشترك في احتفال صباحي لمنح الصليب الفخري للأم الألمانية. هكذا كرمت النساء اللاتي كان لهن أربعة أطفال أو أكثر. أرادت الدولة الجديدة أن تحصل على أطفال، أطفال كثيرون يمكن تربيتهم بالروح الألمانية تماما. في مثل هذه المناسبات اقشعر بدن آنادورا أحيانا، هكذا بدا لها كل شيء عظيما ومهما، وقد كانت جزءاً منه.

كان النازيون أساتذة في إيقاظ مثل هذه المشاركة الوجدانية. عرفوا كيف يستخدمون بصورة محسوبة الاحتفالات

والمهرجانات من أجل تأثيرها. حضرت القرية بأكملها إلى احتفالات تحول الشمس وبدء الصيف على سبيل المثال، وهي عادة جرمانية قديمة، استخدمت من أجل إبعاد الناس عن الكنائس المسيحية ورسالاتها. جرى الاحتفال وسط زعيق الأبواق وضجيج الطبول في ضوء المشاعل وأكوام الحطب المحترق. حين كانت النار تخدم قفزت أنا دورا فوقها كما فعلت الأخريات دون أي خوف. استطاعت بهذا أن تثبت شجاعتها أمام الجميع، صلاحيتها للعصر الجديد. وكانت مثل هذه الإشارة ضرورية إذا أراد المرء التقدم، خاصة إذا أراد المرء نفسه أن يكون قائدا صغيرا في منظمة الشبيبة الكبيرة. الشباب يقود الشباب، على هذا المبدأ اعتمدت شبيبة هتلر. خلق هذا وهم الاستقلال الذاتي - رغم أن قائد شبيبة الرايخ كان يراقب الجميع.

الخروج من بيت الأبوين، كان هو البديل المليء بالمغامرة للحياة اليومية المملة بين أداء الواجبات المدرسية والمساعدة في عمل المنزل كان في الواقع مقننا ومخططا له من فوق بصرامة. لم يترك شيء للصدفة. قرّضت خطة تعليمية ما يجب أن يتعلمه أطفال هتلر وشبيبة هتلر وفتيات هتلر ومراهقات رابطة الفتيات الألمانيات. تعرف الصغار بين

سن العاشرة والرابعة عشرة في السنة الأولى على الآلهة الألمانية والأبطال الألمان. وفي السنة الثانية كان عليهم أن يتعلموا كل شيء عن "الألمان العظام" مثل هيرمان، أمير الشيروسكريين، عن أندرياس هوفر بطل التحرير من جنوب تيرول وعن بسمارك أول مستشار ألماني للرايخ. في السنة الثالثة يُدرس تاريخ ما قبل الرايخ الثالث. حياة ليو شلاجيتز على سبيل المثال، الذي كان منذ ١٩٢٢ عضواً في حزب العمال الألماني الاشتراكي القومي، الذي نظم العمليات التخريبية عند احتلال الجيشين الفرنسي والبلجيكي منطقة الرور حين تأخرت ألمانيا عن دفع تعويضاتها عن الحرب العالمية الأولى. أعدم شلاجيتز. من هنا اعتبر في الحركة الاشتراكية القومية شهيداً مات من أجل الكفاح السياسي. وفي السنة الرابعة تعلق الأمر بكبار الحركة الاشتراكية القومية: بآدولف هتلر والسائرين معه. كان مُهماً في جميع الموضوعات "الاتجاه الرئوي إلى العالم"، "الكفاح من أجل الرايخ"، "الشعب وميراثه العنصري"، "الشعب ومجال حياته"، هكذا سميت الوحدات ودون أن يلفت الأمر الانتباه تقريباً تحولت أمسيات الدار على هذا النحو إلى إعداد نفسي للحرب.

كان علم الأجناس أيضا موضوعا تعلموا فيه من ينتمي إليهم ومن لا ينتمي. بعد مثل هذه الدروس قيمت آنادورا زميلاتها وزملاءها تقييما جديدا تماما وصنفتهم كما تعلمت إلى "آريين" و "غير آريين". ذات يوم وبخت صبيا صغيرا معاق وله رأس مكور تكورا يلفت النظر: "لو كان لك شعر أسود أيضا لكانت لك جمجمة مكورة وكان عليك أن تذهب إلى البولاك." (البولاك تسمية تطلق على البولنديين وهي للتحقير)

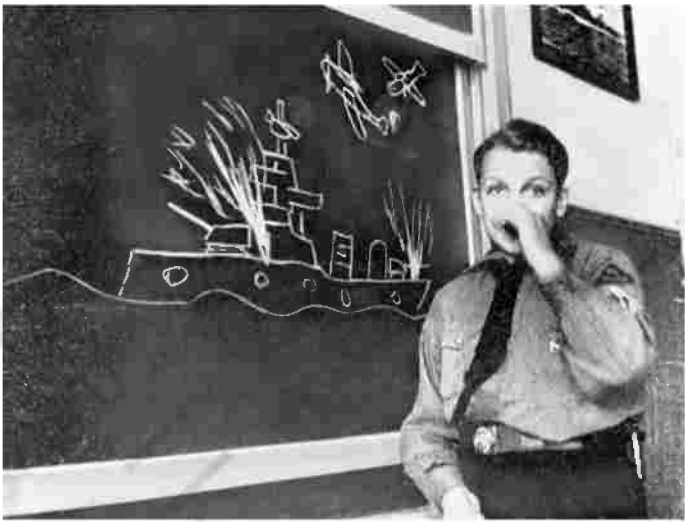
في صورة النازيين للعالم كان ثمة مذنب في كل شيء. ما رأيته آنادورا في طريقها من المحطة إلى المدرسة الثانوية في صباح العاشر من نوفمبر ١٩٣٨، اليوم الذي أعقب ما يسمى بـ "ليلة الكريستال" ليلة حدثت فيها تجاوزات مقصودة ومخطط لها ضد المواطنين اليهود، لم يسبب لها الضرر من الصورة التي مثلت أمامها. بل على العكس: ذهبت مع أخريات بشكل خاص في طريق غير مباشر لأنهن سمعن "أن ثمة ما حدث لليهود في الليلة الماضية". حين رأت فتيات الثانوية الزجاج المحطم للمحلات اليهودية ودمى شبابيك العرض التي انغرزت فيها شظايا الزجاج، قمن برقصة فرح حقيقية. لقد أثمرت التربية على الكراهية.

٩ نوفمبر ١٩٣٨

في ليلة التاسع إلى العاشر من نوفمبر هذه أشعلت النار في المعابد اليهودية في كل مكان، نهبت المنازل، نهبت آلاف المحلات التجارية ودمرت وألقي القبض على حوالي ٢٥٠٠٠ رجل وصبي يهودي. كان على السكان اليهود أن يؤديوا تعويضاً مقداره مليون مارك ليصلحوا الأضرار التي نشأت عن "الغضب الشعبي" في "ليلة الكريستال". منع اليهود منذ الآن من ممارسة أي نوع من تجارة التجزئة والمعاملات التجارية والمعارض كما حرم عليهم زيارة النشاطات الثقافية. نقلت شركاتهم إلى الأريين. بهذا صارت الحياة الاجتماعية الألمانية "خالية من اليهود". تبع ذلك منعهم من ممارسة مهن معينة وتقلص التسامح وحرية الحركة، البيع القسري لممتلكات اليهود - وسلبهم الحقوق بشكل كامل شيئاً فشيئاً. كانت تلك هي المرحلة السابقة للترحيل إلى معسكرات الإعدام. لم يصدر احتجاج من الجيران غير اليهود في أي مكان تقريباً.

لكن لم يتعلم الفتیان والفتیات الرؤية الجديدة للعالم في أماسي دار شببية هتلر وحدها وإنما وجهت المواد الدراسية في المدارس توجيهها سياسيا، حتى الحساب. في "الكتاب المساعد للمعلمين" لعام ١٩٣٥ كانت قد فرضت واجبات جعلت الحساب مكيفا لخدمة التربية الوطنية. "تكلف بناء مصحة للمجانين ستة ملايين مارك". والسؤال، "كم عدد الأحياء السكنية التي كان بالإمكان بناؤها بهذا المبلغ بكلفة ١٥٠٠٠ مارك للواحد منها؟ هكذا أوحى للأطفال لدى حل المسائل الحسابية وبصورة عرضية أي عبء شكل المعوقون بدنيا أو عقليا على "جسد الشعب الألماني". ما هو الأقرب من التفكير في حل آخر للمشكلة؟

كان بإمكان المرء أن يعتاد أيضا على أشكال جديدة للحرب وهو يجري عملية حسابية. "تستطيع طائرة حربية ليلية أن تحمل ١٨٠٠ قنبلة حارقة. كم كيلومترا طول المسافة التي تستطيع توزيع القنابل عليها إذا ما حلقت بسرعة ٢٥٠ كلم في الساعة وألقت قنبلة في كل ثانية؟"



حين كان الأطفال يتحدثون على مائدة الغداء أو العشاء عن هذه المسائل الحسابية كانت السياسة حاضرة دائما. ولكنها كانت كذلك بغير هذا أيضا فحتى الطعام في الطبق كان قد أصبح خلال ذلك جزءاً من حركة شعبية منظمة. احتلت التغذية في أيديولوجية الاشتراكيين القوميين دورا مركزيا. الشعب الذي يطعم نفسه هو شعب قوي. المقصود بذلك: قادر على الحرب - يجب أن ينجح التموين حتى لو انقطعت خطوط التجارة مع الخارج. وكيف يمكن زيادة أهمية تموين المواد الغذائية في الوعي إن لم تربط بيوم عطلة مركزي؟ كانت الدولة الاشتراكية القومية قد أكملت للتو ثلاثة أرباع السنة من عمرها، هنا أعلن أدولف هتلر

أول يوم أحد من أكتوبر "يوم الفلاح الألماني". كان عهد احتفالات عيد الشكر المنظمة من قبل الدولة قد بدأ.

في بوكابيرج في نيدرزاكسن جرى هذا الاحتفال الهزلي في كل عام. كتبت الجريدة اليومية المحلية عام ١٩٣٦: "ينتظر وصول ١٦٥ قطارا، بزيادة ٣٠ قطارا عن العام السابق". قدم إلى فيسربيرجلاند ٨٥٠٠٠ مشارك. من لم يأت استطاع أن يقرأ في الجريدة ما عليه فعله - أن يجلس أمام الراديو. حيث تنقل "الإذاعة الألمانية التي كرست برنامج يوم الأحد لعيد الشكر، من الساعة الثانية عشرة حتى الساعة الثانية بعد الظهر في جميع قنوات البث الألمانية، الاحتفال الرسمي في بوكابيرج مع خطاب القائد".

بدأ أول عيد شكر رسمي لأنادورا كفتاة شابة باحتفال صباحي. أعلنت جريدة يوم السبت في منطقة سكناها: "سيستهل الاحتفال مثلما حصل في العام الماضي باحتفال صباحي لجميع شبيبة هنلر في الميدان أمام مبنى البلدية. يعرض الشبان بطريقة بسيطة اعترافهم بالفلاحين: "الأرض هي حياتنا". يصاحب ذلك رفع العلم الذي يشارك فيه أعضاء من الحزب". أغلب الظن أن أم آنادورا قد طبخت في ذلك اليوم حساء الخضار، فقد كان حساء الخضار منذ

أكتوبر ١٩٣٣ واجبا في جميع أنحاء الرايخ. وجب التبرع بما وفرته هذه الوجبة بالمقارنة بوجبة طعام عادية لمعونة الشتاء. في بعض المناطق راقب رفاق حزيون مقتنعون ما إذا كان الجار قد التزم فعلا بحساء يوم الأحد في أشهر الشتاء. أحيانا تناول المرء الحساء ضمن وجبة حساء عامة. هكذا مد نظام الدولة سلطة أوامره حتى إلى الطباخ وقائمة الطعام.

حين ألقى القائد خطابا كان الإصغاء واجبا. "في الثامنة من مساء اليوم يفتتح القائد في احتفال كبير في قاعة ألمانيا حملة معونة الشتاء لعام ١٩٣٦ / ١٩٣٧ " كتبت الجريدة في موطن آنادورا بعد أيام قليلة من عيد الشكر. كان والدا آنادورا يجلسان في مثل هذه الأمسيات أمام الراديو، رغم أن والدها أصيب أكثر من مرة بنزيف في الأنف بسبب الانفعال والإكراه، وقد كان نزيفه في إحدى المرات حادا حتى توجب على آنادورا أن تجري لإحضار طبيب الطوارئ. لكن لم يجرؤ الأبوان أن يقاوما هذه التعليمات، فقد كان هذا خطرا، وقد أصغت ابنتهما إلى زعيق وهرير وهممة "القائد" من الأثير بحماسة.

"التكاثر كضرورة

حيوية"

أنفقت المبالغ

التي جمعت لـ

"معونة الشتاء"

بشكل متزايد

أيضا على شبيبة

هتلر وعلى "ولادة

الحياة" وهو اتحاد



تابع لسرب الحماية تأسس عام ١٩٣٩، أريد به تشجيع زيادة الولادات في جهاز المخابرات أو سرب الحماية. في خطاب احتفالي لجامعة ميونيخ طالب مدير الإقليم باول جيسلر في يناير ١٩٤٣ الطالبات أن يهدين القائد طفلا. وقد أثار هتلر فكرة الزواج الذي ينتج عنه إنجاب ثلاثة أطفال لفترة ما بعد "النصر النهائي" لزيادة معدلات الولادة "كضرورة حيوية".

كانت معونة الشتاء بالنسبة لآنادورا قضية كبيرة. بدأ الاشتراكيون القوميون بهذه الحملة للإغاثة في سبتمبر ١٩٣٣. أريد بها جمع تبرعات للناس الأكثر فقرا في

المجتمع، للعاطلين عن العمل والمتقاعدين على سبيل المثال. إلا أن هذه الحملة الخيرية استهدفت قبل كل شيء تربية مقدمي المساعدة. تعلم الأطفال والشبان خلال ذلك أن يضعوا أنفسهم في خدمة الشعب والحزب وأن يطالبوا الرفاق الآخرين في المنظمة بالطاعة. بإلحاح وعمد منظم دار المساعدون الشبان على جيرانهم وباعوا لهم شعارات معونة الشتاء. "حماية الأجواء ضرورة"، "القائد يشكركم"، "لكل طفل سرير"، "أضمنوا النصر على الجوع والبرد" أو "لنتقدم بقوتنا الخاصة" كُتِبَ على الشارات المصنوعة من الخشب أو الحديد أو النحاس.

دارت آنادورا بكل حماس ومعها حوالي ١٠٠ شارة معها وعلبة تهزها مطالبة بالتبرع. لم تترك أحدا ممن مروا بها. لقد فاتحت الجميع. وقد اشترى الغالبية البضاعة من الفتاة. بعضهم من أجل نبل الغرض، والبعض بفضل موهبتها في البيع، والبعض الآخر لأنهم خافوا أن يعتبروا دون حمل الشارة أناسا تنقصهم الحماسة للقضية النازية.

شُجِعَ طموح الفتيات اللاتي يجمعن التبرعات من خلال مسابقة. أظهرت آنادورا في ذلك أفضل أرقام المبيعات - وكوفئت بجولة فوق مدينتها في طائرة ذات محرك واحد

جلست فيها وحدها مع الطيار. كان ذلك مغامرة حقيقية في وقت لم تكن فيه الرحلات الجوية أمرا عاديا. طبقا لذلك كانت آنادورا فخورة رغم أنها شعرت بالغثيان أثناء الطيران حتى أنها استلقت بطولها على العشب على جانب ساحة المطار بعد الهبوط مباشرة. لقد كوفئ اجتهداها وعملها أمام أعين الجميع، هذا هو المهم.

لم تجمع ماريانا وأخواتها فقط نقودا لمعونة الشتاء، بل أيضا ورقا مستعملا، كن يقمن بتصنيفه في المدرسة أيام الاثنين، يوزن الورق ويسجلن عدده. أيضا شعار بقايا الطعام مثل الزيوت كانت تتحول إلى "صابون لجنودنا في الجبهة الشرقية" كما أوضح المرء للتلميذات. علقت رائحة عظام مسلوقة في غرفة الدرس حين جاءت التلميذات ببقايا الطعام من البيت. جاء الشبان بزلاقاتهم، ضحوا بألعاب الأطفال، جمعوا معادن قديمة - كل شيء من أجل الوطن. الأعشاب الطبية مثل حشيشة السعال والفرزة والهندب والبابونج وذنوب الخيل وزهرة الكشتبان والبليس وثمار شجرة الغبيراء وأوراق البتولا والغار والبيلسان والعليق والتوت الأرضي، مثل هذه الأعشاب الطبية جرى جمعها وتسليمها مرة إلى تاجر ومرة إلى مجموعة نسائية تابعة للاشتراكيين

القوميين، لثُجِّفَ ويصنع منها "شاي ألماني". ادخرتا البلاد وجمعت قواها- احتاجت الحرب إلى مواد أولية.

خنازير للقائد

استلمت فتاة من هاتجن الاعتراف التحريري التالي من مدير المجموعة المحلية: "للمالك كعلامة على الامتتان، للأبوين للتكريم، كبرهان أمام الأمة، نؤيد ما يلي: جمعت روزاماري في شتاء ١٩٣٦ حتى مايو (أيار) ١٩٣٧ في الحيز الذي نسبت إليه بقايا المطابخ لغرض استعمالها علفا للخنازير. على هذا النحو أمكن تسليم ٩٢ خنزيرا مسمنا إلى المجموع. كان النجاح ممكنا فقط لأن الآباء أدركوا أهمية الجمع ولم ينظر المرء إلى الوضع الاجتماعي والمرتبة وإنما جهد أن يكون نازيا بالفعل.

عمل الأطفال هو موضوع حيوي أيضا، فقد فرغت البلاد. اختفى الآباء، الإخوة، الأبناء والأصدقاء - في نهاية

أغسطس (آب) ١٩٣٩ حمل أربعة ملايين ونصف المليون من الرجال السلاح. في الأول من سبتمبر (أيلول) هاجمت ألمانيا بولندا - دُمجت صفوف المدارس مع بعضها لأن المعلمين مضوا بصورة متزايدة إلى الميدان. لم تعد العائلات تجتمع من الآن فصاعداً إلا بين حين وآخر في العطلات التي يحصل عليها الرجال من الجبهة. انحصر الاتصال مع الذين بقوا في "الجبهة الداخلية" على الطرود الصغيرة والرسائل. كان الأطفال قد أعدوا لهذا الغياب طيلة سنوات. فالمسألة كانت تتعلق بالتقدم من أجل الوطن. تقدر الرسائل التي تبادلها الجنود مع أسرهم في سنوات الحرب العالمية الثانية بثلاثين مليون رسالة - مثل تلك التي أرسلتها جيرترود ذات العشر سنوات إلى والدها في سبتمبر (أيلول) ١٩٤١:



"أبي العزيز! آمل أن تكون بخير. الحرب تتقدم. لقد تابعنا في المدرسة دائما أين يقف الجنود الألمان. لقد بدأت الدراسة منذ ٢٨ أغسطس (آب) من جديد. (...) لم يعد لدينا سوى ثلاثة معلمين ومعلمتين. صفنا مليء بالتلاميذ. مجموعنا وصل إلى ٥٨ طفلا. أريد أن أذكر باجتهاد لأنجح في السنة التالية أيضا. في (...) يرى المرء جنودا

كثيرين وسيارات عسكرية. ستأتي بالطبع في إجازة قريبة. سقط الكثير من الجنود من (...) الكبيرة. مات في روسيا ٢٧ جنديا كما روت معلمتنا. سيكون الجو هنا باردا في الغالب. في المدرسة جرى تحسين التدفئة كي لا نرتجف في الشتاء. (...) لا نعاني من الجوع. تنز الطائرات الإنجليزية أحيانا محلقة فوق بيتنا، لكنهم لا يلقون قنابل. كثير من الأسرى الروس هنا في نيدرجرافشافت. يبدو عليهم التخلف والغباء. هرب أحدهم قبل وقت قصير وقتل امرأة في مكان قريب من المعسكر. لقد ألقى عليه القبض ومن المؤكد أنه سيعدم رميا بالرصاص. سنذهب غدا إلى بريمن. تحية قلبية من أبنك: ترودل الصغيرة.

بعد وقت قصير تأثر بالحرب أولئك الذين لم يكونوا في الجبهة أيضا. في ٢٧ آب (أغسطس) ١٩٣٩ بدأ تقنين مواد معيشية معينة.

بطاقات للمواد الغذائية

قبل الحرب ضد بولندا بأربعة أيام خضعت المنسوجات والتبغ ومواد غذائية معينة لـ "التأمين المؤقت لحاجة الشعب الألماني" ولكن بدأ ظهور نقص في المواد الغذائية مع قرب

نهاية الحرب في أماكن كثيرة، هذا النقص لم يعد من الممكن تعويضه كما كان من قبل عن طريق التوريد القادم من الدول المحتلة ولا عن طريق السوق السوداء. جرى "تجويد" عمال السخرة وأسرى الحرب وسجناء معسكرات الاعتقال بالمعنى الحرفي للكلمة، خاصة عمال السخرة البولنديين والروس فقد خفضت حصتهم بدعوى عملهم "السيئ".

اللحم والخبز والسمن لم تعد توزع إلا بالبطاقات. انخفضت كمية الأغذية المتوفرة مع استمرار الحرب أكثر فأكثر. في نهاية سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ كانت حصة الخبز للمستهلك العادي ٢٤٠٠ جرام فقط في الأسبوع. أصبحت ١٧٧٨ جراما فقط في منتصف مارس ١٩٤٥. انخفضت حصة اللحم من ٥٠٠ إلى ٢٢٢ جراما. كذلك كمية السمن. فبدل ٢٧٠ بقيت ١٠٩ جرام فقط. لم يحتج كارل وماريانا وأم آنادورا منذ ١٩٣٩ نقودا فقط للتسوق، وضعوا في محافظهم من الآن فصاعدا البطاقات التموينية التي تمنحهم الحق أولا في شراء قطعة لحم أو رغيف خبز. في البيت جرى التدبير. أعدت الأم والجدة لأعياد الميلاد كعك الجوز من

مطحون الشوفان وطبخنا من التفاح أداما يعوض عن
المربى وكان يخدش الحلق خدشا فظيعا. كانت هذه هي
المساهمة في أعياد ميلاد الحرب التي أمكن أن يسهم المرء
بها في الجبهة الداخلية.

نداء إلى ربة البيت الألمانية

"إنه لأمر مفهوم أن المرء يجب أن يتحمل بعض القيود إذا
ما أراد تحقيق ما هو عظيم. لهذا أتوجه إلى ربات البيوت
الألمانيات. تقع على عاتقن مسؤولية كبيرة. يتوجب عليكن
بالدرجة الأولى أن تضعن الأطعمة المتوفرة في الموسم
والمتيسرة على قائمة الطعام ... إنها لخطيئة أن يريد المرء
دائما شراء ما لا توفره الطبيعة في تلك اللحظة بالذات
والحصول عليه. خطاب لجورنج في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٦

في المدرسة غرس الأطفال رايات صغيرة على خريطة
أوروبا، ليستطيعوا المشاركة ولو معنويا في حملات النصر

للجنود الألمان. أعدوا يوميات عن الحرب بقص مقالات الصحف حول الجيش الألماني المنتصر ولصقها. "أصاب السلاح الجوي ١١ سفينة تجارية" كتب في الثاني من مارس (آذار) ١٩٤١ على سبيل المثال. أو "نجاحات كبيرة في العمليات في شرق أوروبا " دونت ليزا أخت ماريانا ذات السنوات السبع ذلك بحروف كبيرة على صفحتين في دفتر يومياتها، بعد دخول الألمان الاتحاد السوفيتي في يونيو (حزيران) ١٩٤١. على ظهر صفحة أخبار الصحف هذه التي جرى جمعها كانت هناك زاوية الشطرنج والكاريكاتير ونتائج مباريات كرة القدم المحلية، كما لو كان ذلك شهر عاديا تماما. لكن شيئا آخر كان يوحي بأن الأمور ليس عادية تماما وهو الأمر بتعتيم وتخفيض الإنارة بين الساعة التاسعة والنصف مساء والخامسة والدقيقة الرابعة والعشرين صباحا كإجراء احتياطي وأمني.

سمع الأطفال مع أمهاتهم "طلبات المستمعين للجيش". مع غزو ألمانيا لبولندا أصبح هذا البرنامج حلقة وصل حقيقية بين الوطن والجبهة. "اسمعوا يا جنود الجيش الألماني!" توجه رئيس الإذاعة في وزارة دعاية جوبلز إلى القطاعات: "لقد كتبتم لنا في الأسابيع الأخيرة رسائل كثيرة من الجبهة،

ونحن نستخلص من رسائل الجبهة البريدية دائما شيئا واحدا: الرغبة في الموسيقى. طلب منا الكثيرون منكم أن نذيع مرة موسيقاهم المفضلة. سنلبي بسرور هذه الرغبات قدر المستطاع. لهذا تقيم الإذاعة الألمانية الكبرى يوم الأحد، الأول من أكتوبر ١٩٣٩ من الساعة الرابعة بعد الظهر وحتى الساعة الثامنة مساء أول حفلة تلبية لذلك. عندها سنعيش معا أربع ساعات ونقيم عبر برنامجنا لطلبات المستمعين بين الجبهة والوطن رابطة قوية. " منذ الحلقة الأولى وصلت طلبات المستمعين رغبات في ٢٣١١٧ رسالة من الجبهة. ساهم الكثير من الممثلين المشهورين يوم ذاك في برنامج طلبات المستمعين، كما شارك فيه أيضا جوستاف جروندجنس، الممثل الذي يمتلك شعبية كبيرة والذي كان جورج يقدره بشكل خاص. كان يمكن سماع "صوت الوطن" في كل الجبهات:

"حيثما امتدت حدود الوطن، تقفون أيها الجنود لحماية البلاد، تقفون مثل جدار قوي حي، كجدار مزدوج من قلوب وفولاذ - ويحيط بكم أنتم جميعا رباط مشترك. الوطن الذي تقفون من أجله وتحرسونه، الوطن معكم ليلا ونهارا (...). وإذا ما سماكم هذا الصوت إخوة فإنكم تعرفون من هو هذا

الصوت. إنه الوطن الذي يحبيكم، الوطن الذي لا ينسى
أحدا من أبنائه. وإذا أثر فيكم هذا الصوت وانتقل بكم إلى
بيوتكم، فإنكم تشعرون أينما كنتم وحيدين، بخفقة قلب فوق
المكان والزمان بحب وإخلاص وطنكم."

التحالف مع الأقوياء

غادر ألمانيا الكثيرون من زملاء الممثل المشهور جوستاف
جروندجنس من اليهود لأنهم لم يعودوا يملكون إمكانية
للعمل أو لأنهم خافوا على حياتهم. بقي جوستاف
جروندجنس (١٨٩٩ - ١٩٦٣) وحقق بتشجيع من جورنج
نجاحا مهنيا. لم يكن عضوا في الحزب، لكنه منح النظام
النازي كمدير وممثل بريقا فنيا. شقيق زوجته السابق الذي
هرب من النازيين إلى خارج البلاد الكاتب كلاوس مان نشر
عام ١٩٣٦ في منفاه أمستردام رواية "مفيستو"، التي
استخدم فيها بوضوح حلف جروندجنس مع السلطة. في
إجراءات تطهيره من النازية بُرئ غروندجنس من قبل عدد
كبير من الفنانين وأطلق سراحه عام ١٩٤٦ من السجن
الروسي.

لبيت طلبات المستمعين منذ الآن في يومي الأربعاء والأحد من الساعة الخامسة حتى الثامنة بعد الظهر، فيما بعد في أيام الأحد فقط. كان برنامج "سجل الميلاد" محبوبا أيضا، أخبر الجندي في الجبهة من خلال هذا البرنامج متى أصبح أبا بأسرع مما يحدث عبر البريد. في مارس ١٩٤١ أوقف برنامج طلبات المستمعين. سُمي خليفته " أغاني الشعب". لكن أكثر الأغنيات الشعبية في الحرب العالمية الثانية نجاحا لم تذع في هذين البرنامجين. كانت إذاعة الجنود في بلجراد هي التي أذاعت عام ١٩٤١ طيلة أسبوع في نهاية البث أغنية فاشلة حتى الآن للمغنية لالا اندرسن: "ليلي مارلين"، حتى حذفت الأغنية من البرنامج لأن جوبلز اعتبرها غير بطولية. فالنص يروي بدقة كبيرة أن رجلا كان مستعدا لأن يخذل وطنه بسبب حبه لليلي مارلين. لم يناسب هذا فكرة الاشتراكيين القوميين عن العالم.

لكنهم أجروا حساباتهم دون أخذ المستمعين بنظر الاعتبار. احتج جنود ألمان من اليونان وكرواتيا وكريت وشمال أفريقيا وطلبوا العودة إلى بث الأغنية. عرف النظام متى يكون عليه التراجع. أذيعت أغنية "ليلي مارلين" منذ الآن في نهاية البث دائما في الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة

والخمسين وانتشرت في جميع ساحات الحرب. عبرت عن الحنين والأمل في اللقاء. وهو أمر لا يأمل فيه الكثيرون وبعضهم لم يعشه.

أصبح كارل أيضا جنديا. كذلك زوج أخت آنادورا المحبوب، زوج أختها الكبرى. وكذلك جُند أخو ماريانا وزوج أختها. شعر حتى المتفائلون بالغم شيئا فشيئا، فكثيرا ما لم تصل رسائل الأزواج والأخوة وأزواج الأخوات، وبدلا من ذلك وصلت رسائل رسمية أبلغ فيها الأبوان بموت ابنهم. "عسى أن يمنحك اليقين بأن فريتس ضحى بحياته الشابة المتفتحة من أجل طريق ألمانيا الكبرى وقائدنا، عزاء صغيرا في المصاب الأليم الذي أصابكم"، كتب عريف في الجيش في مارس (آذار) ١٩٤٢. كان فريتس قد بلغ العشرين من عمره فقط. وكان قد حصل على شهادة الثانوية قبل سنتين من موته.

جدبت البلاد. وقلق النظام من العدد المتناقص للأيدي العاملة. نقص الرجال. أدخلت سنة إلزامية للنساء غير المتزوجات تحت سن الخامسة والعشرين للعمل في الزراعة أو الاقتصاد المنزلي. اعتبرت المشاركة شرطا لممارسة مهنة ما فيما بعد. لم يعن هذا لماريانا وحدها مغادرة

المحيط المألوف ومساعدة الغرباء، لأسىما الأسر كثيرة الأطفال، وحتى تثبت لنفسها أن الحنين إلى البيت لن ينال منها، كانت تظهر صرامة مع النفس. هذا ما تعلمته كفتاة يافعة.

هكذا جاءت ماريانا خلال سنة عملها الإلزامي إلى عائلة من لايبزج لها ستة أطفال ولم تعد قادرة على تشغيل خادمة. كان على ماريانا أن تسد الثغرة، لكنها وجدت صعوبة في ذلك. كان على فتاة الخامسة عشرة أن تنهض قبل أن يطلع الصباح، ترتب غرفتها ثم تعد الإفطار للعائلة المكونة من ثمانية أفراد. تقوم بعد ذلك بتحميم الأطفال، تلبسهم، تذهب للتسوق، تنظف، تفعل ذلك ستة أيام في الأسبوع مقابل عشرة ماركات في الشهر. كانت ماريانا تحن إلى البيت.



قامت آنادورا مع رفيقاتها في المدرسة برفع الأنقاض في مدينة كبيرة دمرتها قنابل الحلفاء. لم تتحدث عن الفظائع التي رأتها، عن الموتى، عن التدمير. في العطلة ذهبت آنادورا إلى معمل يقوم بالتوريد لمعمل للذخيرة، حيث يشدون صوامل لرؤوس القنابل. كان عليها أن تبرد بالماكينة حزا في المعدن. وفي حين انتدابها إلى عملها المهم في الحرب حُذرت أيضا من التحدث بأي حال من الأحوال مع العمال الغرباء، الروس الكادحين أيضا في المصنع - توجيه وجدته آنادورا غير هام. كانوا بالنسبة لها هم الأعداء. وقد

عملت هناك في الأسلحة التي ينبغي أن يهزم بها هؤلاء الأعداء، فهي في الآخر لم ترد أن تعمل في أكبر مزرعة للعبيد في العالم طبقا للصورة التي رسمها جوبلز دائما كأسوأ خيار للمستقبل لو انهزمت ألمانيا.

كانت الماكينة التي جلست إليها آنادورا هي سلاحها في الحرب. لم يكن يعينها الأسرى الروس. حتى وقعت ذات يوم في خطأ. قفزت الشوكة التي بردت بها من ماسكتها. بتلقائية مدت آنادورا يدها داخل الماكينة وفي لحظة اختلط دمها بسائل الانزلاق الدهني. كان إصبعها قد تمزق، لكنها لم تستطع أن تسحبه. كانت واقعة تحت الصدمة وكانت كأنها مشلولة. كان الروسي الذي يعمل قريبا منها هو الذي أدرك في الحال ما حدث. قفز إلى آنادورا، أدار المقبض وأوقف مفرمة اللحم. حين توقفت الماكينة أشرق وجهه تماما. في هذه اللحظة رأت آنادورا في الأسرى وهم "البشر الأدنى" كما كان النازيون يسمونهم، رأت فيهم الإنسان الذي أخذ يخفف عنها ويضحك قائلا بلغة ألمانية مكسرة: "كنت محظوظة." منذ ذلك الحين صارت تحضر معها تفاحة للروسي الشاب كل يوم سرا، الشيء الذي كان أمرا ممنوعا.

بهذه التجربة حدث أول صدع في نظرة آنادورا إلى العالم. لم يكن قد مضى وقت طويل منذ أن مضت مع مجموعة الفتيات الشابات لتشهد الحدث المثير في عاصمة الإقليم حين أهينت امرأة شابة في العلن بدعوى أن لها علاقة حب ببولندي. وقفت آنادورا وصديقاتها، جميعهن في الرابعة عشرة، على جانب الشارع وراقبن كيف حلق شعر المرأة وعلفت حول رقبتها لافتة: "لقد لطخت الدم الألماني بالعار." باستياء صارخ دفعت الفتيات بالاشتراك مع المرأة الآخرين المرأة في الشوارع. بينما كان الرجال يقاتلون في الجبهة من أجل الوطن، كان ينبغي أن يكونوا مطمئنين إلى أن كل شيء في جبهة الداخل يسير على ما يرام. أعدم عمال السخرة والأسرى الذين شك المرء في أنهم أقاموا علاقة بامرأة ألمانية. أما النساء المعنيات فقد كن مهددات حتى بالسجن في معسكرات الاعتقال.



لم تشعر آنادورا يومذاك بالعطف على المرأة. أن يكون أول شك فيما آمنت به طيلة تلك السنوات قد تسرب إليها من خلال مودة شخص آخر فقد كان فرصة لا تتاح للجميع. انتهزت آنادورا هذه الفرصة. ماريانا التي خضعت للنظام النازي مرغمة تنفست الصعداء حين حرر الجنود الفرنسيون مدينتها الصغيرة في مايو (أيار) ١٩٤٥. أخيرا لم يعد مدير المجموعة المحلية قادرا على تهديد أبيها الذي كان يعارض على الدوام، بالشنق على شجرة كمثرى أمام بيته. وكارل الجندي الذي نجا بحظ كبير من طلقة في الرأس جاءت من العدو، وقع عدة أسابيع في الأسر الأمريكي. أظهر له طريق العودة إلى البيت عبر بلاد مغطاة بالأنقاض إن

أشياء كثيرة مما لم يجرؤ على تصويرها في حماسة الشباب
حدثت باسم الوطن الذي تغنى به كصبي.



مريم برسلر جنة ونار من ليبتزج إلى تيريزنشتاد

منذ وقت قصير بلغت "حانا لورا" من العمر أربعة عشر عاما، وتعيش منذ ثلاثة أسابيع فقط مع سبعين آخرين في مقتبل عمر الشباب على أرض أحد المعسكرات في مدينة ارنسدورف، تلك المعسكرات التي تدار من التنظيم الشبابي للحركة الصهيونية، والذي يقدم التدريب على الأعمال الزراعية ومن خلاله ينبغي أن يتم تأهيل هؤلاء الشباب على الحياة في فلسطين. فحانلورا تنتمي لمجموعة كبيرة إلى حد ما من الفتيات، واللاتي قدمن من لايبزج، درسدن،

ماجدبورج، هاله، ومن مدن أخرى. فهي كانت أصغرهن سناً، أصغرهن حجماً، وأنحفهن. فمن النظرة الأولى لها لا يصدق أحد أنها قد بلغت بالفعل أربعة عشر عاماً. فهي "عروستنا الصغيرة" كما يطلقون عليها، حينما كانت تسمع نداء الآخرين لها بـ 'حانا' فعليها أن تتوارى خلف هذا الاسم وتحتمي به. على الرغم من أن الآخرين يرددون ويطالبون منها أحياناً أن تحمل اسماً يهودياً، لكنها كانت تفضل اسماً آخر "بوشن" أو بمعنى آخر "العروسة الصغيرة". وهو اسم يدلها به الجميع وهي أعجبت به، لأنه في العادة كان يحقق لها الدور كطفلة مدللة، والذي أعاد عليها ببعض الفوائد: فمرة تحصل على نصيب زائد في الطعام ، ومرة أخرى تعفى من أداء المهام التي ما يعتقد إنها صعبة جداً على صغيرة في مثل سنها.

كان يوماً حاراً عندما حضر قائد المجموعة "سامي" إلى حقل البنجر واللفت، وهن يقمن بعزق الحقل. ونادى على الجميع، ثم بدأ في عد ثمانية أسماء من بينهن حانالورا وواصل حديثه:

"عندنا أماكن لكن في الدانمارك. فقط يجب عليكن الذهاب إلى المنزل وتكن على استعداد حتى يحين موعد الرحلة"

قالت ميرا أخت سامي الصغيرة في احتجاج:
"نحن لا نريد الذهاب إلى الدانمرك، بل إلى فلسطين"
ثم تسترسل في الحديث:

"نحن نريد السفر إلى فلسطين"

نظر لها سامي إلهين في غضب قائلاً
" لن تسافرن إلا إلى الدانمرك ولا أريد المناقش في هذه
المسألة"

عاد وقد هدأت ثورته ثم قال:
"المفروض أنكن تفرحن بخروجكن من هذا البلد الملعون،
أنتن محظوظات لأنه وقع عليكن الاختيار"
قالت ميرا في تحد شديد وقد تضامن معها بعض الفتيات
اللاتي تكاتفن سويا كتف إلى كتف رافعات أيديهن في
قبضة:

"أريد أن أذهب إلى فلسطين"

رد سامي على أخته وقادها مواصلاً حديثه:
"لن تقومي بعمل سوى ما أقوله لك، سأقوم شخصياً
بإحضارك إلى المحطة ولو أدى الأمر إلى ضربك"
امتعضت ميرا شفيتها وصمتت. أيضاً حانالورا لا تتبس
بكلمة واحدة، على الرغم من أنها أيضاً كانت لا تحلم

بالدانمرك.

في ساعة متأخرة من المساء وصلن الفتيات إلى لايبزج. ميرا وراشل في السبعة عشر من عمرهما ا، وقد أحضرتا "العروسة الصغيرة" إلى منزلها، فالإنسان لا يستطيع أن يؤمن بترك الصغيرة تمشي وحدها في الظلمة الحالكة.

الأم بكت عندما شاهدت ابنتها وقالت:

"علمت بالخبر من المنظمة"

وفي ساعة متأخرة أثناء نومهن بجانب بعضهن البعض في سرير كبير تحدثت الأم

'تمنيت لو لم اتركهن أبداً للخدمة، هيلانه وأنت. والآن ينتزع الصهاينة مني أيضاً ابنتي الثانية"

سألت حنالورا:

"أينبغي على أن أبقى هنا، هم لا يستطيعون إجباري على شيء"

الصهيونية

كتب ليون بينسكر، طبيب روسي شباب عام ١٨٨٢ (الشعب اليهودي ليس لديه دولة، فهو لا يملك حكومة ولا تمثيل. شعب مشتت في كل مكان لا وطن له. . حرية وأمن

اليهود لا يتم ضمانه إلا في وطن خاص بهم. ولكن تيودور هرتزل (١٨٦٠-١٩٠٦) المراسل لصحيفة فينا . الصحافة الحرة الجديدة . أول من أقام بحركة سياسية دولية وبالاتصال بكل القوى الدولية لإقامة دولة يهودية خاصة بهم . على أرض فلسطين .. ففي عام ١٨٩٧ في مدينة بازل بسويسرا تم عقد أول مؤتمر صهيوني. وأعلن صهيون أن القدس ستكون وطن اليهود في المستقبل. و في بازل . حيث كتب هرتزل في

يومياته . لقد أسست بالفعل دولة اليهود. ولكن إذا صرحت بذلك علانية وجها في أيامنا هذه، سوف أحصل على السخرية من العالم كله كإجابة، فربما سيدركون ذلك بعد خمس سنوات أو حتى خمسين عاما.

قالت الأم:

"لا سترحلن من هنا، فهيلانة كتبت، لا بد من الاطمئنان عليك، ولا بد أن تخرجين من ألمانيا، لو كان أبك مازال على قيد الحياة، لكانت هذه هي رغبته أيضاً. والآن تصبحين على خير"

أدارت الأم ظهرها وقد قطعت حديثها، إلا أن حانالورا

أخذت تستمع إلى تقطع أنفاس أمها غير المنتظم، والتي حاولت عن طريقه كتم وإخفاء بكائها المنهمر.

وفي بضع أيام لاحقة كن واقفات بحقائب الظهر في المحطة أمام القطار المسافر بهن إلى هامبورج. كانت راشل شغوفة وسعيدة بسفرها. أما ميرا فقد بدت شاحبة الوجه على غير عادتها، فالعناد الذي كان يبدو في وجهها قد اختفى.

أما أم حانالورا أوصت ميرا قائلة:

"من فضلك يا ميرا، ضعي الصغيرة في عيناك"

أخذت تبكي. هزت ميرا رأسها بالإيجاب، وأخذت حانالورا أسفل ذراعيها ودستها في عربة الدرجة الثالثة، في اللحظة التي فيها جلست راشل بالفعل على أحد المقاعد الخشبية، وبحركة يد من ميرا دفعتها جانبا فأخلت المكان بجوار الشباك. ساعدت ميرا حانالورا في وضع حقيبة الظهر على الشبكة، ثم دفعتها لتجلس على المقعد المجاور للشباك. نظرت حانالورا إلى الخارج على الرصيف، فشاهدت أمها بين عدد كبير من الناس صغيرة الحجم ويبدو عليها الشحوب، تائهة ووحيدة.

مع قيام القطار أخذت حانالورا تلوح لأمها فرفعت أمها

أيضاً يدها ملوحة لها ثم أخذت تبتعد ويصغر حجمها مع ابتعاد القطار، وعندما أتت اللحظة التي لا تستطيع فيها تميز أمها، قالت لنفسها:

"لم أنطق كلمة وداع واحدة لأمي على الإطلاق، كل شيء حدث بسرعة رهيبية، أنا لم أقل مع السلامة بشكل حقيقي" جلست القرفصاء متفوقة ووضعت وجهها فوق يديها وكأنها تريد النوم وتركت نفسها لحزنها العميق.

سمعت راشل تقول:

"لماذا نحن بالذات؟"

أجابتها على الفور ميرا في همس شديد:

"اخفصي صوتك، لا يجب أن نزعج الركاب، ثم أننا بدون وطن، فليس لدينا جواز سفر ألماني ولا حتى بولندي" ردت عليها راشل:

"الحمد لله، وإلا كان تم ترحيلنا مع الآخرون إلى بولندا" صمتت الاثنتان، أما حانالورا فقد علمت الآن فقط ما حدث لصديقاتها اللاتي تذكرتهن في هذه اللحظة، واللاتي يحملن جنسيات بولندية، وكيف اختفين في أياماً قليلة من الفصل الدراسي الذي كانت حانالورا تدرس فيه.



عملية بولندا

(في عام ١٩٣٨ قام جهاز المخابرات الألماني (الجستابو) بإلقاء القبض على ١٧٠٠٠ يهودي يحملون جنسيات بولندية وترحيلهم خارج ألمانيا. كثير منهم تم وضعهم تحت ظروف صعبة للمعيشة، أما في إسطنبول الخيول أو

في تكتات للجيش تقع على الحدود الألمانية البولندية. وكان من بين هؤلاء عائلة جرونسبان القادمة من هانوفر، التي قام أحد أبنائها "هرشل" باغتيال أرنست فون رات سكرتير السفارة الألمانية في باريس. وهذه العملية كانت إحدى الحجج التي استخدمها النازي في شن حملة منظمة ضد اليهود. وفي ٩ نوفمبر عام ١٩٣٨ بدأت عمليات حرق المعابد اليهودية

عند مرور القطار على مدينة هله ثم ماجدبورج صعدن ثلاث فتيات أخريات وانضممن إلى المجموعة، والآن لا

يبقي سوى روزا وبيلا. وبعد ساعات قليلة وصل القطار إلى هامبورج. ميرا قادت المجموعة إلى قطار آخر الذي ينبغي أن يقلهن إلى مدينة كيل ومن هناك يركبن العبارة إلى الدانمرك. وقد شاهدن فجأة عجائز كثيرة. وكان من الواضح أن ميرا قد تسلمت مهمة أخيها.

على العبارة تقابلن مع روزا وبيلا وأخريات من التنظيم، فكان عددهن عن أخرن جميعا خمسة وعشرون فتاة. ومعظمهن أكبر من حنالورا، كما يبدو على بعضهن النضوج، إلا أن ميرا أرادت أن تذكرهم فقالت:

"لا تتسوا جميعا أنكم أقل من عمر الثمانية عشر عاما" كان بينهم أيضاً شاب وسيدة مسئولان عن المجموعة. قالت حنالورا ومعها الآخرون:

"ماذا يجب علينا أن نفعل؟"

استرسلت حنالورا:

"وليكن ما يكون"

بعد مرور الوقت علمت من هذه الرحلة أن هذا البحر الضخم ليس باللون الأزرق كما كانت تظن، إنما هو رمادي اللون. ومع كشف النهار عن وجهه ببطء مزيحاً الليل بصعوبة شديدة، حان الوقت الذي رست فيه العبارة

على شواطئ الدانمرك. وبدأت بعض الفتيات في الغناء، فأخذت شوشي القائدة وسيدة ضخمة ذات لسان طويل وصوت شاذ تأمرهن بالصمت وقالت:
"لا يجب علينا أن نلفت نظر أحد"

شوشي كانت قادمة من هولندا حيث هربت إلى هناك مع عائلتها في الوقت الذي انضمت النمسا مع ألمانيا، وهي تتكلم اللغة الألمانية باللهجة النمساوية، اللهجة التي هي عادة غريبة في آذان حنالورا.

قام احد الأتوبيسات بتوصلهن إلى أحد المخيمات مع أطفال كثيرين أصغرهم ربما عشرة أو إثني عشرة عاما وأكبرهم ثمانية عشرة عاماً. بينما كانت حنالورا تعدوا خلف ميرا ككلبه صغيرة، حيث تتولى رعايتها دائماً دون أن تتركها تغيب عن عينها. حنالورا كانت سعيدة جداً عندما حصلت على سرير بجانبها.

كانت أسابيع قد مرت. كانت الحياة هنا كما في المعسكر سابقاً، فعليهم المساعدة عند الطبخ وأيضاً الترتيب وقبل كل هذا القيام بتقشير البطاطس، الذي عادة ما تكرهه حنالورا. فكان الجميع يقومون أيضاً ببعض الألعاب، وعندما يكون الطقس منعشاً في المساء يقومون بإشعال النار ثم

يتغنون ويرقصون، أما إذا أمطرت يبقون في الخيام ويحصلون على دروس في تاريخ الحركة الصهيونية واللغة العبرية.

كانت حانالورا تشترك في كل هذا، ولكن كان يبدو عليها وكأنها انشطرت إلى نصفين، أحدهما كان هنا في المعسكر وكان يضحك ويحاول أن يغني، أما الآخر فقد استقر في لايبزج، يحوم داخل مسكن مكون من حجرتين. فكانت عادة وفي خلسة تخرج من حقيبة الظهر الظرف به صور أخذتها من أمها، ثم تبدأ في تأملها، وكان ذلك يحدث خاصة أثناء الليل، وعلى المرتبة القش التي تنام عليها. ودائما ما تذكرت أمها التي هي مريضة على الدوام وأيضاً لا يفارقها الحزن. فهي الآن لا تستطيع أن ترعى أمها كما وعدت أختها هيلانه، التي تكبرها وقد هاجرت إلى فلسطين منذ ثلاث سنوات واستقرت في مستعمرة ليست ببعيدة عن حيفا.

المنبوذون

هروب اليهود الأوروبيين من النازي كان مليء بالصعوبات حيث أن معظم البلدان كانت لا ترغب في استضافتهم. والبلدان نفسها التي قامت باستضافة القليل منهم، أعلنت إجراءات تحد من تزايد قدوم اليهود لديها بوضع شروط

مالية. وينطبق هذا على فلسطين التي كانت تحت نيران الاستعمار البريطاني، والذي حدد ١٩٣٧ عدد اليهود القادمين إلى فلسطين ألا يزيد سنوياً على ١٠٠٠٠ يهودي. فمن ١٩٣٣ إلى ١٩٤١ قد أنقذ حوالي ٥٥٠٠٠ لاجئ يهودي فقط بلجئهم إلى فلسطين.

في عام ١٩٤١ كان يوجد في ألمانيا ما يقرب من

١٧٠٠٠٠



يهودي تم
منعهم من
الخروج من
البلاد. وكان
أكبر عدد منهم
يعيش في

برلين وهم حوالي ٣٧٠٠٠ وحتى عام ١٩٤١ قد وجد بالفعل ١٥٠٠٠ لاجئ يهودي في مهجر بأقصى الشرق في الصين: فالمنطقة الدولية في شنغهاي أصبحت من أهم مناطق اللجوء. وكان الوصول إلى هناك إما بالسفن أو بالقطار عبر سيبيريا. وذلك بجواز سفر وافي الأوراق وتأشيرة دخول صالحة.

الوقت المناسب. في الوقت الذي كان فيه تخميننا فقط أن هتلر من المحتمل أنه سيقود حرب"

انطلقت ميرا في خبث قائلة:

"لأنه ليس لديك أبوان وأخوة في ألمانيا، تتحدثين بهذا الشكل"

جاء الشتاء وأصبح النهار قصيراً والليل بارداً، ومر على بداية الحرب أكثر من أسبوعين، صرح أحدهم بأنه سوف يتم حل المعسكر وسيذهب الجميع إلى كوبنهاجن وهناك سيتم المجموعة من جديد على عائلات يهودية كلا على حده. فقد أصدم الخبر حانالورا متسائلة:

"هل أستطيع أن أبقى مع ميرا؟"

وبهزة رأس من شوشي أجابتها قائلة:

" لا يمكن، ولكن سوف تشاهدي ميرا بما فيه الكفاية،

وسوف تواصل مجموعاتنا لقاء المساء"

كانت كوبنهاجن مدينة ضخمة ومربكة إلى حد كبير.

وحانالورا تعدو بجانب شوشي المسرعة في خطواتها دون أي

راحة. أخيراً قررت أن تقوم باستراحة قصيرة وجلست على

دكة في الشارع ثم قالت:

"عندما يسألك أحدهم، ما اسمك؟ تجيبي: حنا. أتفهمني؟"

فقط حنا. حانالورا يصل إلى الأذهان بسرعة على أنه اسم ألماني عند الدانماركيين. ما اسمك إذن؟

تجيب على الفور:

"حنا لمبرجر"

ربت شوشي على وجنتيها فتراجعت حنا في قليل من الفرع إلى الورااء. ثم قالت شوشي مؤكدة لها: "حنا، وليس حنالورا" العائلة التي استضافت حنا كانت عائلة ثرية، حيث يسكنون في الدور الأول المكون من بيت جميل وقديم به ستة غرف، يشغله أربع أفراد، هم الأب والأم وطفلان، أما الفتاة الخادمة والطباخة، فإنهما تنامتان في غرفة أسفل سطح المنزل.

في اللحظة التي قامت السيدة جولده بتحية حنا بالغة الألمانية. انتعشت حنا وقد أثرت للضحك فور سماعها لهجة السيدة جولده.

اقتسمت حنا مع برينا الحجرة، برينا التي تصغر حنا بعامين، وأيضا داني الذي كان في السابعة، والاثنتان لا يتحدثان الألمانية، فلم يمر وقت طويل حتى تعلمت حنا اللغة الدنماركية وحاولت فهمهما. وفي وقت وجود الطفلين في المدرسة كانت السيدة جولده تعطي حنا وتعطيها دروس

خصوصية في اللغة الدنمركية. ولكن لم يحدث ذلك كثيرا، فعملها في إحدى المنظمات لم يترك لها كثيرا من الوقت. وكثيرا ما تعلمت حنا من الطباخة أشتين، فأشتين كانت عجوز وأيضا صبورة، وكانت حنا لم تحضر إليها لكي تتعلم الطبخ فقط ولكن أيضا اللغة الدنمركية. وأصبحت حنا محبوبة لدى الجميع بسرعة.

كما أنها كانت تتقابل بشكل منتظم مع ميرا والمجموعة كل مساء يوم الجمعة. أما ميرا فلم تكن محظوظة مع العائلة التي تعيش لديها، فكان أملها أن التنظيم يجد لها مكان آخر جديد.

عاشت حنا كل الشتاء لدى عائلة جولده، وأيضا الشهر الأول من عام ١٩٤٠، وحصلت على مكان في أحد الفصول الحرفية لتعلم الأعمال اليدوية. تطور كل أسلوب حياتها ولغتها الدانمركية.

لو لم تحدث الحرب، لشاهدت أمها بقدر من السعادة أمامها وهي تجلس في المطبخ وتشاهد صورة الأب المعلقة على الحائط.

في ٩ أبريل ١٩٤٠ عصفت الطائرات فوق المدينة، على الفور منع كل من السيد جولده وزوجته الأطفال من الخروج

من المنزل. أتي أناس بشكل متواصل ليجلسوا مع السيد والسيدة جولده في غرفة المعيشة ويتحدثون عما يحدث أو لكي يسمعون الراديو.

احتلال الدانمرك:

لم يمنع الاتفاق الذي تم عقده بين الدانمرك وألمانيا عام ١٩٣٩ بعدم هجوم ألماني على الدانمرك، لم يمنع هتلر من احتلال هذا البلد الصغير. فقد بقيت الحكومة الدانمركية تحكم وأيضا بقي الملك على العرش. وبعد الإضرابات وعمليات التجسس في أغسطس ١٩٤٣ أعلن . فرض . الأحكام العرفية. وسيطرة الألمان. وقد تم الحكم على فرنر بست بالإعدام ١٩٤٩ في كوبنهاجن، ولكن بعد عامين تم العفو عنه في الجمهورية الاتحادية.

تقدم الألمان داخل الدانمرك تلك الدولة الصغيرة، وسيطروا عليها بدون مقاومة أو صدام. بعد عدة أيام كان من المؤكد انه ليس هناك تنازلات حرب، فالحكومة ستبقي في الحكم وقد سمح لحنا أيضا أن تعود إلى الفصل الدراسي للحرف اليدوية. وفي كل مرة كانت شاهدت فيها الجنود الألمان بملابسهم، كانت تخاف وتحاول أن تكون هادئة عندما تمر عليهم وتتماسك تماما ولا تعطي أي انطباع حينما تسمعهم

يتكلمون بالألمانية.

بعد مرور أسبوعان، ربما ثلاثة، وفي إحدى اللقاءات المسائية أعلنت شوشي للمجموعة قائلة:

"يجب على الجميع أن يرحلوا من كوبنهاجن، فالمدينة أصبحت مع مرور الوقت خطيرة، خصوصا مع تزايد على الجنود الألمان"

استرسلت ثانية متحدثة مع حن:

"لقد أوجدنا لك مكاناً في إحدى المزارع، أنت في سن يمكنك فيه الاعتماد على نفسك، هذا غير أنه قد اشتدت عظامك وأصبحت أكثر قوة في الشهور الأخيرة"

كان هذا صحيحا، فقد أحضرت السيدة جولده ملابس جديدة لحنا، فملابسها التي ترتديها وأحضرتها معها من ألمانيا أصبحت ضيقة.

أكملت شوشي قائلة:

"ثم أن ميرا ستكون قريبة منك، المزرعتان تبتعدان عن بعضهما البعض بثلاثة أو أربعة كيلومترات"

كان وداع حنا من عائلة جولده ليس صعبا، لأنها كانت مغرمة بالحياة وسط المزارع، وفي نفس الوقت كانت قريبة من ميرا. فقد أصبحت ميرا بالنسبة لها مع مرور الوقت

كأختها الكبيرة. في بعض الأحيان كانت تتساءل إن ما كانت ترغب أن تكون الصغيرة فعلا لتتحكم فيها ميرا أم أن الأمر مسألة عادة جرى عليها الأمر، فهي لم تفر مع نفسها أن هذا يعجبها فعلا. مثل هذه الأسئلة لا يطرحها المرء بين الأخوات .

وصلت حنا على العبارة إلى جزيرة فونن في يوم من أيام مايو المشمسة والجميلة. حملت حنا حقيبة الظهر مرة أخرى على ظهرها بالإضافة إلى حقيبة أخرى من القماش. فقد ازدادت ممتلكاتها بعد أن اشترت السيدة جولده لها قبل سفرها وفي عيد ميلادها الخامس عشر ملابس تدريب جديدة وقمصين للنوم وقاموس اللغة الألمانية الدانمركية. علاوة على ذلك كانت ميرا وأيضا راشل وبيلا في العبارة بين مجموعة من الشباب والفتيات صغار السن القادمون من ألمانيا والذين تعرفت حنا على بعضهم لأول مرة فوق العبارة.

ذهبت حنا إلى مزرعة تسمى أندرسن. لقد أعجبت حنا بهذا الاسم لأنه يذكرها باسم الحكاية التي تحبها. عائلة أندرسون كانت تداوم على أعمال الفلاحة وكان رب الأسرة ضخم وقوي ذو لحية حمراء وزوجته صغيرة الحجم وسمينة

فتذكرها بالخالة روزا. بيرن الابن يتعلم الزراعة عند عمه في جزيرة زيهلاند. ويعيش في المزرعة آخرون مثل الخادمة التي تدعي بنته والخادم جوران، والذي أثار حنا عندما قابلها أول مرة وقال لها:

"أنت تبدين طبيعية جدا مثل كل الناس وشكلك لا يشبه اليهود على الإطلاق"

ضحكت السيدة اندرسن وقالت:

"كيف تخيلت هيئة اليهود؟"

هرش جوران في رأسه ثم هز كتفيه ودمدم قائلاً:

"مختلفون، مختلفون عنا"

اقتسمت حنا في هذه المرة الغرفة مع بنته، فقد سقطت عليها الصدمة عندما سمعت هذا الخبر، كانت بنته سيدة عجوز ذات عظام خشنة. بشفة غليظة متهدلة إلى أسفل ومعوجة الفم. ولكن بعد وقت قصير اكتشفت حنا أنها سيدة تخفي وراء هيئتها هذه الكثير من العطف والحب.

لم يكن العمل شيئاً جديداً على حنا، فقد مارست العمل قبل ذلك من خلال مساعدتها في كل مكان كانت تمرت عليه، لكن العمل في المزرعة هذه المرة كان شاقاً، فهي تستيقظ في مبكراً في لمساعدة بنته في إشعال النار وتحضير

الإفطار. جوران كان يقوم في هذا الوقت عادة بعلف الحيوانات في الحظيرة. بعد الإفطار في المطبخ الكبير كانت حنا تقوم برعاية الدجاج وذلك قبل قيامها بأي مساعدة لبنته في الأعمال المنزلية أو في أعمال الحديقة. أحيانا كانت تذهب إلى تقطيع الحشيش أو العزق، وغالبا ما يؤلمها ظهرها من مثل هذه الأعمال، وخاصة عندما تهوي على الأرض، ما أحب عليها أن تبقى على الأرض، أن تبقى في مكانها وتبكي وتذكر أختها هيلانه في فلسطين. كم هو صعب العمل في الفلاحة، لكنها كانت تقف مرة أخرى وتمسك بالفأس. ففي المرة الأولى أخذت بنته في المساء بعمل تدليك لها، قبل النوم ومس يدها ببعض من البلسم ضد التقرح، فقد عالج البلسم الجروح بالفعل.

تقابلت مجموعتها من الفتيات مع أخريات مرة كل أسبوع عند شوشي التي تقطن بالقرب من نيبورج. فقد حصلت على بدروم من سيدة دانمركية. وقامت بتجهيزه للمجموعة وأسمته "المركز". كان الجميع يأتون إلى التجمع المسائي بالدراجات، هذا كان جديدا بالنسبة لحنا وكان يجب عليها أن تتعلم ركوب الدراجة. لقد ماتت السيدة اندرس ضحكا عندما سمعت أن حنا لا تستطيع ذلك، وربما علق جوران

قائلاً:

"إن اليهود يستطيعون ركوب الدراجات"

أما حنا تعلمت كيف أن تتغاضي عن تعليقات جوران، وعندما تعلمت ذلك ولم تعد تسقط أو تقفز من الدراجة، أصبح ركوب الدراجة هوايتها المفضلة.

كانت تذهب أحياناً إلى ميرا في المساء المبكر بعد العمل بالدراجة أو ميرا تأتي إليها، أهم ما في الأمر هو أن تتم الزيارة في ضوء النهار.

قليلاً ما تحدثا عن ألمانيا. عما ينبغي أن يتحدثان؟ فخبرتهما محدودة. عائلة أندرس كان لديها راديو معلق داخل حجرة المعيشة، ويفتح في المساء عندما تكون كلا من بنته وحنا تعملان في تنظيف المطبخ قبل أن تذهبا إلى الفراش. وطبعاً سمعن في المركز أن هتلر قد تقدم إلى الغرب وعن الانتصار المفاجئ الذي أحرزه، أصبح موضوع حديثهما والسؤال الذي يشغلها هو إمكانية اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب، قليلاً ما يتحدثان عن قصف المدن الألمانية بالقنابل، الشيء الذي بدأت قوات السلاح الجوي البريطاني منذ شهر مايو، هذه القنابل التي ليس بوسعها أن تفرق بين اليهود والنازيين.

ليالي تحت نيران القتابل

فتح السلاح الجوي البريطاني نيران قتالبه على منطقة الرور في مايو ١٩٤٠ في عملية تحت اسم الحرب الجوية ضد ألمانيا. فكانت الهجمات عادة ما تتم في منتصف الليل ومن ارتفاعات عالية، حتى لا يتثنى للقناصة الألمان والمدفعية الألمانية اصطيادها. فالهدف الصغير نادرا ما كان يصاب. الإنجليز كانوا يركزون على قصف مساحات واسعة من المدن الألمانية، للعمل على إضعاف الروح المعنوية لدي المدنيين، فقد سقط ٦٠٠٠٠٠ قتيلًا في ألمانيا من جراء هذا القصف.

كتبت حنا أحيانا إلى أمها، ولكنها لم تعلم إذا ما كانت الخطابات تصل إليها أم لا. من حين إلى آخر كان يصلها كارت بوستال، وتكررت نفس الجملة المكتوبة عليه "أنا في أحسن حال، كوني قوية يا طفلي الحبيبة، رعاك وحماك الله"

تدس حنا الكارت في المظروف الذي به الصور التذكارية.

كوني قوية. وكأنها لم تكن قوية طوال الوقت، لم تعد تصلها الكروت إلا نادرا، وحاولت حنا طرد أفكارها عن الماضي وأيامه. في مرة حلمت بأمرها، واستيقظت باكية عندما أخذت بنته تسترسل بيدها في شعرها، وأخذتها بين يدها وقامت تسري عنها. كما أن أمها لم تفعل هذا من قبل. وبصوت ناعم تردد لها بنته وتصب شتائمها على النازيين وترت عليها.

"الحرب سوف تنتهي، ستنتهي هذه الحرب الملعونة وسيعود كل شيء جميل، وهؤلاء النازيون سوف يذهبون إلى الجحيم"

في صباح اليوم التالي كانت متجهمه كالعادة، ولكن حنا لم تنس هذه الليلة أبداً. وعندما مرضت بنته بعد عدة أسابيع من هذا الموقف أخذت حنا ترعاها بكل ما في استطاعتها. كان الشتاء قد حل منذ مدة طويلة وكان شديد البرودة، ولقاء المجموعة المسائي تم تأجيله، لا أحد يستطيع أن يتحرك بالدراجة في ظلام الليل الدامس. لولا وجود ميرا، لأحست حنا بالضيق. فلم تدع ميرا لها فرصة أن تتأسف على حالها. عندما انتشروا حنن حالها، تعنفها ميرا قائلة: "ما نحن فيه الآن هو الجنة مقارنة بأهلنا وحالهم"

الحظر

أيام قلائل بعد حرق المعابد اليهودية في ألمانيا، حظر الألمان على اليهود ارتياد الحفلات الموسيقية والسينمات أو المسارح، ومنذ ١٥ نوفمبر ١٩٣٨ كان غير مسموح لأطفال اليهود أن يذهبوا إلى المدارس الألمانية بشكل علني، وفي ٣ ديسمبر من نفس العام كان على كل اليهود تسليم رخص القيادة ومستندات امتلاك سياراتهم. ثم بعد شهرين كان عليهم تسليم الجواهر والشوك والملاعق القيمة والأحجار الكريمة القيمة مثل الماس، وتسليم الثروات ورهن العقارات إجباري ومساكنهم. وفي أبريل ١٩٣٩ فقدوا حقهم في الإيجار وبناءً عليه من الممكن طردهم في أي وقت.

حنا سكتت كعادتها عند نصيحة الكبار لها وضرب الأمثال لها. لم يسمح لها الحديث عن أهلها والبيت، تقول لها ميرا دائماً:

"نحن الآن نعيش هنا في الدانمارك"

عندما تتنطق حنا بأي كلمة عن لايبزج، كانت ميرا ترد عليها:

"في يوم من الأيام سوف نرحل إلى فلسطين، وعليك أن تتركي ألمانيا خلفك، ضعي هذا في اعتبارك"

مرة واحدة فقط أظهرت ميلا نوع من التمزق الداخلي في كيانها الصلب، وهذا عندما حكّت عن أبناء عائلة المزارعين التي عملت عندهم وتساءلت:

"لماذا كنت أتشاجر دائما مع سامي" وبصوت ينم عن طفلة صغيرة أخذت تردد:

"الأمر يؤسفني تماما "

ثم بصوت الكبار:

"كل هذه مشاعر غير ضرورية، المهم أن نحمي أنفسنا" لقد مر الشتاء الطويل وأتى الربيع وعادت تعمل في الحديقة مرة أخرى وفي الحقول. استمتعت حنا بالذهاب إلى الحقل. أما عيد ميلادها السادس عشر لم تحتفل به فقد نسته. فهي لم تنتبه إلى التاريخ إلا بعد عدة أيام من خلال إطلاعها على احدي الصحف، ووجدت أن ٢٩ أبريل ١٩٤١ قد مر مثله مثل أي يوم آخر.

وفي نهاية شهر يونيو من عام ١٩٤١ تقدم الجيش الألماني في الأراضي الروسية رغم ميثاق عدم الهجوم، الذي وقعه هتلر مع ستالين ١٩٣٩، تأثرن الفتيات اللاتي

التقين في هذا المساء في المركز تأثرا شديداً. أيضا لم يستطعن أن يستمتعن في مساء الأحد ٢١ سبتمبر من هذا العام بفرحة عيد الغفران، عيد العام الجديد، حتى حضرت ميلا وفي يدها كأس النبيذ، الذي أخذت ترتشف منه وتستطعم ما به، وتتادي قائلة:

"أزحن تلك الكآبة التي ارتسمت على وجوهكن! لا يستطيع النازي كسب المعركة، ستصبح روسيا نهايتهم، حتى لو كان الأمر يبدو الآن غير ذلك، وعليكن أن تتقن في ذلك. روسيا ستكون نهايتهم، كما تحطم نابليون في بلاد الروس" صفق الجميع وضحكوا، أما حنا كانت فخورة بميلا.

عملية برياروسا:

فقد كانت ميلا على حق. ففي ٢٢ يونيو عام ١٩٤١ وفي الساعة الثالثة من صباح هذا اليوم اجتازت القوات الألمانية الحدود مع الاتحاد السوفيتي. إعلانا بأنه قد بدأت عملية برياروسا. ولكن هذه الحرب ليست حرب خاطفة، فالقوات



التي تحت قيادة ستالين ذات نفس طويل في الحرب على غير المتوقع. وكان يجب على الألمان أن يتوقعوا الشتاء الروسي، ويتعظوا من خطأ نابليون، حيث ٣٠ كم على مشارف موسكو ودرجة الحرارة سالب ٣٠ درجة مئوية. لم تعمل الآلات والأسلحة في هذه الظروف الجوية القاسية وشديدة البرودة. القتال حول مدينة ستالينجراد انتهى بتسليم الألمان لها وسيطرة السوفيت عليها.

ازدادت مهارة حنا في العمل، فقد تعلمت الحلب، وأيضاً تستطيع استخدام المقشة وكأنها لم تقم بعمل آخر في حياتها غير هذه الأعمال، فهي تعلم جيداً في أي اتجاه سوف ينقلب الحشيش، وعندما تعلمت فن التعامل مع البطاطس حصلت على أشرار جديد كهدية من أحد الفلاحين أحضرها لها من السوق. وعندما ترك جوران المزرعة في نهاية الخريف حتى يقوم برعاية أبيه المريض تولت حنا مسؤولية الحظيرة التي بها ست أبقار.

رغم ذلك لم تتحمل الشتاء. فقد أتت هذه المرة ليس فقط طويلاً إنما أبعد ومظلم أكثر من سابقه، وعلاوة على ذلك مازالت الحرب مستمرة. فقد امتلأت الجرائد بتقديم

وانتصارات الجيش الألماني في فرنسا وروسيا واليونان، أو حتى في أفريقيا. ورغم أن أميركا بهجومها على اليابان بعد بيارل هوبر وتنازلها عن حيادها قد أدخلها الحرب ولكن المرء كان يشعر بأن نهاية هذه الحروب لم تنزل بعيدة . وبهذا بعد أيضا حلم السفر إلى فلسطين. إلا أن حنا بدأ يتسرب إلى داخلها شيء فشيء إحساس أن فلسطين هذه ما هي إلا سراب، أما ميرا فتشد من عزمها قائلة:

"هذا الإحساس ما هو إلا هلوسات هذا الشتاء الملعون"

ولكن قد مر الشتاء. ولم يحدث غير تغير واحد عام ١٩٤٢، ألا وهو إنه شوشي قد تركت الدانمارك وحل محلها مدريش، قائد مجموعة جديد، ويدعي إفرام، كان صغير السن ولطيف للغاية، وكل الفتيات قد أعجبن به، وأيضا حنا قد أعجبت به. ولكنها قد لاحظت بعد مدة قصيرة من الزمن أن هناك شيئاً ما بين ميرا وبينه، أصبحت زيارتها لأصدقائها قليلة، أحيانا مرة كل أسبوعين، فلم تكن حنا غيورة من ذلك، فقد كانت في السابعة عشرة، أما ميرا فقد أصبحت في العشرين من عمرها، وكان في السابق الفتاة التي أتمت العشرون، هذا يعني أنها مثل المتزوجات.

استلمت حنا في صيف هذا العام كارت معايدة من أمها،

أخبرتها أمها فيه أنها سوف تنتقل للعيش مع خالتها دورا. وحننا لم تعرف كيف تتعامل مع الخبر، فالخالة دورا قريبة من بعيد، ولم تتذكر حنا أنها تتذكرها ولم مرة واحدة أو تتذكر أوصافها. في الحقيقة لم تعد تتذكر أوصاف أمها، فهي عندما تفكر في أمها لا ترى إلا وجهها من الصور التي تضعها أمامها، فكم من إحساس بالخجل ينتبها من ذلك ويجعلها لا تتحدث عنه مع ميرا.



لبنان الذي زلزاله لاذع في نغمة "أيامنا" ١٩٣١. من أرشيف نوري و

لعرقة في الأنتحى قرح إلى أنجوك يهخ غدة زلهث غى سحدة قك
و سق لهنماء.

مؤتمر فانزیه

في ٢٠ يناير ١٩٤٢ استدعي راينهارد هيدريش المسئول الأول لجهاز الأمن الألماني في مكتبه في برلين كلا من أعضاء مكتبه جنرالات سرب الحماية وكل مسئولي سكرتارية الدولة. وقد أراد بذلك أن يشرك ويعلم كل هؤلاء بقرار ترحيل وخطة إبادة يهود أوروبا وعلى كل الجهات المختلفة والمعنية التعاون في تنفيذ هذا القرار. صرح أدولف أيشمان مدير أحد الأقسام الأمنية في إدارة هيدريش أثناء محاكمته، أنه قد أعلن صراحة عن خطط قتل عند مناقشة القرار، بعض الأعضاء الآخرون لم يستطيعوا أن يتذكروا أثناء التحقيق معهم ذلك القرار، كما نفوا استلامهم نسخ مكتوبة من هذه المخططات.

حاول إفرايم قائد المجموعة الجديد إدخال البهجة في نفوس الفتيات، فقام بتنظيم احتفال رأس السنة الجديد ١ يناير ١٩٤٣ وقد أعلن بينهن قائلاً:

"ينبغي أن نتمسك بحقنا في الاحتفال طالما هناك مناسبة
لاحتفال. الم تكن تحتفلن من قبل في منازلكن بالأعياد
المسيحية"

فردت راشيل عليه:

"نعم ماعدا عيد الفصح، ولكني أجد فكرتك ممتازة"
قاموا بدعوة مجموعات مختلفة من جزر أخرى. عزفوا
الموسيقى وغنوا ورقصوا مثلما فعلوا من قبل في المعسكر.
حنا أخذت تراقب الفتیان والفتيات الذين قد تعرفت عليهم
من قبل، وبدأ لها وكأنها لم تعرفهم من قبل، ما السبب في
هذا الإحساس، فهم يتحدثون فيما بينهم باللغة الدانمركية،
يقول إفرام:

"دعونا نأمل أن نكون في فلسطين عام ١٩٤٣، فهذا
الهدف قرب تحققة"

ولكن مرت السنة مثل سابقتها، فكانت مملة وظلامها
حالك، رعاية البهائم ثم الإفطار، العمل ثم الغذاء، العمل
ثم العشاء فالنوم. وفي لقاء المجموعة في مساء يتحدثون
عن عمليات الترحيل والإبادة وفي أوروبا الشرقية لليهود
الأوروبيين. فقد تملكهم الخوف حتى لو لم يستطيعوا أن
يعوا أو يتصوروا ما يتحدثون عنه. من حين إلى آخر تصل

إلى مسامعهم الإشاعات أن الألمان يريدون ترحيل يهود
الدانمرك، ولكن شيئاً لم يحدث، قال بعضهم:
"غن الدانمرك مأمونة، فهنا لا يجب على اليهود أن يعلقوا
نجمة داود فوق صدورهم"
هكذا كان من السهل أن يقوموا بعملية قياس لأمانهم.

قضية أيشمان

تتبعت المخابرات الإسرائيلية أدولف أيشمان رجل سرب
الدفاع والمسئول عن عملية إبادة اليهود من خلال قيادة
قسم العمليات الخاصة فيسرب الدفاع ، كان قد هرب بعد
الحرب إلى الأرجنتين ثم أُلقي القبض عليه. أيشمان كان
المنظم لعملية ترحيل اليهود إلى معسكرات الاعتقال، فقد
هرب ١٩٤٦ من الأمريكان، وفي ١٩٦١ شكلت له
محاكمة في إسرائيل. ترجع أصول حنا أرند إلى عائلة
يهودية كانت تعيش في كونسبرج وهي أحدي العائلات التي
ساقها النازي معسكرات الاعتقال، كانت حنا أرند تراقب
قضية أيشمان حيث ترجع أصول حنا إلى عائلة يهودوب

التي كانت تعيش في كونسبرج وهي إحدى العائلات التي ساقها النازي إلى معسكرات الاعتقال، وكتبت كتاب أثار ضجة بعنوان (أيشمان في القدس: تقرير عن المبتذل الشرير) الأعمال التي أعترف بها أيشمان كانت تفوق التصور، فكم هي فظيعة ومفزعة. فقد حكم على أيشمان بالإعدام، وقبل تنفيذ الحكم كتب في خطاب الوداع لزوجته (أنا ضحية النهاية، ذنبي أنني كنت منفذ الأوامر).

وفي الصيف أرسلت حنا إلى فصل دراسي لتعليم شئون التدبير المنزلي، فالفصل يوجد في إحدى مدارس التنظيم الجغرافي القريب من نيبورج. فقد أنعشت حنا واستمتعت بالتعليم وتعرفها على أناس جدد، وكثير ما كانت تحكي عن خبرتها اليومية في الفصل إلى جماعة لقاء المساء. وعندما عادت الأعياد مرة أخرى، حصلت على دعوة من سارة إحدى زميلات الفصل، وذلك لقضاء احتفال رأس السنة اليهودية الجديدة عند عائلتها، والتي تعيش في قرية أخرى في زيهلاند. وقد سعدت حنا بالدعوة.

في الليلة السابقة لبداية السنة الجديدة كانت تجلس حنا مع سارة وعائلتها، والكل يتمني أن العام الجديد يكون حلواً مثل

العسل، وبعد ذلك استمعوا إلى الراديو، وكان المؤشر على محطة الـ بي بي سي و الذي أعلن فيه تحذير أن هناك عملية سوف تتم ضد اليهود الذين يعيشون في الدانمرك، ولكن حاول أبو سارة تهدئتهم قائلاً:

"أن الحركات السرية الدانمركية والبوليس الدانمركي والتنظيم اليهودي يعملون مع بعضهم البعض. فهم سوف يحذروننا في الوقت المناسب، حتى يستطيعوا تأميننا" سمعت حنا أيضاً في هذا المساء اسم جورج فريدناند دوكوفيتس. فقال أبو سارة عنه:

"إنه ألماني يعيش في كوبنهاجن، يعمل في السفارة الألمانية ومتخصص في اليهود الدانمركيين" وبدون توضيح من أين أتى بهذه المعلومات، يتحدث بثقة ومحاولاً تهدئهن حتى يذهب إلى الفراش.

عملية إنقاذ

كان جورج فريدناند دوكوفيتس في بداية الحرب ملحق في السلاح البحري الألماني و يعمل للمخابرات الألمانية في

كوبنهاجن كسفير لألمانيا في الدانمرك. ومن خلاله يحصل الألمان معلومات عن يهود الدانمرك، وفي أي يوم ينبغي ترحيلهم. أما موظفوه الغير يهود قد استعدوا بأمتلئة منقطعة النظر في عملية الإنقاذ. فكان الدانمركيون ينتظرون ويدسون اليهود في مراكب صيد ثم إرسالها إلى السويد المحايدة. فقد تم إنقاذ ٧٩٠٠ يهودي من يد الألمان. عند عودة هؤلاء إلى موطنهم مرة أخرى بعد الحرب وجدوا منازلهم وحدائقهم وحظائرهم كما تركوها وقد أعتني بها جيرانهم.

نامت حنا على الأريكة التي بغرفة المعيشة و كانت موضوعة على مستوى قريب للأرض، كان الوقت ليلاً ومازال مظلماً عندما استيقظت و سمعت دق شديد القوة على الباب و الشباك. وقائل يقول باللغة الدانمركية تارة وتارة أخرى باللغة الألمانية: "اصحوا، ارتدوا ملابسكم "

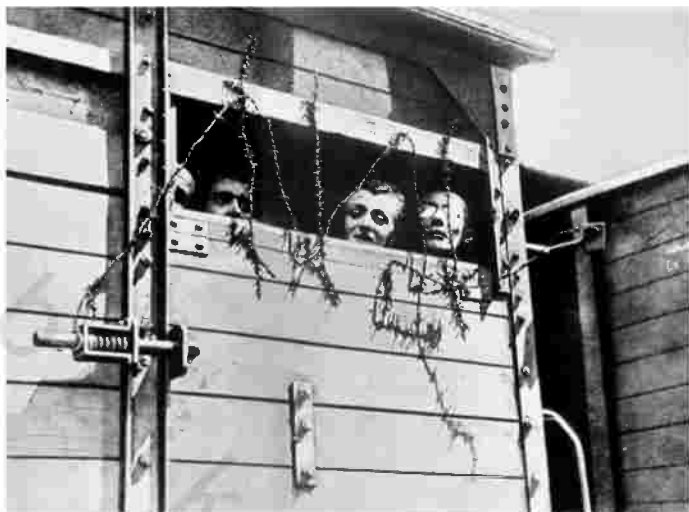
فقد حدث كل شيء بسرعة. فكان ينبغي عليهم جميعاً أن يحملوا معهم الأشياء الضرورية فقط، وذلك لا يستغرق نصف ساعة، وقد تم توزيع الجنود الألمان، منهم من بقي للمراقبة والآخر مع حنا لمراقبتها. حنا تدس حاجتها في حقيبة الظهر التي كانت معها كل الأعوام السابقة، كانت

حزينة إنها لم تأخذ معها ظرف الصور الذي بقي في الدولار الذي اقتسمته مع بنته، والآخرين يتحركون في صمت يبحثون عن أغطية وملابس دافئة لارتدائها. وطوال الوقت كان جندي واقف ببندقيته مستعد للضرب في أي لحظة، حتى أتت شاحنة وصعدوا جميعا بداخلها، كانت مليئة بعائلات أخرى يجلسون القرفصاء من ضيق المساحة.

سافروا خلال الليل تحت سماء مليئة بعدد لانهائي من النجوم والسحب. لم يتحدثوا كثيرا، فكل منهم قد غاص في خوفه، ذلك الخوف من الذي سوف يواجهونه في الساعات أو الأيام القادمة. فقط من آن لآخر يبكي أحد الأطفال، و تقوم أمه بهتدئته سريعا. أخيراً توقفت الشاحنة أمام محطة قطار وقد أجبروا على اعتلاء عربات المواشي، وفي هذه الأثناء قد انفصلت العائلات عن بعضها البعض، وأيضا حنا وسارة قد انفصلتا. وأصبحت في عربة مليئة بأناس لا تعرفهم غير أنهم يهود مثلها.

فقد استغرقت عملية الشحن زمن لا نهائي، وقف القطار فيفتح الباب فجأة ليحصلوا على شيء للشرب أو لسد الرمق من بعض فتات الطعام، تمكن رجل معهم من الحصول

على جرادل ممتلئ بالماء، ووضع في ركن لحالات الطوارئ، إلا أنه طفح وأصبحت رائحته الغير محتملة تعبئ كل العربة. أما حنا قد احتلت أحد الأركان والذي كان أسفل شق بين ألواح سقف العربة، استطاعت من خلاله أن تستنشق بعض من الهواء الطلق. كان في البداية التأوه والعيول حولها عاليا ثم يصبح خفيف إلى أن يختلط بقططة عجلات القطار، حتي غاب حنا عن وعيها، ربما كان الجوع والعطش هما السبب وراء ذلك. عندما فاقت كانت فقدت الإحساس بالزمن، ليس فقط إلا عندما ترفع رأسها وتتنظر من خلال الشق فتعرف عما إذا كانت الدنيا نهار أم الليل. كم مر من الأيام؟ كم مر من الليالي؟.



تقيّد لم يلمد ز فح لثاوي آتمد؟ هلاّ ة نديكل غى طئف ة طلاه ة هـ لم
مجد قح ماطة ن لع زوف هـ لإعقك له غذ طئفتر.

في لحظة من اللحظات وقف القطار، وفتحت الأبواب عن
آخرها الأبواب فدخل الهواء الطلق والضوء. أما هنا فقد
تركت نفسها لحالة الإغماء. نزل بعضهم من العربة وارتوى
على الأرض في الطريق، ومن على الرصيف سمعت رجلا
يقول:

"نحن في باوشوفيتس. باوشوفيتس ليس ببعيدة عن
ترزينشتات."

ترزينشتات إحدى أماكن معسكرات الاعتقال وتجمع اليهود
مثلا مثل داخاو، أوشفيتش، رافنسبروك، بالزاك وأماكن

أخرى وصلت إلى أسماع حنا. أرادت أن تسأل الرجل أين ترزيبشتات هذه؟ في أي دولة تقع ألا إنها سمعت فجأة صوت ينادي عليها:

"حنا! حنا! نحن هنا!"

كانت ميرا مع أخريات من المجموعة أُجبرن على الرحيل تقف على بعد ٣٠ مترا منها. حاولت حنا الوصول لها باختراقها الجموع. والتصقت بصديقتها، تبكي وتضحك تم تبكي مرة أخرى. من هذه اللحظة أدركت أنه لا توجد غيرها، ميرا! سندها وحمايتها.

المعسكر

قبل بداية الحرب كان هناك سبعة من معسكرات الاعتقال، حتى ١٩٤٥ وصل عدد أمكنة الرعب والإبادة في الرايخ وفي البقاع التي سيطرت عليها ألمانيا إلى ٢٢، بالإضافة إلى ١٢٠٠ معسكر خارجي، فالجيش في حاجة لقوي عاملة من أجل تصنيع السلاح تلك العمالة كانوا يحصلون

عليها من معسكرات الاعتقال.

كان الطريق إلى المعسكر طويلا وكان تحت مراقبة جنود سرب الحماية الألمان، الذين انهالوا بالضرب بقاعدة البندقية على من يبطن في السير. ازداد الإعياء والجوع والعطش على حنا التي تركت ميرا تسحبها، إلى أن وصلت وقد فقدت وعيها.

أحكمت ترزينشتات بالأسوار والحوائط، ففي كل مكان كان توجد الأسوار والأسلاك الشائكة. شاهدوا ناس تدعوا حركة مشيتهم البطيئة إلى لفت النظر، وآخرون يقومون بسحب إحدى العربات وآخرون يدفعون عربة يد. وعلى كوم من القمامة تلعب الأطفال. فقد انساقوا إلى فناء داخلي حيث انفصل النساء والأطفال عن الرجال. ثم أحضرهم رجال سرب الدفاع إلى مكان في أسفل الأرض يسمى . الهويس . وفيه يتم التسجيل وتسليم كل ما لدى المرء من مال ومقتنيات، ثم كان عليهم بعد ذلك التوجه إلى مكان آخر، حيث تفتش النساء للكشف عما إذا قد أخفين شيئا في أجسادهن أم لا. حنا لم تنس أبدا تلك الصدمة التي أصبتها عندما أمرتها السيدة أن تتحني أمامها ثم أتها السيدة من

خلفها و تسالت يدها من أسفل الجبية ودست إصبعها في مؤخرتها. فكاد أن يغشي عليها موتا من الخجل والفرع، ولم تقدر على النظر بعد ذلك حولها لكي تشاهد إن ما حدث نفس الشيء للأخريات. وأدركت في تلك اللحظة أن حياتها السابقة ستختلف كلياً عن كل لحظة ستعيشها منذ قدومها. ومن مجمع الإيواء انسقن مرة أخرى خلال أكثر من فناء داخلي وحارات إلى أن وصلن إلى بئر ومضخة مياه، أخيراً ماء، ثم سمح لهن بالشرب. المبني الذي دخلن فيه كان معسكر ضخم به مداخل كثيرة ثم صعدن سالماً إلى أن وصلن إلى أسفل السطوح، حيث وجدن سيدات كثيرة نائمت على الأرض. سحبت ميرا حنا وبيلا خلفها إلى أحد الأماكن، حيث وجدن أماكن لهن الثلاث، وأيضاً انضمتا إليهن كلا من راشيل وروزا، فقد حضرتا مؤخراً. لم يعد هناك شيء يمكن أكله، لكنهن على الأقل قد روين ظمأهن. حنا التصقت بميرا وبكت، فهي لم تبك منذ أن بكت آخر مرة من زمن طويل.

ترزينشتات

في عام ١٩٤١ أندمج يهود من بومن وماررن في ترزينشتات، وأصدرت الأوامر في عام ١٩٤٢ انه على غير



اليهود
أن
يغادروا
المدينة،
وأطلق
على

المدينة اسم، "حي اليهود العجائز، تم تخصيص المدينة للعجائز، تحت دعوى الرعاية والعلاج في ترزينشتات، أسلوب الحياة كان أسلوب إبادة. لقد تم ترحيل ١٤٠٠٠٠ إنسان إلى ترزينشتات، وأتى بعد ذلك ١٤٠٠٠ معتقل من معسكرات الاعتقال أخرى. قتل في ترزينشتات ١١٨٠٠ شخص، و ٢٣٠٠٠ تم إنقاذهم.

لصح به

لحيي به لقتل ا عي به: لشرق به زقني بالكي مدخ لالمظلمين نك.

وفي صباح اليوم التالي نزلن مع الأخريات إلى أسفل حيث

مكان توزيع القهوة، ثم حصلن على أطباق طعام صنعت من الصفيح وبها معيار مغرفة من شوربة لونها بني ذات طعم مقزز مثل رائحتها. مع أول ملعقة أبصقتها حنا على الفور إلا أن ميرا أمرتها بأن تشربها، وعندما حصلت على قطعة من الخبز جافة، كان من الممكن تقديمها كعاف للخنازير، قالت لها ميرا:

"تناولي طعامك!"

بعد ذلك أخذن يمشين داخل الحي وحاولن تحديد الاتجاهات. وأسوأ ما عاشته حنا هو عمل المرحاض الجماعة. فكان عليها أن تقف في طابور طويل إلى أن يأتي دورها وفي اللحظة التي حصلت فيها على الدور وشاهدت صف طويل من الحفر التي بها براز النساء، ما أحب لها أن تهرب من هذا المكان ولكن ميرا قد أمسكت بها في الحال من ذراعيها قائلة لها:

"ستفعلين هنا ما يفعله الجميع"

ثم قامت بسحبها مرددة:

"لا تلعبى دور الأميرة هنا"

امتعضت حنا. واختفى إحساسها بقضاء الحاجة، وبقيت عدة أيام حتى عادت أمعائها تعمل من جديد، ومع الزمن

تعودت على قضاء حاجتها دون أن تفكر في شيء آخر .
لقد استغرق وقتاً طويلاً حتى استطعت تحديد الاتجاهات،
تسمي الشوارع بالأحرف مثل ل أو ك، شارع طويل أو
شارع قصير، والمباني تحمل أرقام. كل المنازل على نفس
الشاكلة من التدهور. المعسكرات السابقة التي كانوا بها مثل
هامبورج، ماجدبورج، درسدن، أو هونلبر، تلك المعسكرات
كان بها اثنين أو ثلاثة أفنية مرتبطتين بعضهم ببعض بباب
ضخم. كل مبني تم تقسيمه إلى مئات الحجرات الصغيرة
والأصغر، وقد اكتظت بالبشر في كل مكان. صورة تأتي
في رأس حنا ألا وهي إن هذا يحاكي خلية من النمل
البشري، يهيمنون على وجوههم بدون هدف أو معني. ولفت
نظرها هؤلاء الأطفال الكثيرون الذين يتسلقون أكوام القمامة
ويلعبون بأي لعبة يجدونها في القمامة. إنهم يتحدثون
الألمانية ولكنها تأتي إلى المسامع وكأنها لغة أخرى غير
الألمانية. تسألت حنا من أين أتى هؤلاء الأطفال الكثيرون،
وعندما شاهدت بعض الفتيات يلعبن لعبة تشبه الجنة
والنار، تقدمت إليهن واقتنصت إحداهن من ذراعيها، ثم
سألتهما:

"أين أبويك؟"

تملصت منها الفتاة وقد تملقت حنا بنظاراتها وقالت لها:

"هذا السؤل الغبي لا يسأله أحد هنا."

ثم عادت إلى اللعب.

في وقت لاحق علمت حنا أن بعض هؤلاء الأطفال يحصلون سرا على دروس في الرياضة واللغة والموسيقى وفن الرسم، وذلك من مدرسين وفنانين يعيشون في المعسكر. يتم ذلك بحرص شديد لأنه ممنوع حدوثه في المعسكر. بالإضافة إلى الأطفال يوجد عدد كبير من العجائز، والكثير منهم قد بترت أعضاء من جسداهم. كانت، السيدة التي تقف بجوار حنا في طابور الشورية توضح لها أن في ترزنتشتات يهود ذو مكانه من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا، والآن أصبحت باسم "محمية بومن ومورن" وإليها يحضرون المحاربون والعجائز فوق سن الخمسة والستين كما تقول "إنهم يموتون هنا كالذباب"

كان لديها حق في قولها ذلك، فقد لاحظت حنا في اللاحق أن الموت كان موجود بالفعل في كل مكان. تتقابل دائما مع تلك العربة ذات المقطورة الخشبية التي تحمل صناديق الطعام كما تحمل الموتى. كانت المقطورة ليست طويلة بما يكفي، فأحيانا تظهر قدم أو رأس إحدى الجثث من أسفل

الكفن، في إحدى المرات رأت رأس سيدة قد انزلق إلى الشارع منزع عنه رباط الكفن، فأدارت وجهها بعيداً كما تعلمت ذلك في ترزينشتات، بدون هذه الإمكانية لا تستطيع تحمل البقاء في مكان مثل ترزينشتات. أدر الوجه ولا تعر السمع. وإلا كيف يمكن لإنسان أن يتحمل أنه عندما يضرب رجال سرب الدفاع بالهروات أو مقعدة البندقية على إنسان في مقام جدة أو جدّة سنا، ذلك الإحساس المؤلم، فهم ينزفون الدماء ويصرعون على الأرض، حتى يتضرعون بأصوات مهووسة العفو؟. طلبت ميرا مترجية حنا مع أول مرة شاهدت مثل هذا الحدث ألا تعطي اهتمام لذلك. وأصبح إحساسها مخدراً أخيراً، بل ليس الإحساس فقط. بدا لها في البداية شوق شديد إلى غرفتها لدى عائلة أندرسن، كانت لا تستطيع أن تفهم لماذا ترد دائماً هذه الأفكار الغير محتملة، بل هذه الأفكار أصبحت قليلاً ما ترد إلى خاطرها، أيضاً ذكر أمها، وأختها هيلانه في فلسطين. كل ما حدث في الماضي قد انطفأ. وأيضاً كل أمل في المستقبل هو خارج حدود هذا الجحيم.



ولكن تلك الحياة اليومية، هذه نفسها كانت تجلب من الأحداث التي تشارك في تحولاتها. ففي صباح يوم ١١ نوفمبر ١٩٤٣، أي بعد استقبالهم بأربعة أو خمسة أسابيع، قد أخلي المعسكر من المعتقلين. كانوا آلاف بل عشرات الآلاف من الناس تتحرك في طابور طويل بدون نهاية، بأوامر من حرس سرب الدفاع، الذين يضربون بدون وازع عندما يتباطأ أحدهم في المشي أو يتوقف، أيضا راشل كانت على أحد أطراف مجموعتها قد حصلت على نصيبها بضربة على كتفها، صرخت من جرائها ووقعت على الأرض. مما جعل حنا وميرا يساعدها ويحملانها معظم الوقت متقدمتين.

كان قد تم احتجاز الجميع في وادي صغير، في يوم كان ممطراً، وريح باردة متسللة إلى العظام أصبتهم بالعرشة، لا أحد يعلم، ماذا حدث. وقفوا وانتظروا، فقط من وقت لآخر يسمع زأر أحد حراس ثم صراخ أحد المعتقلين، فيعود سكون الموتى مرة أخرى. إنه صمت نادر من نوعه، فيه يسمع تنفس الآلاف وكأنها صوت الرياح التي تعصف ثم تهدأ. همس أحدهم:

"احتمال هروب مجموعة من المعتقلين"

همس آخر:

"هل سيقومون بترحيل الجميع إلى معسكرات الشرق ويكون هناك آخر جمع للمعتقلين"

ثم همس آخر:

"هذه حالة من حالات التعذيب، ثم إنه منذ متى احتاجوا إلى سبب لمضايقتنا عندما يريدون ذلك؟"

ساعد كل منهما راشل التي تعاني ألماً شديداً وتحاول أن تخرس صوتها الذي يصدر عن بكاء محموم، خوفاً من أن يلاحظ الحراس الذين على الدوام مستعدون لقتل أي شخص ضرباً. وعندما أرادت إحداهن التبول، صنعن حولها دائرة لحمايتها من نظرة الرجال، أنتظر الجميع مراراً. وبقع

السحب البيضاء التي تظهر في غمامة السماء و التي
تكشف عن موضع الشمس المتوارية خلف الغمام، تتحرك
إلى وسط السماء ثم ببطء إلى الغرب وتغطس في الأفق
البعيد. أشد الجوع والعطش عليهم، الآلام في الأرجل
وعضلات الفخذ أخذت في الهوان والشد العضلي، رياح
شديدة البرودة تقطع في العظام وكثير منهم في سن العجز
قد سقط على الأرض. أحيانا يساعدهم أحدهم في الوقوف،
ولكن غالبا ما يبقون ممددون على الأرض في توجع حتى
يتوقف التوجع. ازداد المطر، وأصبح الجميع بملابس مبللة
ومع البرودة تعالي صوت الرعشات وطقطقة الأسنان. كان
الليل قد حل منذ وقت طويل عندما عادوا إلى المعتقل،
ولكن ليس الكل قد عاد، كان هناك الكثير من الذين بقوا
ممددين على الأرض. رفعت حنا قدميها حتى تتقدم إلى
الأمام، وباله من أحساس فهي واحدة من كل خمسة قد
أستطاع ممن تمكنوا من الدخول من باب المعتقل والباقية
ماتوا.

مرضت حنا بعد ذلك، اشتدت عليها الحمي وارتفاع درجة
الحرارة وألم في الرأس، وتمددت بجوار راشل التي مازالت لا
تستطيع أن تحرك كتفها. أيام تمر وهي تحصل على

الرعاية من أصدقائها ولكن الحرارة دائما في الارتفاع. حتى اقترحت ميرا عليها أن تأخذها المستشفى، وكما قالت:

"أن هناك أطباء يهود، سيعالجونك جيدا"

توسلت وتضرعت أن تبقي هنا، أن أسوء شيء عندها أن تتفصل عن ميرا وبيلا وراشل وروزا، ولكن الحمى في تزايد عندها وآلام الرأس غير محتملة. حضرت إلى المستشفى عندما نقلتها كل من ميرا وبيلا، انتاب حنا شعورا بالنهاية في اللحظة التي تركتها، وكأن الموت ينتظرها الآن والآن فقط. تم طرحها في أحد الأسرة وأخذ أحدهم في فحصها والضغط بيده في جسدها ثم أمر لها بشراب غير مقبول الطعم وحبوب للبلع. لقد تركت كل شيء حولها يمر مستسلمة حتى تحمي نفسها. أحيانا تضيع في أحد الثقوب السوداء وتغيب عن وعيها ثم تطفو مرة أخرى وتشرب قليلا من الشاي الساخن وتغطس مرة أخرى. هبطت درجة حرارتها بعض الشيء وألم الرأس أصبح شبه محتمل ولم يبقى منه سوى دق خفيف. علمت في هذه الأيام لأول مرة أن لديها التهاب في قشرة المخ.

والآن وعت أنها في حجرة ذات ضوء بسيط مليئة بالأسرة وعلى السرير سيدتان، سيدة على كل طرف. أما حنا فكانت

محظوظة، سريرها أسفل شباكين ضيقين ممتدان إلى أعلى
يشعا بعض ضوء النهار من سماء مليئة بالغمام و أحيانا
تراقب عنكبوت ينسج شباكه.

بعد عدة أيام ألحقت فتاة صغيرة تدعى أورسولا في عمر
الثانية عشرة إلى سريرها على الطرف الآخر منه أسفل
أقدامها، بعيون ملتبهة ذات احمرار شديد وجسد واهن.
الفتاة قادمة من برلين، قصت حكاية كادت حنا لا تصدقها.
فقد أحضرها أبويها إلى إحدى العائلات عندما بدأت
عمليات الترحيل، عاشت عام بالكامل لديهم، فكانت عائلة
طيبة للغاية، حتى وشى أحد الناس بهم.

سألت حنا في ذهول:

"هل كانت عائلة ألمانية، وليست يهودية؟".

هزت أورسولا رأسها قائلة:

"عائلة ألمانية طبيعية، وليست نازية"

ثم هرشت في رقبتها، على الفور قالت حنا لها:

"لا ينبغي أن تهرشي. أكملّي الحكاية"

فهي لم تسأل أورسولا عما حدث لأبويها، فقد تعلمت ألا
تسأل سؤال غبي.

تحت الأرض

بعد تحريم هجرة اليهود، قرر ١٠٠٠٠ منهم العيش تحت الأرض نصفهم في برلين، وحوالي ١٤٠٠ من الذين عاشوا خلف الستار في برلين قد نجوا، كانوا يقومون بتحضير مساعدات المؤن والسكن والبطاقات الشخصية، ففي خلال ١٤ شهر احتاجت ايدت روزنتال إلى الاختباء في سبعين مكان داخل برلين. لم تكن المساعدات المقدمة كلها من دافع المساعدة الخالصة، فكان يوجد من بينهم من يطلق على نفسه صائد اليهود، وغالبا ما يقوم بابتزاز الضحية في وقت الشدة وتسليمها. الذين يعيشون تحت الأرض مهددون من قبل صائدي اليهود الذين يقومون بتبليغ الجستابو عنهم. أطلق على ذلك "الغواصات تحت الأرض"، صائدي اليهود كان منهم من اختفى بعد الحرب ومنهم من مات أثناءها. وآخرون قد تم محاكمتهم، ففي برلين كان هناك حوالي ٢٠ من هؤلاء.

أخيراً بعد أسابيع طويلة قد سمح لحنا الخروج من المستشفى و العودة إلى أصدقائها. في هذه الفترة كانت ميرا قد أقامت علاقات هامة أدت إلى أن يحصلن على مكان جديد في المعسكر ينتقلن فيه هن الخمسة مع سيدة دانماركية. وأيضاً

اعتنت بتوفير عمل مناسب لهن.

عملت حنا لمدة ثلاثة أسابيع في الأشراف على الأطفال، فقد كان عملاً وجدته جيداً وإن لم تعرف أحياناً التعامل مع الأطفال. وخاصة وأنهم يتحدثون اللغة التشيكية، فهم إلى حد ما كانوا أصغر من سن الكلام، لكن تساقط الثلج في الأيام الأخيرة وتم إرسال الأطفال إلى الشرق. عندما فكرت حنا في هذا اليوم فيما بعد، تتذكرت الحضانة خاوية بدون أطفال، وهي تخرج وتنتظر من بعيد تشاهد ذلك الغطاء الأبيض النظيف من الثلج والذي يغطي الأسطح والجدران المتسخة. كانت غاية في التأثر واليأس وغير قادرة على فعل شيء. لم تخلع عن رأسها تلك الأصوات، التي تعاودها دائماً في أزيز أو صور من مكان تجمع موتى القتل الجماعي.

في المساء عندما التقت بصديقتها قالت:

"ليس من الممكن قتل أطفال صغار، أليس كذلك؟ لا يمكن لأي قلب أن يقوي على ذلك"

ردت راشل عليه: "قلب!"

ثم عادت تتحسس كتفها الذي أصبح وقد شرخ إلى أعلي من جراء ضربة الحرس وأكملت:

"قلب! غير معقول، أنت تصدقين أن هناك شيئاً اسمه قلب!"

ثم قالت ببلا:

"لماذا لا يجب قتل الأطفال الصغار؟ ما هو الاختلاف بين أطفال صغار وعجائز؟"

كادت حنا أن تتطرق بأن العجائز قد عاشوا حياتهم إلا أنها ابتلعت الكلمات، إنه كان سبب غبي منها تبرر به قتل إنسان، وأن ذنبه وجريمته أنه عاش.

طبيب الموت

كان أكبر معسكر قتل هو معسكر اعتقال أوشفيتس. فخصص للعائلات اليهودية من ترزينشتات معسكر تحت أسم معسكر ترزينشتات. وكان طبيب سرب الدفاع يوسف منجله هو الحاكم بأمره في المعسكر، فقد كان يملك سلطة القرار والحكم على من هو قادر على العمل أو من يذهب إلى غرف الغاز من القادمين بقطارات الترحيل. فقد قتل عدد كبير من المعتقلين بسبب فحصه الطبي. كان قد هرب قبل وقت قليل من تحرير المعسكر على يد الروس، وعمل كطبيب في مدينة فرانكفورت، إلا أنه تم القبض عليه ولكنه

هرب ولم يتم التعرف عليه، ومنذ نهاية عام ١٩٥٩ تم إصدار قرار بالقبض عليه . ورصد ١٠ مليون مارك ألماني مكافأة للقبض عليه. يقال أنه مات في البرازيل ١٩٧٩، وفي عام ١٩٨٥ تم فحص جثة وجدت بمعرفة هيئة قضائية طبية دولية وقد أثبتت بنسبة محتملة كبيرة أنها جثته.

معت روزا تقول:

"الدور علينا، في أي وقت قادم سنكون نحن أيضا في الصف"

حرمت ميرا عليهم أن يتحدثوا هكذا، وأخذت تخرج قطعة خبز من مخابها ووزعت عليهم القطعة حتى يتثنى لهم الحديث في موضوع آخر:

قالت لهم:

"قال اليوم رجل في دكان الخبز أن الألمان يتقهقرون في روسيا وينسحبون باستمرار، وأن الروس أسروا مائة ألف عسكري ألماني في ستلينجراد، الإفراج قادم، علينا أن نفكر في هذا فقط وليس غير هذا"

سألتها بيلا:

"ومن أين علم هذا الرجل بكل ذلك؟ لا يوجد هنا جرائد ولا

راديو؟"

ردت ميرا: "من معتقل جديد كان يعيش حتى أسبوعين ماضيين تحت الأرض"

علي الدوام يأتي أناس كثيرون جدد إلى ترزينشتات، وقليلًا ما يخرج منها أحد، وعمليات الترحيل المتوقعة إلى الشرق تزداد، وكثيرًا ما تحمل القائمة أسماء العجائز والتي تعلق بشكل يومي. بعضهم كان ضعيف لدرجة أنه لا يقوى على الوصول إلى مكان التجمع. فقد تطوعت حنا لمساعدتهم في تعبئة حاجياتهم، تجعلهم يتوكلون عليها، وحملت الصرة لهم وقادت بعضهم الذي كان لا يقوى على المشي على عربة خشبية، وتحدث معهم لتشد من عزمهم، فقد تعودت على هذا العمل.

كان أحد الأيام شديد السوء، عندما تقابلت مع الدكتور ابشتاين، طبيبها من لايبزج عندما كانت طفلة، كانت في منتهي العجب أنها تعرفت عليّ بسرعة على الرغم أنها لم تعد تتذكر وجه أمها، تمكن أن يكون السبب في حجمه الممشوق الصغير ورأسه الضخم، فعندما شاهدها قال:

"الطفلة قد كبرت"

عندما ذهبت إلى جواره في مكان التجمع لاحظت أن بينهم

مقدار رأس، فأخذت تتكلم كعادتها، احتمال أن يكون هناك مكان أفضل هم ذهبون إليه، فإنه لا يوجد مكان أسوأ من هنا. أبعد يدها قائلاً:

"قفي عند حدك، حنالورا، لم أفقد الأمل أبداً في حياتي وبالتأكيد لن أفعل ذلك"

صمتت حنا. وقبل أن تتركه سألتها:

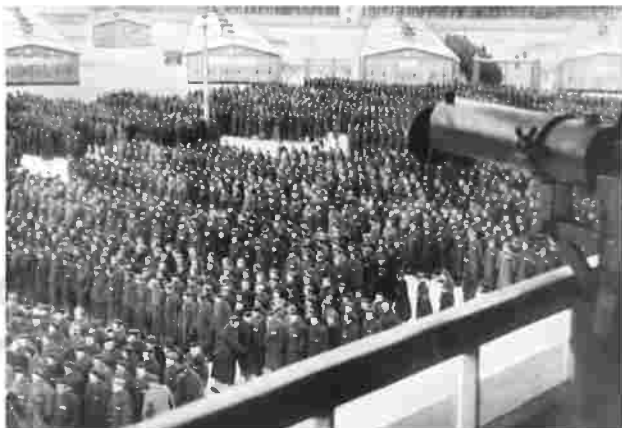
"أتعلم شيئاً عن أمي؟"

تردد ثم قال:

"أعتقد أنه تم ترحيلها مع ابنة عمتها إلى مكان غير معلوم، أنا أسف"

أدارت حنا نفسها بسرعة وجرت إلى زوجين عجوزين في حاجة إلى مساعدة. أحيانا تحصل على بقايا الفحم أو قطعة خبز من العجائز كهدية. عندما يكون البرد لاذعاً وحصّة الفحم غير كافية، تتقذّم بقايا الفحم هذه وتُدْفئ الغرفة بعض الشيء وكل ما يتم حرقه يُزج به في المدفئة. عندما يذهبون إلى النوم يلبسون كل ما لديهم من ملابس، ورغم ذلك يستيقظون وقد تجمدت أطرافهم. الشيء الوحيد الجيد الذي يصنعه البرد هو أنه يجعل قشرة الجلد العليا ميتة فلا يحسون بلدغ الحشرات. فكان البق والقمل

والحشرات تملئ المكان، لا أحد يخلو منها، حتى لو قاموا بغريلة المكان من السقف والأرضية وكل شيء، أحيانا يقومون بتغطيس الملابس في برميل من سائل ذي رائحة لا تطاق، الجو كان شديد البرودة لدرجة أنه في الصباح أحيانا تتجمد رافعات المياه فلا يستطيعون سحب الماء من البئر للاغتسال. حتى اكتشفت بيلا مكان يحصلون منه على المياه حتى ولو كان الجو شديد البرودة. إلا أن عليهم الانتظار طويلا في طابور طويل للحصول على الماء. كان ينتاب حنا إحساس أن اليوم ما هو إلا وقوف وانتظار فقط. بالشورية كانت غير واضحة المعالم فمرة غليظة ومرة أخرى أشبه بالماء وغالبا ما تكون بدون طعم، فقط طعم ملح وبعد التوابل. ولكن كانت هذه الشورية دائما هدفاً مرجواً، فالجميع قد أدمنها. الشورية كانت تعني الحياة، أعلى درجات السعادة، عندما يغطس موزع الشربة بمغرفته في عمق إناء الشربة ويصطاد بها القطع الغليظة من القاع، أو يحصل أحدهم على كماله.



طابور جمع وعد في معسكر الاعتقال في ساكسنهاوزن

كان الجوع قد اشتد على الجمع حنا وميرا وبيلا وراشل، وخاصة بعد أن تركت ميرا عملها قبل وقت قصير في دكان الخبز. كل سكان المعسكر يتضورون جوعا عندما لا يوجد طعام يوزع في المطبخ أو لا يعملون في محل الخبز. يتعرف الشخص على هذه الامتيازات على الفور، فليس لديهم ما يسد الرمق، فقد غارت العيون إلى الأعماق، تهدلت الوجنتان كباقي المعتقلين، الذين قد أصبحوا يشبه بعضهم البعض. كما قالت حنا:

"الجوع يجعل الناس تتشابه وكأنهم أخوة وأخوات"

أما بيلا فبدأت في البكاء. كان من الممكن الحصول على طعام فهناك ما يسمى التجارة، ولكنها في حاجة لبعض

المال أو بعض المجوهرات، تم تهريبها إلى المعتقل. أو يكون لديها علاقة بأحد أصحاب النفوذ، أرادت كلا من حنا وصحباتها أن يفعلا شيئاً، إلا ميرا منعتهم من فعل أي شيء مخالف للقانون: "أي واحدة منكن ستفعل شيئاً مخالفاً للقانون، سيقبض عليها ستحجز في مكان ضيق جداً في معسكر الموت"

فهن ينتمين للمجموعة الدانمركية التي تحصل على إعانة من الصليب الأحمر الدانمركي، فهي إعانات قليلاً ما تصل إليهن، ولكنها وصلت في وقت مناسب وأنقذتهن، مثل إصبع من السجق المتحجر وأيضاً قطعة الخبز، وفي كل مرة تأتي فيها الإعانة تخرج النكت على الشربة. وهذا لأنهم أصحاب امتياز.

كواليس المدينة

عند زيارة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة تم بناء ما يسمى كواليس المدينة (مدينة مزيفة). مدينة بها مقاهي ومحلات وبنك حتى يتم صرف نظر الزوار عن الحقيقة. وقام النازي بعمل فيلم دعائي عن مدينة السينما هذه. الفيلم يزيف حقيقة المعسكر.

في شهر مايو جاء الربيع وأصبح الجو دافئ، تناثرت الإشاعات فيه بأن النازي على استعداد استضافة وفد من الهيئة الدولية للصليب الأحمر لمعاينة المعسكرات التي بها اليهود، وقد وقع الاختيار على معسكر ترزينشتات.

ثم ارتفع عدد الترحيل إلى المعسكر ثم أصبح المعسكر يعج بالمعتقلين، ولم يعد الشخص يحس عما إذا سوف يتعرض بأحياء أو موتي، وبدأ شيء غريب يحدث، فبعض الشوارع في وسط المعسكر قد تم تنظيفها، ودهان بعض واجهات البيوت، ونقل بعض السكان إلى مساكن أخرى، تعالي صوت الطبخ في المطابخ. وقيل أنه سيقام ملهى، وسيتم فتح المحلات، سيمشي المرء في الشارع وكأنه سوف يشتري. وتم تنظيف بعض المساكن وفرشها واختيار بعض من المعتقلين لنقل فيها، والأطفال تدربوا على واجبات بعينها، غير أن الجميع سعداء.

لم تصدق حنا وأصدقائها هذا في الأول، إلا أنه فيما بعد شاهدوا أحد المقاهي وقد تم نصبها، التريزات والكراسي، واجهات المنازل دهنت، أصبح للشوارع لافتات، شاهدت حنا علامة إرشادية لمدرستها التي ليس لها وجود وأيضا

الملاعب.

حرم حرس سرب الدفاع على كل من لم يجيد التدريب في هذه التمثيلية عدم مغادرة مكان أقامته والتزام مكانه، وكان ذلك في يوم ٢٣ يوليو ١٩٤٤ وهو يوم زيارة لجنة الصليب الأحمر.

ترددت الحكايات بعد ذلك أن الألمان سجلوا فيلماً، استخدموه في الدعاية، فقد ارتدى أحد الأطفال ملابس جديدة وذهبوا في حب إلى أحد الحكمدارات تقول له: "ياه يا عم رام ، مرة أخرى تعطوننا سردين!"

وكان السردين قد ملئ حياتهم إلى درجة الغثيان. بعضهم يقولون يا لها من تمثيلية رخيصة، أما حنا في سريرة نفسها تقول:

"من أجل قطعة خبز وسردينة مملحة، لكنك فعلت ذلك أيضاً"

الحديث عن زيارة اللجنة قد توقف عندما تسرب إلى الجميع أن الفنانين الذين قاموا بالتمثيلية قد تم ترحيلهم إلى الشرق، وفي نهاية ١٩٤٤ كان المعسكر خالياً من الفنانين.

أتي الشتاء وميرا أصبحت مريضة، وأخيراً وعندما أودعتها المستشفى. أعلنها الطبيب الصديق العجوز قائلاً:

"أصابك التهاب في الرئتين، ويبدو لي أنه ليس جيدا"
ففي كل مساء بعد العمل تذهب إلى المستشفى لتطمئن
على ميرا، وفي إحدى الأمسيات قالت لها الممرضة:
"ميرا توفت"

انتاب حنا إحساس وكأن أحداً قد طعنها، كانت في ذهول
وصدمة، ولكن لا يوجد عزاء كالذي شاهدته عندما ماتت
جدتها، حنا نطقت تقول:
"أريد أن أراها مرة واحدة"

هزت الممرضة رأسها ورفعت كتفها مرددة:
"لم يعد ذلك ممكنا، فالجثة الآن في المحرقة"
أطبق الصمت على حنا وبيلا وراشل وروزا ثم عدنا إلى
السكن. وفي صباح اليوم التالي تتحوا عن بعضهن البعض
صامتات . وعندما عدن إلى الحياة مرة أخرى تحسسن في
ذكر ميرا، ولكن حنا أخذت تفكر ماذا فعلت وعما إذا ميرا
تمنت ذلك.

أعلن في فبراير ١٩٤٥ أنه أكثر من ألف معتقل من
المعسكر قد تم الإفراج عنهم بمساعدة الصليب الأحمر
ونقلهم إلى سويسرا. اعتبرت راشل كمقولة غبية، وعارضها
كلا من روزا وبيلا، حنا في السر تضامنت معها.



صورة من معسكر بوخناك



أرزولا فولفل <<إذا يجب على الجندي أن يقتل؟>>

obeikandi.com



هيرمان فينكه << لا تقل إن ذلك من أجل الوطن! >>
عن أناس أبدوا المقاومة

في مساء السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٣٣ انطلق كارل فون اوسيتسكي في طريقه للعودة إلى الوطن. قبلها بقليل كان قد سمع بالراديو خبر "حريق برلمان الرايخ". مما ضاعف من اضطرابه الداخلي ورعشة يده. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما استقبلته زوجته بالسؤال المفزع: "ماذا سنفعل الآن؟ فأجابها اوسيتسكي: " لنذهب إلى النوم أولاً".

على مدار يوم كامل كان مدير مجلة "قيلت بيونيه" يحاول معرفة ما إذا كان اوسيتسكي سيترك ألمانيا كغيره من المفكرين والكتاب، كانت هذه المجلة هي أشهر مجلة سياسية في تلك الحقبة. لقد نصحه أغلب أصدقائه وزملائه بعدم الرجوع لمنزله بل وأن يسافر في أسرع وقت بأول قطار ممكن، لكنه تردد، فعندما رفض صديقه وزميله في المعارضة السياسية هيلموت فون جيلاخ آراء المنصحين وقال:

"الأوضاع غير متأزمة حالياً بهذا الشكل. إذن سأبقى هنا".
عندها تمسك اوسيتسكي بقراره وقال:
"إذن سأبقى أنا أيضاً".

حتى في حالة وصوله إلى البيت كانت تحته زوجته على الهرب، فطمأنها بأنه يريد أن ينتظر ثلاثة أيام أخرى فقط، لكن الأمر وقع في نفس الليلة، ففي تمام الساعة الثالثة والنصف صباحاً أيقظ جرس الباب الزوجين من نوم متقطع. وسألت ماود فون زوجها اوسيتسكي:
"هل علينا أن نفتح الباب؟".

فأجابها:

" بالطبع عليك أن تفتحي الباب".

فإذا بها تجد رجلي بوليس يظهران بطاقتي إثبات عملهما بالشرطة و يطلبان القبض على كارل فون اوسيتسكي.

كارل فون اوسيتسكي هو من أشهر الناشرين الذين عاصروا جمهورية فايمر، تتميز مقالاته وتحليلاته السياسية ذات الطابع البسيط بأسلوبها الشيق حتى عصرنا هذا، و وصفه الناشر فريتس ال راداتس عام ١٩٩٤ قائلاً:

"كان بمثابة الشعلة التي أضاءت الواجهة وأظهرت الحنين إلى الوطن وأعمال الفساد التي قامت بها الجمهورية".

"فلتفيقي يا ألمانيا"

قام أحد أصدقاء ومؤيدي كارل فون اوسيتسكي بزيارته



ليستعلم عن سبب مرضه وليحضره إلى مكان آمن، وكان كورت تشولسكي والذي عمل مع اوسيتسكي في إدارة مجلة "فيلت بيونيه" قد هاجر إلى السويد في عام ١٩٢٩، وفي عام ١٩٣٠ حذره بشدة

مرة أخرى في قصيدته "فلتفيقي يا ألمانيا" قائلاً: "النازي يعد لك إكليلا من الزهور الميتة. ألا ترين ذلك يا ألمانيا؟" وفي

عام ١٩٣٣ جرد النازيون الشاعر المنبوذ كورت تشولسكي من جنسيته، وبالرغم من أنه بدا ظاهرياً كأنه يعيش في أمان إلا أنه يعيش داخلها في حالة من الريبة حتى انتحر عام ١٩٣٥ أي بعد عامين تقريبا وذلك في المنفى السويدي

كارل فون اوسيتسكي بعد اعتقاله في فبراير ١٩٣٣

شارك كارل فون اوسيتسكي- المولود في عام ١٨٨٩ بمدينة هامبورج- مشاركة فعالة في حركة السلام عقب الحرب العالمية الأولى، وقام بنقد كلا من السويديين التابعين لجمهورية فايمر و النازية المتفاقمة نقدا شجاعا قلما ضاهاه فيه صحفي غيره.

في العشرين من يناير عام ١٩٣١ نشرت مجلة "فيلت بيونيه" مقالا حول أدولف هتلر ذكرت فيه: "يا لهول الاستياء النفسي لدى شعب يرى في ذلك المخادع قائدا كان ينبغي أن يكون شخصاً ناضجاً".

ومنذ أن سلك اوسيتسكي درب الديمقراطية بجدية غدا هدفا للنازيين، فقد تم القبض عليه بعد مرور شهر واحد من تولي أدولف هتلر منصبه كمستشار للرايخ، وكانت المحطات التي شهدت على معاناته هي سجن قسم الشرطة

بميدان الكسندر بلاتس في مدينة برلين، ومعسكر اعتقال
سونينبورج وأخيراً معسكر اعتقال إسترفيجن.

وبمنطقة إمسلاند والتي تعد منطقة خلاية تجمع مستنقعا
ومرجاً معاً، ظهر السجين صاحب رقم ٥٦٢ في صورته
تعكس أنه لم يعد يقوى بعد على القيام بأعمال جسدية شاقة
ولا سيما ركلات وضربات الحراس التابعين لمنظمة سرب
الدفاع (إس - إس) النازية الذين تولوا مهمة حراسة المفكرين
المنتمين لجمهورية فايمر، وفي بادئ الأمر لم يحمله من
الموت الحتمي سوى المعسكرات الدولية المختصة بمنح
جائزة نوبل للسلام. فقد اضطرت حكومة النازي إلى الإفراج
عن أوسيتسكي السجين المعروف في إمسلاند أخيراً تحت
الضغط الدولي وذلك بعد أن منحته لجنة منح جوائز نوبل
جائزة نوبل للسلام عام ١٩٣٦ بعد أرجائها عام ١٩٣٥،
في ذلك الوقت كان أوسيتسكي قد أصيب بمرض يودي
للموت. وبعد عامين أصيب في إمسلاند بمرض السل الذي
أنهكه جسدياً.

وهكذا يعد أوسيتسكي بلا شك من أشجع رجال المقاومة في
ألمانيا، ولذا استغرق الأمر عقوداً حتى وجد شهادة ميلاده
في ألمانيا الغربية، فقد أعاقه البعض حتى يكون بمقدورهم

إقحامه إلى المعسكر الشيوعي، الجدير بالذكر أن أوسيتسكي كان اشتراكيا متعصبا ومعارضاً شجاعاً للنازية والمادية، وذكر فيلي برانت في كتاباته:

"لا يجوز لمن يتصفح الكتاب الذي يحكي تاريخنا أن يتعرض للجوانب المظلمة كما لا يمكن غض النظر عن الديمقراطية التي نمارسها".

في تلك الأثناء دافع المستشار الألماني الأخير برانت والذي كان مهاجراً في السابق وأحد رجال المقاومة في حقبة النازية عن أوسيتسكي وذلك أثناء وجوده في المنفى النرويجي.

"جنود المستتقع" هو الاسم الذي أطلق على سجناء معسكر إمسلاند.

ففي كل صباح كان الجنود يحملون المجاريف على أكتافهم ثم ينطلقون لحفر المقابر والعمل في الجبال الرملية. وقد انتشرت أغنية "جنود المستتقع" في الثلاثينيات حول العالم بعد أن ظهرت لأول مرة في عام ١٩٣٤ بمعسكر اعتقال مستتقع بورجر، واشتهرت بالتحديد في كل مكان تم الاعتراف فيه بالنازية والفاشية، حتى أنها أصبحت أشهر أغاني المظاهرات إبان الحرب العالمية الثانية.

وقد اعتاد من أطلق عليهم "جنود المستتقع" الذين عاصروا حكومة الرايخ الثالث على التجمع في مقابر المعسكر عند كيوستكانال بالقرب من إسترفيجن، هناك يتذكر الألمان والهولنديون والبلجيكيون والفرنسيون زملائهم، كما انضم إليهم بعد الوحدة الألمانية في عام ١٩٨٩ سجناء من ألمانيا الشرقية وبولندا.

وفي الستينيات نظمت اللجان التابعة لجنود المستتقع وجماعة المطاردين من الحكم النازي والتي أطلق عليها (فاو- فاو- إن) تلك المقابلات، وكانت تهدف هذه التجمعات إلى مطالبة حماة القانون بوضع خطة بعد أن يدونوا نصوص الاجتماعات تدويناً محكماً، وتعد جماعة (فاو- فاو- إن) أحد الجماعات الشيوعية المنتشرة في ذلك الوقت، ولم تمنع هيستريا الحرب الباردة نشاط رجال المقاومة في الرايخ الثالث، وكان يعامل جنود المستتقع القدامى كأعداء للدولة، بالرغم من أنهم كبار السن الذين عانوا من ويلات الحكم النازي في إمسلاند بالإضافة إلى أنهم ضحوا بشبابهم في سبيل الكفاح ضد حكم النازي.

أغنية "جنود المستنقع"

كلمات: يوهان إيزر وفولفجانج لانجهوف

ألحان: رودى جوجويل

أينما تنظر العين، يتجه البصر نحو الوطن، ثم نحو الوطن
يحيط بنا المستنقع والمرج في الطريق إلى الوالدين والمرأة
والطفل تغريد الطيور لا يقر أعيننا فالتهيدة لا تشفى كل
النفوس، أشجار البلوط تقف معوجة و متساقطة الأوراق
لأننا مسجونون هنا

نحن جنود المستنقع
المستنقع

حاملين مجارفنا متجهين إلى المستنقع
متجهين إلى المستنقع
هنا في هذا المرج المجدب
الحراس

لكن لا أحد
المعسكر مشيد هنا
يستطيع اختراقه، لا أحد

هنا، حيث نحن بعيدين عن أي سعادة
فسيكافنا حياتنا
مرصوصون خلف الأسوار الشائكة
فالسياج تحيط
بالحصن أربع مرات
نحن جنود المستنقع
نحن جنود المستنقع
حاملين مجارفنا متجهين إلى المستنقع
متجهين إلى المستنقع
الطواير تسير كل صباح
ولكننا لا نستطيع
البحر بالشكوى
لكن الشتاء لن
إلى المستنقع في طريقنا إلى العمل
يستمر إلى الأبد
إن المقابر تقع عند منطقة احتراق الشمس
وذاات يوم سنقول
بكل سعادة:
إن الخواطر تتجه نحو الأوطان
وطني، سترجع
لي مرة أخرى
نحن جنود المستنقع
سوف نسير نحن
جنود المستنقع
حاملين مجارفنا متجهين إلى المستنقع
لكن بعد الآن: لن
نحمل مجارفنا إلى المستنقع

وفي بداية الستينات بدأ في جريدة "إمس تسايتونج" الصادرة في بابنبورج جدلاً واسعاً حول معسكر إمسلاند وموقف الشعب من حكم الرايخ الثالث، وذلك في الوقت الذي تتسم فيه إمسلاند بالطابع الكاثوليكي المحافظ. وقد رفض الساسة المحليون وساسة البلدية وممثلوا الكنيسة الكاثوليكية بالإضافة إلى تابعين إلى ما أطلق عليها الاتحادات المهمة بالتقاليد، مناقشة تلك الموضوعات رفضاً تاماً، وكان رد فعل الكنيسة الكاثوليكية هادئاً على الصور التي عرضت رجال الدين مع كبار رجال النازية في صف واحد حيث شعرت فجأة بالتشنيع عليها بالرغم من أنها كانت بديها حصناً للمقاومة ضد النازية.

وتضرب الكنيسة أمثلة مؤثرة على موقفها، فعلى سبيل المثال يمثل حاكم جالن الكاردينال كليمينز أوجست نموذجاً بارزاً لرجل الكنيسة الشجاع، فقد ترك قس مدينة ميونستر المنبر وشارك في حلقات تدور حول اغتيال المعاقين ولم يخش التهديدات، كما تم الإعلان رسمياً عن منع ما أطلق عليه "الموت الرحيم" وهو القضاء على "الحياة المنعدمة القيمة" ولكنهم واصلوه في الخفاء.

ويعد الأب اليسوعي ألفريد ديلب مثلاً آخرًا على ذلك، الأب ديلب عالم اللاهوت وأحد رجال المقاومة كان ينتمي لجماعة "كرايزور كرايز" وهي الجماعة المدافعة عن الأزواج هيلموت جيمز وفريه فون مولتكه وكذلك بيتر وماريون يورك من فارتنبورج. ويعود اسم جماعة "كرايزور كرايز" إلى المخابرات وبالتحديد إلى مولتكس جوت كرايزاو. وكانت الجماعة تناقش مخططات نظام ما بعد الحرب كما أقامت علاقات مع دولتي السويد وبريطانيا. وقد دفع بيتر ديلب حياته ثمنا لمعاداته للنازية. وانطلاقاً من واعز ديني امتنع فرانز بيجرشتيتير من جنوب النمسا على التبعية لهتلر حيث رفض حمل السلاح أثناء تأدية عمله. وبسبب ما أطلق عليه "تفكيك قوات الجيش" حكم على بيجر شتيتير والذي يعمل كفلاح وأب لثلاثة أطفال قاصرين بالموت في منطقة برلين تيجل.

وهناك أمثلة أخرى عديدة لكنيستين شرفتن الكنيسة الكاثوليكية: ولهذا لا ينبغي ذكرهم على سبيل التعميم. فهم لا يؤيدون موقفا عاما للكنيسة الكاثوليكية أو معاديا لنظام الحكم. بل على العكس. فكثير من المتدينين تصرفوا مثل غالبية الشعب: فإما أنهم توائموا مع الأوضاع أو شاركوا

فيها بإيجابية. أما الكنيسة كمؤسسة فلم تتخذ موقفا معارضا للحكم النازي. ولكنها كانت تتخذ موقف المدافع إذا لحق الأذى بدروس الدين أو تم اعتقال رجال الدين أو الراهبات. أما أغلب الأحرار الكاثوليك فقد أغمضوا أعينهم عن عمليات مطاردة اليهود والقضاء عليهم.

المسيحي الملتزم



كتب عالم اللاهوت
البروتستانتي
ديتريش
بونهورف في عام ١٩٣٨:
"نقط من سيدافع عن اليهود
هو الذي يجوز له الغناء
الكنايسي الجريجورياني".
ففي مطلع عام ١٩٣٠ كان
بونهورف الذي لم يزل واعظا

في برلين ينتقد علنا موقف كنيسة المعادي للنازية المتفاقمة، كما حذر من مناصرة "المستضعفين والمضطهدين والمسخور منهم". لكنه لم يجد أدنى صاغية بين غالبية زملائه. وقد صار هدفا للنازيين بعد أن ألقى

حديثاً إذاعياً بعد مرور يومين من تسلّم هتلر السلطة قائلاً فيه: "عندما يؤلّه القائد والنظام نفساهما، فإنهما بذلك يسخران من الرب". وبعد أن سحبت منه رخصة التدريس انضم إلى ما أطلق عليها الكنيسة الملتزمة وصار مديراً لحلقة علمية غير شرعية خاصة بالقسيسين وذلك حتى عام ١٩٣٧.

بدأت علاقة بونهوفر بالمقاومة السياسية عن طريق صهره هانز فون دوناني الموظف بمكتب الأجانب في العليا للجيش. ومنذ ذلك الوقت أقام علاقات بجماعات المقاومة الأجنبية وسرب معلومات إلى الخارج. لكن المخابرات استهدفتة سريعاً. وتم القبض على ديتريش بونهوفر في أبريل من عام ١٩٤٣. وبعد عامين تم إعدامه في معسكر اعتقال فلوسينبورج بعد أن أصدرت المحكمة العرفية التابعة للمنظمة سرب الدفاع الحكم عليه بالإعدام.

كان القس الأكبر للكاتوليك في إمسلاند منفتحاً على النازيين، ولا سيما في الوقت الذي ازدادت فيه سلطات هتلر مع القوى الديكتاتورية، وهو ما أودى بالبلاد في النهاية إلى الحرب. وفي عام ١٩٣٦ قاد فيلهلم برنيس قس مدينة أوسنابروك ومجلس دولة بروسيج رحلة إلى معسكر

إمسلاند. و جاء في تقرير جريدة "إمس تسايونج" في عددها الصادر يوم السادس والعشرين من يونيو ١٩٣٦ أن في نهاية الرحلة قال القس برنيس في كافيتريا المعسكر التابع لمعسكر اعتقال مستنقع أشيندورف: "أشكركم أنكم أطلعتموني على الوطن في شكله الذي ابتكره الرايخ الثالث. فقد ظلت إمسلاند في سبات عميق لمدة طويلة حتى جاء الأمير وأفاقها. الأمير هو زعيمنا: أدولف هتلر".

وهكذا استطاعت الكنيسة الكاثوليكية توحيد صفوفها من أجل التكيف مع الحكم النازي وتحمله إلى أبعد حد. أما المذهب البروتستانتي فقد تضمن منذ البداية اتجاهين متعارضين تماماً. وهو ما أطلق عليها "الكنيسة الملتزمة" - وهي حركة معارضة داخل الكنيسة البروتستانتية - فرفضت بشدة التوائم مع أهداف الحكم النازي. كما نادى بالالتزام بتعاليم المسيحية والمعتقدات الأساسية وليس بالاستسلام للدولة. وبهذا الاعتراف تعارضت "الكنيسة الملتزمة" مع "الكنيسة البروتستانتية الألمانية" التي اعترفت بنظام الدولة النازي علناً كما وضع مؤيدوها شعار حزب العمال الألماني النازي على ملابسهم. أما ممثلهم فهو قس الرايخ لودفيش

ميولر الذي قام بتحويل اتحادات الشبان البروتستانت إلى منظمات أطلق عليها اسم "شباب هتلر".

قس الرايخ

كان لودفيج ميولر - الذي عاش من عام ١٨٨٣ حتى عام ١٩٤٥ - مؤيدا سابقا لهتلر حتى التحق بحزب العمال الألماني النازي في عام ١٩٣١. وفي سبتمبر عام ١٩٣٣ استلم منصب قس الرايخ ثم قرر تحويل المنظمات البروتستانتية للشباب إلى ما أطلق عليهم منظمات "شباب هتلر". لكن لم يتسن له المساواة بين كنائس الدولة. مما أدى إلى إصابة جوبلز بالإحباط من قس الرايخ في البداية، حيث كتب عنه في مذكراته قائلا: "إنه لم يجلب لنا قسطا كبيرا من المنافع". وفي الحادي والثلاثين من شهر يوليو ١٩٤٥ انتحر ميولر في مدينة برلين.

وقد حاول ميولر أن ينسب المبادئ التي نادى بها الزعيم والفقرات التي تدور حول الجنس الآري المتعلقة بالاضطهاد والتمييز ضد اليهود إلى الكنيسة. وفي الوقت الذي عمل فيه قس الرايخ ذو المنصب المرموق بالكنيسة

الرسمية على تنسيق عمل الكنيسة مع الحكومة النازية حاول بعض الوعاظ وآخرون من غير رجال الدين أمثال مارتن نيمولر والرئيس الألماني الأخير في تلك الحقبة جوستاف هاننيمان عرقلة تلك الجهود. فقد بذلوا جهوداً حثيثة لمنع إخضاع عمل الشباب الكنسي إلى ما أطلق عليهم "شباب هتلر"، كما قاموا بمحاولات يائسة لتوفير مساحة من الحرية لعمل الإتحادات. وفي اجتماع قسيسي "الكنيسة الملتزمة" في منطقة فوبرتال - بارمن في عام ١٩٣٤ صاغ رجل الحقوق هانيمان مع دارس اللاهوت السويسري كارل بارت ما أطلق عليه "بيان بارمر" والذي تضمن تحديد الدور الذي تلعبه المقاومة الكنسية. وفي البيان أكد القساوسة على الخروج على المسيحيين الألمان الموالين للحكم، وجاء فيه "إننا نرفض التعاليم الخاطئة التي توحى بأن بعض الجوانب في حياتنا لا ترجع إلى السيد المسيح بل إلى أسياد آخرين".

لكن ميولر المنبوذ لدى كثير من المتدينين تشبث بتوجهاته. كما حكم على بعض قسيسي "الكنيسة الملتزمة" بقضايا تأديبية وتلقوا أوامراً بالامتناع عن أحاديثهم وتم النظر إليهم على أنهم أعداء للدولة. وعلى الجانب الآخر

أسس بعضهم جماعات ومنظمات مستقلة خارج نطاق الكنيسة الرسمية وأقاموا بها صلواتهم في صالات مستأجرة تحتوى على منبر متنقل وآلة الهارمونيوم الموسيقية.

وقد شهد مارتن نيموللر عالم اللاهوت والقس في منطقة برلين - ديللم كثيرا من أنشطة "الكنيسة الملتزمة". وكان نيموللر الألماني الاشتراكي وأحد المخلصين للحاكم قائد غواصة في الحرب العالمية الأولى. وفي بادىء الأمر كان من أشد المعارضين للنازية بسبب الإحباط الذي ألم به تحت وطأة الديمقراطية في حكومة فايمر. ولكن عندما نشروا سلطتهم عن طريق العنف بدأ الرد عليهم بشدة ولم يقبل معهم حلول الوسط. كما رفض نيموللر الطاعة العمياء التي أبدتها الكنيسة الرسمية للحكم النازي. وأسس ما أطلق عليه "الاتحاد الطارىء للقسيسين" والذي خرجت من تحت عبائته المعارضة للكنيسة من الداخل.

تقرير رجل المباحث:

جاء في تقرير رجل المباحث حول قداس أقيم في منطقة برلين - ديللم في الثلاثين من يناير ١٩٣٧: "استهل القس نيموللر خطبته بعبارات متطولة تدور حول السنوات الأربع

المنصرمة ولكنه لم يستشهد بأمثلة. وكان من المخزي أنه في يوم الخروج القومي على السلطة والذي سمع فيه الألمان خطبة القائد برضا وفخر أجاز القس نيموللر التحلي بالانحلال والدناءة".

في ذلك الوقت ساد الحظر على الخطب، والسجن، والإفراج عن المساجين ثم حبسهم مرة أخرى. وفي عام ١٩٣٧ أصدرت محكمة استثنائية حكماً بالسجن لمدة سبعة أعوام على عالم اللاهوت نيموللر. ولم تفرج عنه المحكمة بعد تنفيذ الحكم بل حكمت عليه بتهمة "السجين الشخصي للقائد". وقضى نيموللر سنوات الاعتقال حتى نهاية الحرب في معسكر اعتقال ساكسنهاوزن. وبهذا خسرت "الكنيسة الملتزمة" أهم مناضليها.

ومن نفس الوازع المسيحي انطلقت روح المقاومة لدى المناضلة صوفي شول. ففي أواخر السبعينات بدأت في الانشغال بحياتها حيث شرعت في كتابة قصة حياتها بالفعل. وقد أكدت لي أختاها الناجيتان إليزابيث هارتناجل والتي تتحدر من عائلة شول وإنجي أيشر شول على دعمهما الكامل لها. في ذلك الوقت كانت إنجي أيشر شول تعيش مع زوجها مصمم الجرافيك أوتل أيشر في مدينة

روتيسميوله الواقعة في منطقة ألجوي ذات الطبيعة البكر
الخلابة في ولاية بادن فورتنبورج. وفي مدينة روتيسميوله
تحدثت مع إنجي أيشر شول حول حياة صوفي شول: عن
طفولتها في مدينة فورشتنبيرج، وسنوات شبابها في مدينة
أولم، بالإضافة إلى قصص كفاحها ضد ما أطلق عليه
تنظيم "شباب هتلر"، وهو نفس التنظيم الذي شارك فيه
أبناء ماجدالينا وروبرت شول في البداية. ثم تطرق إلى
تأديتها لواجب خدمة الرايخ، ووصولاً إلى دراسة الأحياء
والفلسفة في مدينة ميونيخ. هناك شاركت صوفي شول في
تنظيم المقاومة "قايسة روزه" حيث قامت بكتابة وتوزيع
المنشورات، ثم لحق بها أخوها أيضاً.

توقفت عن الكلام

"عندما استدعى النازيون الشيوعيون، توقفت عن الكلام. فلم
أكن شيوعياً. وحينما قاموا بالتصدي للديموقراطيين
الاشتراكيين، توقفت عن الكلام، ولكنني لم أكن ديموقراطياً
اشتراكياً. وعندما استدعوا العمال النقابيين توقفت عن
الكلام. وبالطبع لم أكن من العمال النقابيين. أما عندما
استدعوني فلم يكن يتبقى أحد بمقدوره الدفاع عني".

تكونت النواة التي نشأت منها تلك الجماعة على أيدي
الأخوة شول: الكسندر شموريل، كريستوف بروبست، وفيللي
جراف. ثم انضم إليهم دكتور الفلسفة وعلم النفس الموسيقي
كورت هوبر. وقد اتفق الطلبة على معاداتهم للحكم النازي.
وتحت ضغط الحرب الإجرامية والقتل الجماعي لليهود رسخ
لدى الجميع اقتناع أن وقت التفاوض قد جاء.
مارتن نيمولر

من منشورات جماعة "فايسه روزه"

"كل كلمة يتفوه بها هتلر كذب. فعندما يقول "سلام" فإنه يقصد "حرب". وعندما يذكر في حكمة خبيثة اسم أقوى



شخص فإنه يقصد قوى الشر. وعندما يذكر الملاك الشهيد فإنه يقصد الشيطان. وعندما نسمع أنه يستلزم القضاء عسكرياً على القوة النازية، فإننا نتطلع إلى تجديد الروح الألمانية المجروحة داخليا بشدة. إن عملية إعادة الميلاد تلك يجب أن تؤدي إلى معرفة حقيقية بالأخطاء التي جلبها الشعب الألماني لنفسه بل وإلى الكفاح ضد هتلر وأعدائه الكثيرين."

من المنشور الرابع: يوليو - ١٩٤٢.

أعضاء جماعة الوردة البيضاء، هانز وصوفي شول مع كريستوفر بروس، تم إعدام الثلاثة في فبراير ١٩٤٣

ظهر أول منشور من منشورات جماعة "فايسه روزه" أو "الوردة البيضاء" في عام ١٩٤٩ من تأليف هانس شول وألكسندر شموريل. وقد قام تنظيم "فايسه روزه" بتوزيع منشوراتها عبر البريد. و تم إنجاز طبعة تتضمن ما بين ٦٠٠٠ وحتى ٩٠٠٠ منشور وزعت في جنوب ألمانيا والنمسا. وبالإضافة لذلك نظمت الجماعة أعمالاً نضالية يتم تنفيذها ليلاً. كما انتشرت عبارات على حوائط الشوارع مثل: "إلى الهزيمة مع هتلر" و "هتلر قائد القتل الجماعي" و "الحرية" بالإضافة إلى الصلبان المعقوفة المشطوبة. وحصلت الجماعة على معلومات جيدة من خلال علاقاتها ببعض المفكرين بجانب حصولها على الأخبار من الضفة الشرقية ومراقبة المخابرات لإذاعات الحلفاء.

وقد تم توجيه المنشور السادس تحت عنوان "زميلاتي زملائي" إلى الطلبة في مدينة ميونخ والذين نطالهم بمقاومة الحكم النازي والتخلص من هذا العبء. وجاءت هذه المناشدة كرد فعل على الشعور بهزيمة قوات الدفاع الألمانية في مدينة ستالينجراد. وقام بتوزيع ذلك المنشور في جامعة ميونخ صوفي وهانز شول وذلك في صباح

الثامن عشر من فبراير عام ١٩٤٣، حيث ألقوا أوراقه الأخيرة من السطح العلوي إلى الفناء المضيء، حتى شاهدتهم بواب الجامعة وبلغ عنهم المخابرات. وبعد القبض عليهم مباشرة بدأت سلسلة من التحقيقات. وبعد أربعة أيام أخرى سافر قضاة "محكمة الشعب" بقيادة رئيسها رولاند فرايسلر من مدينة برلين إلى مدينة ميونيخ للنطق بالحكم على الإخوة شول وكريستوف بروبست. ويصف أحد الشهود ليو شامبرجر سير مفاوضات برئاسة فرايسلر بأنها كانت: "صاخبة، مليئة بالأصوات العالية والتي تزداد حدة بالتدرج" كانت صوفي شول في الحادي والعشرين من عمرها عندما حكم عليها مع أخويها هانز وكريستوف بروبست في الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٤٣ بتهمة التستر على الخيانة والعداء للدولة بالإضافة إلى التخطيط للخيانة العظمى والعمل على الإخلال بنظام الجيش. وتم إعدامهم عن طريق كمين نصب لهم في منطقة ميونيخ شتاديلهايم. وأثناء التحقيق اعترفت صوفي بالأعمال التي كانوا يقومون بها أثناء توزيع المنشورات قائلة: "كل ما كتبناه وقلناه يعرفه كثيرون لكنهم لا يبنون الفصح عنه". وفي أربع محاكمات أخرى ضد التابعين لجماعة المقاومة الطلابية تم إصدار

أحكام بالقتل تم تنفيذها في حق روفيسور كورت هوبر
والكسندر شموريل وفيللي جراف وهانس لايبالت. وحكم على
المتهمين الآخرين بالسجن لفترات طويلة. ومنذ ذلك الحين
انتهى وجود تنظيم "فايسه روزه" أو "الوردة البيضاء"

القضاة الدمويون

من لم يكن متفهماً للأوضاع في ألمانيا، فليس عليه أن
يخشى المخابرات فقط بل "محكمة الشعب" أيضاً. فهي التي
أصدرت أحكاماً بالقتل في محاكمات صورية على أشخاص
اتهمتهم بأنهم "خائنين". ورأت المحكمة أن واجبها ليس
النطق بالعدل، ولكن "القضاء على أعداء النازية". وبالطبع
كان القضاء في محكمة الشعب هم أنصار النازية. وبالتالي
"لم يكن من المسموح مطالبتهم بأحكام عادلة" أو معارضة
قراراتهم. وكان المسئول عن محكمة الشعب هو رجل
الحقوق رولاند فريسler وهو أحد مؤيدي القائد النشطاء. في
أحيان كثيرة كان يقوم بسب المتهمين بصوت عال جداً
بألفاظ مثل: "أيها البائسون" و "الصعاليك" و "الفران" التي
ترتعد خوفاً من المحاكمة. وبسبب أحكامه التي تخلوا من
الرحمة اكتسب ذلك القاضي شهرة سريعة كأحد "القضاة

الدمويين". فقد تم إصدار أكثر من ٥٠٠٠ حكم بالقتل داخل محكمة الشعب ، من بينهم الأحكام التي صدرت في ٢٠ يوليو ١٩٤٤ على الأخوة شول مع غيرهم من المقاومين.



رولاند فريسز رئيس محكمة الشعبي

وأثناء عملي بكتاب "الحياة القصيرة لصوفي شول" أبدى صديق صوفي شول فريتس هارتناجل استعداداه لأول مره الحديث عنها. بدأت تلك الصداقة في عام ١٩٣٧. عمل هارتناجل ضابطاً بالجيش وعاصر الحرب حتى نهايتها المريرة. تزوج من إليزابيث شول أخت صوفي في عام

١٩٤٥ وكان اغتيال صوفي شول بمثابة صدمة له. في عام ١٩٤٥ أراد أن يترك عمله بالجيش، لكن روبرت والد صوفي . استطاع منعه بحجة أن هذا القرار سيعرض جميع أفراد العائلة إلى الخطر. وبعد عام ١٩٤٥ أصبح فريتس هارتناجل قاضياً ومعارضاً متعصباً لإعادة تسليح ألمانيا. والذي أصبح من الراضين للمشاركة في الحرب بعد سنوات طويلة.

كانت صوفي شول وفريتس هارتناجل يتبادلان الخطابات كثيراً. وثبتت تلك الخطابات الدوافع التي جعلتها تؤيد صديقها. وبعد اشتعال فتيل الحرب العالمية الثانية كتبت صوفي يوم ١ سبتمبر ١٩٣٩ "الآن سيكون لديكم ما يكفيكم لفعله". "لا يمكنني أن أفهم ما يحدث. فباستمرار يتم إحضار أناس حياتهم في خطر بسبب أناس آخرين. لا يمكنني أن أفهم ذلك أبداً وأجد أن ذلك شيء مهين. لا تقل إن ذلك من أجل أرض الآباء".

في أحيان كثيرة كانت صوفي شول تقيم الحجج ضد الحرب الإجرامية كما استطاعت في النهاية أن تقنع هارتناجل بأن هتلر لم يكن مسموحاً له أن يكسب الحرب. "تدريجياً وجدت نفسي مضطرة أن أوافق على أن موقفهم كان منطقياً.

فالمرء إما أن يكون مع هتلر أو ضده. ولو كانت تمت معارضة هتلر، لما كان من حقه أن يكسب تلك الحرب. لأن الهزيمة العسكرية هي التي كانت بمقدورها القضاء عليه. بمعنى آخر: إن كل ما نفع العدو وأضر بنا نحن الألمان هو نفسه ما كان بإمكانه أن يعيد لنا الحرية"

وتثبت خطابات ورموز مذكرات صوفي شول أنها كانت شخصية مستقلة. وأهم ما يميز سنوات صباها هو الاستقلال في التفكير والتصرف. وسواء كانت هذه هي صفاتها الطبيعية أو أسلوبها في العلاقات مع الآخرين فإنه يعكس عمقا يقرب المسافات بينها وبين الآخرين. ويتضح من بين السطور في كتاباتها كيف اتسمت المقاومة بخوف ووحشة وفراغ داخلي. فبالرغم من استسلام الملايين للحرب والدمار والإرهاب والموت، أصر القليلون على النضال ضد الظلم.

كتبت صوفي في يوم ١٣ يناير ١٩٤٣ في مذكراتها: "بمجرد أن أكون بمفردي حول البؤس أي رغبة داخلية لدي إلى عمل. وعندما أمسك بكتاب فإني لا أفعل ذلك لرغبة داخلية في ذلك، بل كأنتني أفعل شيئاً آخر. إن أصعب

الآلام حتى لو كانت جسدية أفضل ألف مرة من الهدوء بلا هدف".

صوفي وهانز شول عرفهما كل فرد في ألمانيا تقريبا، حيث كانت مقاومة جماعة "الوردة البيضاء" الطلابية تمثل الجزء الأكبر من العداء للحكم النازي على الإطلاق . وبجانب "الوردة البيضاء" كان هناك من البداية جماعات أخرى كثيرة مختلفة تتبنى المعارضة ضد هتلر والنازية. وكان المقصود من تلك الحركة النضالية التي لاقت إقبالا بين الشباب في الرايخ الثالث معارضة الذوق الموسيقي للنازيين المتأثرين بموسيقى القرن التاسع عشر والذين قاموا بالدعاية تحت راية الأيديولوجية الجرمانية النضالية: " الأرض والدماء". كما ألفوا لأنفسهم مقطوعات موسيقية أجنبية وخاصة المقطوعات الأمريكية مثل "موسيقى النيجر" على سبيل المثال. لكن الشباب كان يسمع موسيقى "سوينج" و "جاز" ويفضلون الرقص معها وذلك بدلا من الموسيقى الشعبية.

كانت مدينة هامبورج هي الحصن الحصين لهؤلاء الشباب. في تلك المدينة المطلة على الميناء أسس الفتيان والفتيات ما أطلق عليه "شلة سوينج" والتي اختلفت بشكل واضح عن

شباب جماعة هتلر ذات الزى الموحد، حيث تميزت تلك الشلة بمظهرهم غير المهندم وشعرهم الطويل وملابسهم غير المتكلفة. وقد تركتهم الحكومة وشأنهم لفترة طويلة. حتى ظهرت موجة معارضة لهم، حيث طلب هاينريش هيملر قائد حركة "اس - اس" التابعة لحكومة الرايخ القائد الأعلى للبوليس "بالقضاء على الفساد بحزم". ولذلك أمر بموجة من الاعتقالات. وتم اعتقال أعداد كبيرة من صغار السن بمعسكر اعتقال الشباب "مورينجن" بالقرب من مدينة هانوفر، كما رحل آخرون إلى مناطق أخرى مثل نوينجامة وبوخينفالد وبرجين بيلسن. ولم يكن لحركة سوينج أي أهداف سياسية معلنة، ولكنها لم ترض بوصاية المتعصبين للعنصرية مثل هتلر وهيملر.

ونفس الشيء تقريبا حدث مع من أطلق عليهم "قراصنة إيدل فايس" - وهي حركة مناهضة للحكومة تتألف من آلاف الشباب العمال الذين ذاع صيتهم في مدينة كولن ومنطقة الرور بالإضافة إلى مدينتي فرانكفورت أم ماين وكاسل. ويرجع اسم جماعة "قراصنة إيدل فايس" إلى السلطات التي قامت بمطاردة الجماعات لأن بعض الشباب كانوا يلبسون شارات عليها النبات الجبلي إيدل فايس. وقام

قراصنة إيدل فايس بتأسيس جبهة تحدوا فيها جماعة شباب هتلر حيث تمسكوا بمظهر طبقة العمال ودخلوا في صدامات مع جماعة شباب هتلر بالإضافة إلى الأعمال التخريبية التي قاموا بها. وقد عبروا عن طلبهم بالاستقلال من خلال الملابس والنياشين وأسلوب تحية الآخرين. وقد تم شنق مؤيدي تلك الجماعات الشبابية المعارضة بدون إجراء محاكمات. كما اعتقل آخرون بتهم "الانحلال" أو "الإضرار بالمجتمع" وذلك في معسكرات تدريب العاملين أو معسكرات الاعتقال.

وعلى عكس ذلك كان لأعضاء جماعة "هربرت باوم" في برلين أهداف سياسية. ويعود اسم الجماعة إلى الكهربائي هربرت باوم والذي جمع حوله بمساندة ماريانا كون ومارتين كوخمان وسارة روزينباوم حوالي مائة شخصاً ينحدرون من طبقة الشعب البسطاء والعمال اليهود. كما شارك بعض هؤلاء في رابطة الشباب الشيوعيين حتى عام ١٩٣٣. وعبرت جماعة "هربرت باوم" عن عدائها للنازيين من خلال الشعارات العدائية على الحوائط، بالإضافة إلى المنشورات والملصقات. في مايو ١٩٤٢ قامت الجماعة بعملية تستهدف المعرض النازي "جنة

السوفيت" في حديقة " لوست جارتن" في برلين والتي قامت بحملة دعائية ضد ما أطلق عليها جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاشتراكي. وقام أعداء المعرض بتوزيع المنشورات التي جاء فيها: "المعرض الدائم - جنة النازي- الحرب، والجوع، والكذب، والبوليس السري. إلى متى بعد؟". وكان الهدف من حريق المعرض هو تدمير عمل وزير الدعاية بالرايخ جوزيف جوبلز. مما أسفر عن إصابة أحد عشر شخصاً. وبعد أيام قليلة قام البوليس السري بالقبض على عدد كبير من أعضاء الجماعة، كما حكم على عشرين شخصاً منهم بالقتل. كما مات رئيس الجماعة باوم بعد تعرضه لأعمال تعذيب قاسية في السجن، ومن المحتمل أنه قام الانتحار. وفي نفس المكان الذي أقام فيه البوليس السري شبكة مراقبة محدودة في برلين لحراسة الشعب، كان يقوم عدد كبير من المواطنين بعمليات المقاومة. وبفضل دعمهم استطاع حوالي ١٤٠٠ يهودي في عاصمة الرايخ البقاء على قيد الحياة حتى نهاية الحرب. وفي مناطق أخرى في ألمانيا كان هناك أشخاص قاموا بالمساعدة بلا خوف على أرواحهم، وبغض النظر إلى المخاطر التي قد تصيبهم

قاموا بإخفاء اليهود المطاردين واللاجئين السياسيين في
أقبية وسنادير المنازل الخاصة و في الأديرة والبيوت السرية
التي لا يتخيل البوليس السري وجود مخابئ بها. وهكذا
عاش حوالي عشرة آلاف يهودي بطريقة غير شرعية في
أرجاء ألمانيا.



هارتموت فون هينتيج ١٩٤٥ سنة التحرر

في مساء عيد الفصح: جلس ٧٠٠ من طلاب المدرسة العسكرية - كنت أحدهم - ممن سيتم تخريجهم في وضع الاستعداد في عنابرهم التي تم تدفئتها جيداً بواسطة مواشير

^١ هارتموت فون هينتيج Hentig من مواليد عام ١٩٢٥ درس في جامعتي توبنجن وشيكاجو وعمل عام ١٩٦٣ أستاذاً للعلوم التربوية بجامعة توبنجن وانتقل بعد سنتين لجامعة بيلفياد حيث أنشأ مدرسة تجريبية عام ١٩٧٤ وأصدر مجلة ربع سنوية عن "التربية والمجتمع". وقد أحيى على المعاش عام ١٩٨٧ ولكنه واصل كتابة مؤلفاته العديدة آخرها: "إعادة التفكير في المدرسة" (١٩٩٣)، و"التعليم. مقال" (١٩٩٦)، و"لماذا يجب أن أذهب إلى المدرسة" (٢٠٠١)، و"الإبداع" (٢٠٠٤)، و"العلوم" (٢٠٠٥) [المترجم].

التدفئة المعدنية. كان كل ثمانية منهم قد سُكنوا في أحد بيوت الفلاحين الواطئة التي تمت مصادرتها، والتي كانت منتشرة حول مقر قيادة مدرسة فيشاو العسكرية في الغابات الجبلية لمقاطعة بوهيميا. كانوا منهمكين في قيافة وتعديل الزى الرسمي الجديد الذي وزع عليهم في اليوم نفسه: كأن تتشي القبعة ثنية محددة على يمين الشارة وأخرى على يسارها؛ أما السترات التي قُصت وحيكت لهم بمهارة عالية فلا بد من تقصيرها ونقل جيوبها للأعلى قليلاً بشرط أن يبقى موضع الحزام كما هو في الوسط. "الصبية يبقون صبية" حتى في العشرين من العمر، وفي إبريل من عام ١٩٤٥، ودون جمهور، كانوا فخورين من ناحية "بالزى" الجديد ويضعون من ناحية أخرى أهمية على "العلامات الشخصية". وبينما كان أحدهم يسخن خبزاً على الفرن قبل أن يدهنه بالمستردة "زبدة الملازمين"، أخرج آخر من دولابه المعدني غطاء أحد أوعية الطبخ وبه زبدة حقيقية حصل عليها من فلاحه تشيكية مقابل سروال داخلي طويل شديد الخضرة: " يا جماعة. سيأتي الربيع سريعاً، والانتصار النهائي قريب، وعندئذ سيتغاضى الجيش عن قطعة منسوجة من القماش!". كان المزاج العام وقحاً وضاجاً. فتح

أحدهم الشباك بعنف فسمعنا أصوات المدافع من جهة مدينة أوسترو في منطقة مارين.

في ضحى الغد - وليس في عيد ميلاد هتلر كما خطط سابقًا - ستم ترقية لهم لدرجة ملازم ثان، وبعد غد سيتم شحنهم في أحد القطارات. لا بد وأن أحد العقلاء في مجلس قيادة الجيش العليا [OKH] قد قرر ألا يضحي بهؤلاء السبعمائة رجل دون جدوى وفي آخر لحظة. فلم يكن في الأمر أي "لانجمارك" (انتهاك وسوء استغلال) بوهيمي^٢.

إلى أين تتجه رحلتنا. لا يعرف أحد. سيبقى الجميع إذن معًا إلى حين - بوصفهم احتياطيًا لمجلس قيادة الجيش العليا التي كانت لا تزال في برلين. وفي الغد في تمام الرابعة صباحًا، وإبان الظلام الدامس كانت التحرك باتجاه قطار البضائع المعد للسفر: عربات لنقل الماشية، توجد في كل منها كرتان من القش وأبواب جانبية تغلق بشكل سيئ.

^٢ "لانجمارك" Langemark اسم لمعركة جرت وقائعها إبان الحرب العالمية الأولى في مكان ببلجيكا يحمل الاسم نفسه، وقد مات فيها الكثير من العساكر الألمان صغار السن، وما أن نشرت الصحف أنهم ماتوا وهم يرددون "ألمانيا فوق الجميع" حتى تحول الأمر أسطورة استخدمت سياسيًا إبان حكم النازيين وقبله. ولكن الكلمة تحولت بعد ١٩٤٥ لتحمل معنى الانتهاك وسوء الاستغلال لحماس الصبية والشبيبة. [المترجم].

لم تكن الليالي هي الباردة فقط، وكان من لا يزال يمتلك
سرواله الداخلي الطويل في حالة جيدة!

كان التموين إبان السفر منتظمًا وكافيًا، ولا يعرف أحد كيف
ينظم ذلك وسط هذا الاضطراب العام! وفي كل مكان توجد
ممرضات الصليب الأحمر، وكذلك مديرو المواصلات،
ومخازن الطعام، المحاسبون وإيصالات الاستلام. وفي
المساء تطير أسراب القاذفات المعادية بعدد ضخم مثل
غمامة أعلى قوات الدفاع الجوي الألمانية. وعلى الأرض
وجدت الفوضى الأفضل تنظيمًا في تاريخ الحروب. كان
الأمريكان قد تقدموا لعمق منطقة الرور، والروس يعدون
للحجوم على عاصمة الرايخ - وعلى الطريق من برون
لبرلين يحصل سبعمائة من الملازمين غير المخطط
لوصولهم على نصيبهم اليومي المحدد من السجائر!

وعندما وصلوا بعد أربعة أيام إلى محطة قطارات شليزين
في برلين كان مجلس قيادة الجيش العليا قد انتقل إلى
بافاريا. ولأن خطوط القطارات في المدينة قد دمرت نقل
السبعمائة بواسطة سيارات نقل من الشرق إلى محطة
قطارات في جنوب غرب برلين. كان الوقت مساءً ولكن
الضوء كان مازال كافيًا لرؤية الجنود الذين هجموا من قبل

قوات خاصة أطلقت عليهم النار بوصفهم هاربين من الجندية ثم علقوا في أعمدة إنارة شارع فرانكفورت في برلين. وفي الليلة التالية قفز الكثير منا بالقرب من منازلهم ومسقط رأسهم. لم يحاول أحدٌ منع زميله. فهذا ليس فقط "هروباً من الجندية"، وإنما هروباً إلى الأدغال دون تأنيب ضمير، بينما يضحى الآخرون بحياتهم لأجل الوطن والآخرين. إنه تسريح، أي حل مبكر وغير مكلف، للجيش.

فإذا كان الضباط الشباب يفكرون هكذا؛ فكيف يفكر إذن العسكري صغير الرتبة؟! نعم، حينما أطلقت في صيف ١٩٤٤ القنابل بعيدة المدى (V1) و (V2) على إنجلترا، وحينما توقف في الخريف زحف الحلفاء في فرنسا وبدأ بعد ذلك هجوم ألماني مضاد، وأخيراً حينما توفي في أبريل ١٩٤٥ الرئيس الأمريكي فرانكلين ديلاانو روزفلت - ترك المرء نفسه للآمال غير العقلانية: أنه في وقت ما وتبعاً للنبوءة ستتحول الحرب بطريقة إعجازية، أو بسبب سلاح سري جديد: الطائرة النفثة ٢٦٢ لشركة مسرشميت التي رُئيت هنا أو هناك والتي تطير بسرعة تزيد عن أسرع الطائرات الأمريكية بمائتي كيلومتر في الساعة - لا بد وأنها ستمحو العدو من السماء أولاً ثم من على الأرض.

عملية "الدباسة"

في بداية مايو عثر الجنود الأمريكيان في مدينة أوبرامجاو على مصممي الصاروخين (V1) و (V2)، سلاح هتلر الانتقامي المحاط بالأساطير. وفي جبال هارتز وجدت فرقة مدرعات أمريكية دهليز الأنفاق الضخم المعروف بـ "مصنع الوسط" Mittelwerke، وهو مصنع أسلحة تحت أرضي يعمل فيه أربعون ألفاً من عمال السخرة. وقد غنم الأمريكيان طائرات حربية ومحركات ومائة من صواريخ (V2) وأطنان من التصميمات المخطط لها ومركزاً للسجلات والعناوين. وقد سقطت هذه المنطقة بعد فترة قصيرة في يد السوفييت. نقل ١٢٠ من العلماء الألمان المتخصصين إلى فندق شديد الحراسة في مدينة باد كيسجن. وقد تيسر للفرنسيين أن يحصلوا رغم الحراسة الأمريكية الشديدة على بعض هؤلاء العلماء. حينما قدمت المخابرات الروسية عرضاً بمساعدة عمال مطبخ الفندق لرئيس الخبراء الألمان فيرنر فون براون كان قد أعطى كلمته للأمريكان. وقد نقل هو و ١٦٠٠ عالم ألماني من خلال عملية "الدباسة" Paperclip إلى الولايات

المتحدة - لقد بدأ السباق على العلماء الألمان، الجميع يريدون الانتفاع بتخصصاتهم.



٣ مايو ١٩٤٥. أوبرامجاو. القوات الخاصة للولايات المتحدة الأمريكية عثرت على علماء الصواريخ الألمان حول فيرنر فون براون (ذو الذراع المجبسة) وقبضت عليهم.

سبوتنيك

حاول السوفييت إعادة "مصنع الوسط" مرة أخرى للعمل، وبعد عدة أسابيع كانت إعادة بناء صواريخ (V2) قد انتهت. وفي أكتوبر ١٩٤٧ نقل الروس المصنع إلى الاتحاد السوفيتي، وكان على العلماء الألمان أن ينتقلوا معه. كذلك فككت مصانع الصواريخ لتبنى في مكان آخر، وهذا ما حدث مع مصانع تسييس ويونكر للطائرات.

وفي سباق ألماني واصل الخبراء الألمان أبحاثهم لدى كل من الاتحاد السوفيتي وأمريكا على الرهان أيهما أسرع. وفي عام ١٩٥٢ سمح للألمان بالعودة للوطن فتركوا هناك خططاً لبناء الصواريخ كان من بينها التصميم الأول للصاروخ الذي حمل عام ١٩٥٧ أول قمر صناعي من نوع سبوتنيك وحمل عام ١٩٦١ أول البشر إلى الفضاء الخارجي. وفي عام ١٩٦٩ هبطت سفينة الفضاء أبوللو ٢ على القمر بعد أن قذفت بصاروخ صممه فيرنر فون براون ومساعدوه.

الآن يريد "الصمود" من يعرفون أنهم لن يفتلوا دون عقاب، قوات (أنا ومن بعدي الطوفان) الخاصة، قوات إس-إس، فرقة أدولف هتلر، قوات هيرمان جورنج النموذجية. لقد سمعوا عن السبعمئة ملازم الذين لم يعودوا سبعمئة وكانوا يأتون ويقومون بالإعلان عن أنفسهم بكلام عن "الواجبات الكبرى"، و"الامتلاء بقوة النضال"، و"نيل أعلى الأوسمة".

لا بد للمرء أن يكون وعن حق غيبًا حتى يقبل مثل هذه العروض. كان البعض يفعل هذا. أما رفيقي فقال لا ثم استدار وذهب وقد تبعته.

لا بد للمرء أن يكون وعن حق غيبًا أيضًا إذا ما تصور أنه من الممكن لجيش التحرير الروسي الذي كونه الجنرال فلاسوف من الأسرى الروس أن يوقف الانهيار، أو أنه سيوقف من قبل جيش "فِنك" الذي فُكر فيه من قبل هتلر ولكنه لم يجد، أو أنه سيوقف من قبل "جيش المقاومة الشعبية" الذي أسس في سبتمبر من قبل هتلر وتكون من صبية في السادسة عشرة ومن رجال عجائز حتى الستين، وكان مظهرهم يدل على اليأس من الحالة حتى بالنسبة لمن لا يريد أن يصدق.

وفي النهاية لا بد للمرء أن يكون وعن حق غيبًا مستحقًا للعقاب إذا صدق الإشاعات الخبيثة التي تقول أن الحلفاء الغربيين يتفاوضون منذ فترة مع قادة الجيش الألماني على التحالف المشترك ضد الجيش الأحمر.



تلاميذ سجلوا أنفسهم في آخر مراحل الحرب "كمطوعين" للحرب على الجبهات. وقد كانوا في الغالب غير مدربين وسئى التسليح.

جيش فلاسوف:

الجنرال أندريه فلاسوف، الذي سجل أكبر النجاحات العسكرية ضد الألمان لدى كييف وموسكو، وضع نفسه في خدمة البروباجندا الحربية الألمانية بعد أن سقط في أسر الألمان. كان يريد أن ينظم جيشاً روسياً ليحارب مع الألمان ضد ستالين. وقد أيد مشروعه من قبل عدد كبير من العسكريين الألمان، ولكن هتلر رفض ذلك. فقط في نوفمبر ١٩٤٤ سُمح للجنرال الروسي بأن يكون فرقاً عسكرية من أسرى الحرب وعمال المناطق الشرقية. بعد نهاية الحرب سلمه الأمريكان للاتحاد السوفيتي.

حينما قبض الجنود الأمريكان عليّ وفتشوني بحثاً
عن الس

دون إرادة أو تعسف تذهب الأفكار إلى الزميل الذي وشى به وجُرد من رُتبه في فيشاو ثم ألحق فيما يحتمل بسرية من الجنود المذنبين كي يستعيد "كرامته المفقودة" بالموت. وكان هذا الزميل قد أفصح إبان تنظيف السلاح عن أنه لن

يشارك في أداء قسم الولاء لهتلر مرة ثانية في صباح عيد الفصح: فقائد لا وفاء له لا يجب القسم على الوفاء له. هتلر كذب على شعبه وعساكره الذين أقسموا له وبالتالي فقد خانهم. "أنتم ترون: نحن نتدرب لشهور طويلة كيف نُهاجم وإبان تتقهقر قواتنا ومنذ سنين على كل الجبهات". حينما أخذ هذا الزميل فإن أحدنا لم يخرج من الصف ويتبعه.

وفي أوجسبورج أنزلنا في الصباح بالقرب من حقل تقف فيه مئات من الطائرات النفاثة (Me262) التي لا يمكنها الطيران لعدم وجود الوقود اللازم. البعض منا ممن تعلمون عمل التفجيرات سيؤمرون في الغد القريب بتفجيرها.

وفي هذا الوقت استبدلت لدى قناصي الجبال الذين أنزلنا في ثكناتهم ثياب خروجي العسكرية الجميلة المزينة بثياب مناسبة للميدان: جاكته مشمعة مقابل "معطف أركان حرب"، وحذاء طويل بخيط مقابل حذاء طويل دون خيط، وخيمة نوم وأواني للطبخ وحقيبة ظهر مقابل قناع واقي من الغازات. أما معطفي الخاص فأرسلته إلى البيت بالبريد وقد وصل! ومع أحد الزملاء تلقينا أمر السير المنتظر وكان

نصه "قيادة المدينة في إنجولشتاد" حيث اتجهنا إلى هناك ببطء على الطرق الزراعية: فلا أحد ينتظرنا هناك.

وفي هذه الأيام كان المنتصرون يقبضون على مئات الآلاف من الجنود الألمان يوميًا، وقد أسسوا بسرعة كبيرة معسكرًا ضخمًا في حقل واسع: كل عشرة آلاف متر مربع محاطة بسور من الأسلاك الشائكة يرتفع لثلاثة أمتار تكون عنبرًا يتسع لألف رجل. وقد تركت بين هذه العنابر طرقًا لعربات الحراسة الجيب وللشاحنات التي تحضر المقادير المحددة من الماء والطعام. أما إدارة هذه العنابر فقد وضعها الأمريكان في يد النزلاء؛ ولذا كانت توجد خيمة مستقلة لمدير العنبر، أما الآخرون فيعسكرون تحت السماء - ولذا كان من يمتلك خيمة نوم في حالة مريحة جيدة!

في مساء أول مايو سنة ١٩٤٥، وهو اليوم الذي استسلمت فيه للجنود الأمريكان، انتقلت من عالم القيود إلى عالم الحرية. وهنا فإن الأسلاك الشائكة وقانون المعسكر ونظامه - عشرة أمتار مجال حركة لكل فرد (لا يحسب من هذا مكان التمام والمطبخ والحمام) - لا تعد نقيضًا لذلك؛ فالحرية قبل كل شيء هي التحرر من الخوف وعدم العقلانية. "لقد رفعت الغشاوة" - هذه الجملة المعروفة تعبر

عن مشاعري الجديدة. الحرية هي إذن الفرصة للأمل في
تحكيم الحق والإنسانية لدى كل إنسان؛ لأن الإنسان يوجد
في كل مكان.



أبريل ١٩٤٥ في معسكر بالقرب من الراين حُشر عشرة آلاف أسير ألماني تحت
السماء المفتوحة. لم يكن الحلفاء مستعدين لاستقبال الكثير من الأسرى أو
لإطعامهم، وقد توفي منهم الآلاف بسبب لإرهاق والأوبئة.

لاح كانوا يريدون سرقة ساعتى فذكرتهم - والأيدي على
الحائط - بمعاهدات دن-هاج وجنيف لمعاملة الأسرى
فأجاب الجنود ساخرين: "وماذا عن داخاو وبيرجن-بيلزن
وأوشفيتز؟" وهنا توقفت سيارة جيب ونزل منها أحد الضباط

وتأسف لما بدر من جنوده السكارى بالنصر وسأل "هل
معي سلاح؟" "لا". "ولا حتى مطواة؟" "بلا". كانت السكين
التي في حوزتي أطول ببوصة من أن تكون مطواة ولذا
اعتبرت خنجرًا فأدخلها الضابط في أحد الشقوق وكسر
الجزء الزائد وأعطاني الباقي. العدل يخلق أملاً في الحرية.

وجد في عنبرنا ألف ضابط من ملازم ثان حتى عقيد. ليس
لأحد سلطة على الآخر. فالاعتبار هنا يكون على قدر
الذكاء وحسن السلوك، بالتالي فإن قلة الاعتبار تكون نتيجة
لدرجة لسوء السلوك. فمن يتعلق حتى بطنه بصندوق الزبالة
الذي يقع إلى جانب قدور الطبخ حتى يُهدأ جوعه، ومن
يتخلص من وسام الفروسية عبر السور لأجل سيجارة زيادة
من جنود الحراسة يفقد ولا ريب احترام الآخرين. ومن يعطي
زملائه دورة في الإنجليزية أو الروسية أو يصنع من علب
المعلبات ساعات جيب شمسية دقيقة فإنه يكسب الاحترام،
ومثل هذا الاحترام يحوزه أيضًا من يقتسم ما لديه مع
الآخرين.

قانون دن-هاج للحروب البرية ومعاهدة جنيف

حينما رأى السويسري هنري دونا في إيطاليا عام ١٨٥٩ كيف أن ٤٠ ألف جريح - فرنسي وإيطالي ونمساوي - قد تركوا في ميدان معركة سولفرينو دون عناية أو اهتمام نادى بإنشاء منظمات إنسانية يجب أن تهتم في حالة الحرب بالعناية بكل المجروحين ويجب احترام استقلاليتها من قبل الفريقين المتحاربين. وفي عام ١٨٦٤ وقعت ١٢ حكومة على "معاهدة جنيف لتحسين مصير العسكريين الجرحى للجيش في الميادين الحربية". وكعلامة مميزة لهذه الجمعيات الإنسانية المساعدة أختير الصليب الأحمر على خلفية بيضاء.

وفي عام ١٩٠٧ اتفقت ٤٤ دولة على معاهدة تنظيم القوانين والأعراف للمعارك البرية. وفيما بعد يجب التفريق بين السلطة المسلحة والسكان المدنيين، بين المحاربين وغير المحاربين. فكلاهما له الحق في حالة الأسر في التمتع بأن يكونوا أسرى حرب ويجب أن يعاملوا "بإنسانية" وأن "يعودوا بعد توقيع معاهدات السلام وفي أقصر وقت إلى موطنهم".

التقيت رجلاً أعرفه - فقط أنا - منذ وقت سابق. كان رئيس التحرير السابق للمجلة الأسبوعية لجوزف جوبلز "الرايخ". بينما كنا نسير بصعوبة ولمدة ساعات عبر الأرض الطينية لطريق المعسكر الدائري حكى لي كيف تملكه وهو في الثامنة عشرة طموح أن يفكر في الاشتراكية القومية (النازية) تفكيراً "أصح" مما يفعل أصحابها: دون ضغائن، دون ضيق أفق ثقافي وأخلاقي، ودون الإيديولوجية القومية والإيديولوجية العنصرية الغبية. "وبسبب الشباب والاعتزاز بالنفس، كما كنت، تصورت أن الحكام سيتبعونني إذا ما جعلتهم مؤلفين لأفكاري، ولكنهم بدلاً من ذلك جعلوني شريكاً في جرائمهم. وأخيراً قبل عامين سجلت نفسي في الجبهة كمراسل حربي بدعوى إرضاء ضميري الوطني. وقد قُبل ذلك". سألته "هل تخجل من تصرفكم؟". فقال "أنا أخجل من أنني سكت عن الكثير من الأكاذيب رغم أنني كنت أعرف الحقيقة".

وقد حكى لي هذا الرجل عما لم نلاحظه إبان ضجيج الحرب والبروباجندا وعدم تفكير العساكر المطلوب: التاريخ العالمي الذي سيحكم علينا.

الاستسلام - الأحداث والنيات

بالطبع سمعنا عن اتفاق كازابلانكا (الدار البيضاء) - الاتفاق بين الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء الإنجليزي تشرشل، وأنهما سيقبلان فقط الاستسلام من دول المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان دون شرط أو قيد. وقد استخدم هتلر هذا المطلب من قبل الحلفاء لمحاولة صهر الشعب الألماني "لأجل القتال حتى النهاية": "(دون شرط) تعني أن من يستسلم لا تكون لديه حقوق ويمكن للمرء أن يفعل كل شيء معه - وسيحدث هذا أيضاً". هذا ما أوضحته لنا البروباجندا النازية. وقد توافق هذا بشكل جيد مع الخطة التي اقترحتها وزير المالية الأمريكي هنري مورجنتاو في سبتمبر ١٩٤٤. وقد رأى فيها أن ألمانيا بعد هزيمتها يجب الاستيلاء على جميع مصانعها وتحويلها إلى "دولة زراعية" غير خطرة على جيرانها. وكان هذا في الترجمة النازية: "من يريد أن يجعلنا فلاحين في القرن العشرين يريد أن يُفنيننا".

كان رئيس التحرير . الذي ظل لديه حتى النهاية . مدخلاً إلى أخبار العدو يعرف أن القوى الغربية تخلت عن هذه الخطة بسرعة: "مجال خال كهذا سيصبح، إذا ما عاد

الأطْلَنْطِيِّون إلى بلادهم، سهل المنال بالنسبة للسوفييت، وهم لن يستخدموا منطقة الرور بالتأكيد كمراعي حيوانية!".

"هل سمعتم عن يالطا؟". قلت "لا". "في يالطا اشترى ستالين وبثمن باهظ الموافقة على رؤيته لنظام ما بعد الحرب: سمح للأمم المتحالفة بأن تؤسس منظمة الأمم المتحدة (UNO) في سان فرانسيسكو، واهتم بأن يحصل الاتحاد السوفيتي بمفرده على ثلاثة أصوات في الاجتماعات العمومية: صوت للاتحاد جميعه، وصوت لروسيا البيضاء وصوت لأوكرانيا. وقد وافق بعد هزيمة ألمانيا على أن يدخل الحرب ضد اليابان. واعترف بفرنسا كقوة محتلة رابعة لألمانيا. ومقابل ذلك تترك لروسيا منطقة البلقان "كمجال حيوي" وهناك يمكنه أن يطبق النظام السوفيتي. أما بولندا فسيتم زحزحتها للغرب بدرجة كبيرة لصالح روسيا. وأن يحصل الاتحاد السوفيتي على نصف الغرامات التي يمكن تحصيلها من المنطقة الألمانية. وقد سمحت القوى الغربية بحدوث ذلك لأنها تريد أن تكون مطلقة اليد في شرق آسيا. كان المنتصرون يتشككون في بعضهم البعض بدرجة ليست أقل من شكهم في عدوهم المشترك حتى الآن: ألمانيا. وهذه لن يقوموا فقط بنزع

سلاحها وإنما قبل كل شيء بتقسيمها. أما الاتحاد السوفيتي فعلى العكس يبقى - وسيظل كما هو: القوة الشيوعية المعادية للرأسمالية".

ألمانيا لا بد وأن تدفع

في يالطا قدرت الواجبات المالية على ألمانيا المهزومة بعشرين مليار دولار. لا بد وأن يحصل الاتحاد السوفيتي على نصفها. تبعًا للتقديرات السوفيتية كانت الأضرار في بلادهم أكبر من هذا المبلغ بكثير. فبسبب الحرب أصبح ٢٥ مليون سوفيتي مشردًا، محيت ٧٠ ألف قرية بالكامل ودمرت ١٧٠٠ مدينة وأصبح ٦٥ ألف كيلومتر من خطوط السكك الحديدية غير قابلة للاستخدام. وقد قدر ستالين الأضرار التي لحقت ببلاده بمبلغ ١٢٨ مليار دولار بالإضافة إلى ٣٥٧ مليار دولار تكاليف الأضرار الناتجة عن ذلك كله. ولكن وقف الأمريكيان ضد مثل هذه المطالب المغالى فيها. كانوا لا يريدون ألمانيا مدمرة جائعة. كانوا يريدون بداية ديمقراطية جديدة.

شيء آخر سمعته قبل القبض عليّ في تقارير الساعة الخاصة بالجيش: هتلر تولى في ٢٣ أبريل أمر الدفاع عن برلين. في ٢٥ أبريل: التقت طليعة الدبابات الأمريكية والروسية عند نهر إلبا لدى مدينة تورجاو. في ٣٠ أبريل: القائد "سقط". وقد أذاع الراديو بعد تأخر ليومين أنه "ضحى" بحياته "بروحوه المجنحة بإرادة إنقاذ شعبه وأوربا من الإفناء على أيدي البلاشفة". وهذا ما أدى بيننا فيما بعد وبسرعة إلى إثارة التخمينات المتضاربة والمتوحشة والتي بدأت بوقوع "اعتداء" مروراً بـ "مخبأ تحت المخبأ"، و"البدلاء" وحتى "الهروب إلى أمريكا الجنوبية". أما التعليق الرزين لمدير التحرير فكان: "هتلر قام بالانتحار مع عشيقته إيفا براون"^٣ "ودون أن ينسى - بالمناسبة - عزل كل من جورنج وهملر من عملهما. وكان جورنج قد استفسر عما إذا كان ينبغي أن يتولى القيادة كلها وذلك لأن هتلر قرر البقاء في برلين. أما هملر فحاول أن يتفاوض من خلال السويد على سلام مع القوى الغربية. وبذا كانا بالنسبة لهتلر خائنين بخلاف جوبلز الذي قتل نفسه وأسرته". وفي

^٣ ومن قبيل هذا عملية إطلاق النار على موسوليني في ٢٨ أبريل لدى محاولته الهروب إلى سويسرا. فمثل هذه الأمور عرفها الشعب الألماني فقط فيما بعد. [المؤلف].

الثامن من مايو مساءً جمعنا الأمريكيون وأخبرونا باستسلام كل القوات الألمانية.

الصراع على برلين

٣٠٠ ألف جندي سوفيتي و ٤٠ ألف جندي ألماني كانت تكلفة الحرب حول برلين، ولا توجد أرقام موثوق بها عن



الخسائر بين المدنيين. وقد قُتل ألفان من شببية هتلر إبان الدفاع عن ميدان "ماي- فيلد" الذي أسسه

هتلر كمكان ضخم لسير الفرق المشتركة في الألعاب الأولمبية لعام ١٩٣٦. ٢٩ أبريل ١٩٤٥ رفع الروس العلم الأحمر على برلمان الرايخ. قبل أسبوعين - في ١٢ أبريل ١٩٤٥ - قدمت فرقة برلين الفلهارمونية آخر كونسرت: "تحطيم الآلهة" لريتشارد فاغنر.

أما ما حدث بعد ذلك فقد وصلنا في أغلب الحالات بوصفه إشاعة أو من خلال أحد أعداد مجلة الجيش Stars

Stripes and التي تركها أحد الجنود الأمريكيان في خيمة قيادة العنابر. لم أر من قبل قط مجلة تتكون من مثل هذه الكمية من الصور. في الأسابيع الأولى سيطرت التقارير عن معسكرات الاعتقال - اكتشافات جديدة دائماً لوسائل النازيين الحديثة للقتل والإفناء والتعذيب. لقد كان الأمر أسوأ كثيراً مما توقعته بناء على قراءتي لمخلص الصحافة الخارجية السري الذي كان والدي يحصل عليه بحكم وظيفته. ثم كان مؤتمر بوتسدام. كنا نسمع ونقرأ كلمات مصيرية حول ألمانيا دون أن نعرف بعد ماذا تعني: "خط أودر - نيسا" يحدد حدود بولندا الغربية؛ شرق بروسيا وكونيجسبرج تصبحان روسيتان"، مدينة إيمانويل كانط؛ وإلى الغرب من ذلك تبدأ بولندا الجديدة، وإلى الغرب منها "المنطقة السوفيتية المحتلة (SBZ). (على كل حال يبقى الأمر لدى كلمة "مناطق" أي رقعة أرض صغيرة، إذن فألمانيا ستقسم إلى خمسة مناطق: المناطق المقطعة تحت "إدارة بولندية" أو تحت "إدارة سوفيتية" والمناطق الأربعة المحتلة). وبالإضافة لذلك: "نزع التسليح"، "التخلص من النازيين"، "إدارة محلية ذاتية"، "السماح بالأحزاب" - CDU، SPD، KPD - والأسماء كونراد أديناور، كورت

شوماخر، فيلهلم بيخ، فالتر أولبريشت - وكان الأخيران قد عادا من المنفى الروسي إلى برلين؛ وبالإضافة لذلك: "الدمقرطة" و"إعادة تربية الألمان". ثم: "الإصلاح الزراعي" و"التفكيك" الذي يهدف لإنهاء سلطة الملاك الكبار والشركات الكبرى واتحادات الشراكة، و"مجرمو الحرب" وقد حكم في لونابورج في أول قضية حول معسكرات الاعتقال على أحد عشر متهمًا بالموت. وأخيرًا: "تهجير" فقد سمح تبعًا لقرارات بوتسدام لكل من بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا بأن تجلي عن أراضيها "بنظام وأسلوب إنساني" الألمان الذين يعيشون هناك. "فيضان اللاجئين" هذه الكلمة نعرفها جيدًا؛ فقد عايشناها شخصيًا. (ولكن ما الذي يحول هروب جماعي أو طرد جماعي إلى أسلوب "منظم"؟). والآن يضاف لكل هذا "الأشخاص المرحلون" - الأحياء من معسكرات الاعتقال، وعمال السخرة، وأسرى الحرب - الذين ستؤدي إعادتهم إلى بلادهم إلى مشاكل: كان البعض منهم لا يريد العودة لوطنه.

الأشخاص المرحلون

بعد التحرير دخل في عناية الحلفاء مليونًا ونصف المليون من المقبوض عليهم في المناطق الألمانية ممن يسمون

الأشخاص المرحلون. الأغلبية منهم عادت أو يجب أن تعود لأوطانها، حتى ضد رغبتها. على سبيل المثال كان عمال السخرة الروس الذين نجوا مهدين إذا ما عادوا إلى الاتحاد السوفيتي تحت حكم ستالين بأن يتهموا بالتضامن مع الألمان. وقد اختفى الكثير منهم ولسنوات طويلة في معسكرات العمل. أما بالنسبة لأكثر من خمسين ألف من اليهود الباقين، الأغلبية من أوروبا الشرقية، فلم يعد يوجد لهم وطن.



١٧ يوليو ١٩٤٥ التقى "الثلاثة الكبار" في مؤتمر بوتسدام (من الشمال لليمين): رئيس الحزب السوفيتي ورئيس الدولة المارشال جوزيف. ستالين، الرئيس الأمريكي هاري س. ترومان، ورئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل.

مؤتمر بوتسدام

انتهت الحرب. وبعد أقل من عشرة أسابيع التقى الثلاثة الكبار - الرئيس الأمريكي ترومان، القائد

السوفيتي ستالين، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل - في بوتسدام لأجل التفاوض على نظام ما بعد الحرب لألمانيا. ولكنهم لم يصلوا إلى أي اتفاق فيما يخص الأسئلة الحساسة.

بخلاف الرئيس السابق روزفلت لم يعد الرئيس الأمريكي ترومان يفكر في "إخلاء" ألمانيا أو في تحويلها إلى دولة زراعية تعيش في العصر الحجري مثلما اقترح وزير المالية الأمريكي هنري مورجنتاو عام ١٩٤٤. فالقوى الغربية لا تريد أن تمحو ألمانيا، وإنما احتلالها وإعادة تربيتها. وكان سوء ظنهم يتجه ومنذ فترة إلى الاتحاد السوفيتي تحت حكم ستالين الذي كان قبل قليل شريكاً لكنه تحول الآن بالتأكيد إلى عدو منافس. لقد بدأت الحرب الباردة في بوتسدام.

كان ترومان يملك إبان المفاوضات الورقة الراحبة في حقيبته. في ٦ أغسطس ١٩٤٥ أسقطت قنبلة نووية أمريكية على مدينة هيروشيما اليابانية. وكانت هذه بداية لسباق التسلح القادم بين الشرق والغرب - توازن الرعب الذي وجه سياسة القوتين العظميتين

أمريكا والاتحاد السوفيتي لعشرات السنين.

كان الكثير مما يحدث "في الخارج" مما لا يمكن تصوره. لكن الآراء تتكون بسرعة لاسيما وأنا نملك الوقت الكافي . وأن السماء تهدينا صيفاً جميلاً بشكل لا يعقل .. كان المزارعون وزراع الفاكهة والأعشاب ينتظرون التسريح بفارغ الصبر، ولكننا أحسنا سريعاً بوجود مبدأ تسوية ديمقراطي؛ ففي البداية سيتم الانتهاء من أمر العساكر العاديين، أما الضباط فسيتركون للنهاية فقط سيطلقون بعد اختبار تفصيلي شامل. وفي هذا الوقت كان الأسرى يعلمون أنفسهم في جامعة المعسكر التي ازدهرت بعد أسبوعين من إنشائها، يتبادلون الكتب بحماس في بورصة الكتب، بل ينسخون كما فعلت كتباً كاملة لأنهم يخافون ألا تسنح لهم مثل هذه الفرصة في المستقبل.

في ٦ أغسطس ١٩٤٥ وصل خبر إسقاط قنبلة نووية على هيروشيما، وفي ٩ أغسطس خبر إسقاط الثانية على نجازاكي. العدد المقدر للموتى بين ٥٠ ألف و ٢٠٠ ألف في المدينة الأولى، وما بين ٣٠ ألف و ٥٠ ألف في المدينة الثانية. فما أحدثه المرء في مدينة دريسدن في يوم ١٣

فبراير بواسطة تقريباً ٨٠٠ طائرة وحوالي ٢٠٠ طن من القنابل أحدثته في اليابان طائرة واحدة بقنبلة واحدة.

منذ هذا الوقت انقسم معسكرنا على نفسه؛ فالكثير منا خامرهم الإحساس بأن الأمريكان فقدوا فضيلتهم الكبرى بسبب عدم الصبر. حينما سلمت اليابان بعد أربعة أيام بدأ الأذكياء بيننا حساباتهم الكبرى: كم من القتلى وفرتها النهاية السريعة للحرب لكلا الجانبين. ولكن هل يصح للمرء أن يحسب الأمور بهذه الطريقة؟ وهل يجب أن يحسب المرء؟ الجزويت والنازيون يقولون: "الهدف [الطيب] يبارك الوسيلة". ولكن فلاسفتي - سقراط وأرسطو وكانط - علموني أن الوسيلة السيئة تفسد الهدف الطيب.

الميراث - مواقف وأسئلة

في يوم سبتمبري مشمس أعلنت إدارة المعسكر: أن المرء يمكنه أن يسجل نفسه للمشاركة في إعادة بناء المدن الفرنسية المدمرة. كنت مستعداً بحماس، أريد أن أخرج من هنا، أريد أن أكل حتى أشبع عن حق مرة أخرى. من يطلب منا العمل سيطعمنا ولا شك بما يكفي. أما لغتي الفرنسية فجيده جداً لدرجة أنني لا أحمل همّاً؛ فمتلي لن يسخروا منه. حتى المساء أعلن من بين ألف ضابط ٢٥ ضابطاً

فقط عن استعدادهم. كان عليهم أن يملئوا في الغد استمارات طويلة وأن يفحصوا طبيبًا بدقة. وقد وجد خمسة آثاروا الريبة كنت أحدهم: ندبة على الذراع الأيسر تعود لزمن طفولتي جعلت الأمريكان يخمنون في البداية أنني قمت بإزالة علامة فصيلة الدم التي يوشم بها أعضاء قوات الإس - إس. ولكن أحد الخبراء تعرف على عمر الندبة. في تمام الخامسة مساءً غادرنا العنابر مصحوبين بدهشة وعبث وشتائم الباقيين واصطحبنا شاويش إلى باب المعسكر. وبعد حوالي خمسمائة متر وحيث لا يرانا الآخرون أو يسمعوننا قال الشاويش أمرًا: "قف!" ونادى أسمائنا. وكل من يناديه يحصل على خطاب وضحكة ساخرة لكن طيبة ثم قال في النهاية: "هيا يا أولاد روحوا! لقد كان هذا اختبارًا!". بالنسبة لنا كمتطوعين كان الأمر مفيدًا؛ فقد بقي الضباط الآخرون ستة شهور في الأسر.

أعطيت جارمش - بارتكيرشن حيث منزل جدتي كمكان إقامة لي. أما منزل والدي في برلين فدمر بالقنابل في نوفمبر ١٩٤٣ وقد احترقت أملاك الأسرة عن آخرها. وقد وصلت الموطن البديل على الأقدام بعد أربعة أيام - في أجمل بداية خريف في هذا القرن.

أعطي الوالد الذي كان مديراً لقسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية بعد تدمير "مكان عمله" - السكرتيرة آلات الكتابة والملفات - مسكناً بديلاً يطل على أحد مزارع منطقة نوي-مارك وسمح للأم، التي لم تكن مكلفة بعدُ بالخدمة مثل بقية النساء، بالذهاب معه. وقد استعادت أختي الصغرى وكانت في العاشرة من الملجأ الآمن للأطفال في مدينة أونروهجشتاد شرق نهر الأودر والتي كانت قد أرسلت إليه بسبب الحرب. أما أخواي اللذان كانا في الثانية عشرة والثالثة عشرة فكانا في مدرسة داخلية في شمال براندبورج. وفي صيف ١٩٤٤ أحضر والدي، بعد أن تكهن بالمستقبل، الأم والأخت الصغرى إلى جارمش-بارتكيرشن - "لأسباب صحية". أما الولدان فيجب أن يبقيا في مدرستهما؛ فنقل الأسرة كلها من الشرق إلى الجنوب الغربي يدل على الشك في النصر، ومثل هذه الروح الانهزامية تتم معاقبتها. أما الأخت الكبرى فكانت تعمل في إحدى مزارع تورنجن. وفي أبريل وكننتيجة لمؤتمر يالطا تقدم الأمريكان إلى هناك، وقد شكوا في أن هذه النبيلة التي يقتصر عملها على إطعام الخنازير، لا بد وأنها تمارس تمويتها ما وأنها تمسخ ذئبة بالليل!

الاستذءاب

حاول "الجنرال المفوض للحرب الشاملة" جوزيف جوبلز في الشهور الأخيرة للحرب أن يثير المدنيين إلى أن يقوموا بالنضال المسلح. وقد أذاع عبر الراديو ما يُسمى "نداء الاستذءاب" وأعلن أن كل بريطاني، كل أمريكي، "كل بلشفي على الأراضي الألمانية" "محلل الدم": "دائمًا إذا ما وانتتتا الفرصة لإفنائهم سنقوم بذلك بمتعة ودون خوف على حياتنا الخاصة... الكراهية هي صلاتنا، والانتقام هو صيحتنا للحرب".

في مايو انسحب الأمريكان والإنجليز من المناطق التي احتلواها (ساكسن وماكلنبورج وتورنجن) وقد أخذها الروس ليلاً. أصبح الأسرى البولنديين الذين حمتهم أختي واعتت بهم يحمونها ويعتتون بها. وقد تركت في أغسطس المزرعة والخنازير باتجاه الغرب حيث ظنت أننا موجودون، ولكن

كانت توجد حدود داخل ألمانيا: "لا بد وأن تحصلي على ورقة من المارشال شجوكوف شخصياً كي تعبري هذا المكان!" قال لها الجندي الروسي بالروسية التي تتحدثها. ولم تجدها حتى الدموع النسائية التي لا تخطئ هدفها عادة. فقد أعطاهما الجندي منديلاً أبيضاً وأعادها للخلف معزياً: "لا تبكي يا أختي الصغيرة". وقد عبرت الحدود فيما بعد من "المنطقة الخضراء" مثلما فعل آلاف آخرين وذلك بعد أن تظاهرت بأنها تجمع المشروم (عيش الغراب).

منطقة خضراء

عبر الغابات، فوق الماء، وفي برلين المنقسمة ترك مئات الآلاف المنطقة السوفيتية باتجاه الغرب. منذ يونيه ١٩٤٦ كان المرء يحتاج لفيزا، ومنذ ١٩٥٢ اعتبر كل هروب مساً بالحدود وموضع لعقاب قاس. ولكن هذا لم يوقف الهجرة الشعبية. لقد هرب مليونان وستمئة ألف من جمهورية ألمانيا الشرقية المؤسسة حديثاً، وذلك قبل أن تُغلق ثغوب الهروب ببناء سور برلين في أغسطس ١٩٦١.

أما الوالد فقد أنقذ أسرة نبلاء نوي-مارك والكثير من الحقائق المملوءة بملفات الخدمة على عربة تجرها الأحصنة وذلك قبل هجوم الروس. أما الولدان فسافرا منفردين باتجاه بافاريا حيث قبض على الوالد من قبل الأمريكان بسرعة - لقد وقع بوصفه موظفًا كبيرًا تحت ما يسمى بـ"الاعتقال الآلي". بسرعة وبعد وصولي قمت والأخت الكبرى بإعداد أنفسنا لنستعيده من الجنرال باتن متسلحين بشهادة الدكتوراه الفخرية التي حصل عليها الوالد من جامعة جنوب كاليفورنيا التي درس فيها الجنرال باتن أيضًا. وقد أكد لنا الجنرال بأن الوالد يؤدي الآن واجبًا ينبغي أن يبقى سرًا ولكنه واجب مهم ومشرف. وقد علمنا فيما بعد : أنه بوصفه معارض معروف للنازية كان عليه أن يستطلع مزاج الألمان وأن يقدم الاقتراحات لتحسينه. وقد حازه الأمريكان بسبب الغضب من نتائج استطلاعهم في أحد سجونهم التي وصفها فيما بعد بأنها "معسكرات اعتقال". لقد كان هو نفسه مثلاً لما يريد الأمريكان معرفته: من أين أتى الغضب والاستياء؟ من المحتلين. لقد انتظر محررون نبلاء يعرفون أن أمامهم مهمة صعبة، ويبحثون

عن نصيحة لدى خبراء زملاء لهم ولكن في الجانب العقلي من هذه المهمة. ولكن بدلاً من هؤلاء النبلاء المنتظرين هجم شباب صغار السن غير عارفين بطريقة حياتنا، ولا يهتمون بمشاكلنا، ويظنون أن كل الألمان البالغين نازيين وكل الألمانية الشابات سهلات يمكن إغراءهن. "برابرة!" كان حكمه عليهم، وذلك لأنهم إبان القبض عليه في شقة الهروب الصغيرة تناولوا مرطبان مخلات فلما لم يستطيعوا محتواه رموا به في دورة المياه. إنه لم يعايش مثلي ما فعله الجنود الألمان في البلاد المحتلة. كان ينبغي عليه أن يفهم أن الجيوش المقاتلة لا تحمل إلى جانب عربتي الإسعاف والمطبخ قوانين دولتها، وبدلاً من ذلك كان يستغل بشكل يومي كل مناسبة ليعلن عن غضبه وتبرمه.

الجنرال باتن

كان الجنرال وبطل الحرب جورج س. باتن ناقدًا لسياسة التخلص من النازيين؛ وذلك لأن هذا الأمر يعرقل إعادة البناء ويغلق الباب أمام أذكى الألمان. وعقب ذلك تم تسريحه في الخامس من أكتوبر ١٩٤٥ من قبل الحكومة

الأمريكية العسكرية ثم أعيد إلى أمريكا.

إبداء الغضب والتبرم ألم نتخطى هذا كله دون ضرر بالغ رغم كل هذه الجرائم التي ارتكبتها النازيون باسمنا، والتي نعلم منها جميعاً ودائماً ما يكفي لجعلنا متسترين عليها؟ أنا على سبيل المثال انتظرت أن تقام بعد الهزيمة محاكمة كبرى للجميع تحكم بالأعمال الشاقة علينا جميعاً سواء أكنا نازيين أم لا. وبدلاً من ذلك يختبر ويفرز ويصنف في "لجنة تطهير" ثم يسمح لغير المتهمين بمواصلة عملهم إذا كان لديهم أو يمكنهم أن يجدوا.

بالنسبة لي، وبسبب كوني ضابطاً يحمل بعض المسؤولية، لم يسمح لي في البداية بالدراسة أو القيام بعمل ما في الخدمة العامة في المنطقة الأمريكية. فمثلي لا بد وأن يكون عمله جسدياً هذا إذا كان يريد أن يحصل على بطاقة المعونات. ومن ثم يسمح له بالاختيار بين عمل في المناجم أو في تجديد وإحلال خطوط السكك الحديدية هذا إذا كان قوياً بما يكفي للقيام بذلك؛ فإن لم يكن فالعمل في أحد المصانع التي تحول أجهزة الحرب لأجهزة مطابخ. وقد

أنقذني من هذين الاختيارين قدوم موسم حصاد حشيشة الدينار وكان رئيس المنطقة التي أعيش فيها يدعو للاشتراك فيه: لا بد وأن تحصد حتى يوجد في أكتوبر "بيرة جيدة لكم ولي". كما قال الضابط الأمريكي للفلاحين الفرانكيين الذين أحضرنا نحن المتطوعين لنساعدهم. يا له من رمز، هكذا فكرت، هذا الأسلوب الذي نعامل به بدلاً من تطبيق قانون العقوبات علينا!

لا. لا يوجد سبب للتبرم والغضب! حتى السعادة تتحول ببطء إلى خيبة لدى الذين سعدوا لانتهاء سلطة مراقبي البلوكات السكنية وموظفي الحسابات وأغنياء الحرب وأمناء الحزب. لقد تحولت هذه السعادة ببطء إلى خيبة أمل: على سبيل المثال فإن نازي سابق تمكن من الحصول على "شهادة مسحوق برسيل - أي بنظافته" من أحد ضحايا النازي طيبي القلب أو من أحد رجال الدين غير الورعين، يمكنه أن يحصل من قائد المنطقة على وظيفة إدارية مهمة يعيد من خلالها بناء وتوسيع سلطته القديمة. ومن كانوا حتى الآن وطنيين متحمسين ومحافظين على النظام والأمن أصبحوا ينظمون "الحفلات" (وقد دخلت كلمة Party آنذاك وبصيغتها الإنجليزية إلى اللغة الألمانية!) للمحتلين الذين

يدفعون المقابل بجوارب النايلون وعلب السجائر؛ فيقومون ببيعها في السوق السوداء. أما عامة الشعب فجائعة معوزة بينما يحرق الجيش الأمريكي مؤن العساكر التي لم تستهلك حتى لا تقع في أيدي الألمان وتصبح سلعة أخرى في السوق السوداء.

كانت الديمقراطية بالنسبة للألمان هي كل ما لا يصلح أو يناسب: الجوع، الفساد، إعانات الناس، البيروقراطية، بل هي - وهذا في السر - السبب الأول للهزيمة والمهانة.

في الكثير من قرى ومدن المنطقة الغربية كان المرء يحصل على بطاقة المعونات فقط على أساس من "الشهادة بأنه (أو بأنها) قد رأى (أو رأت) الفيلم الذي يدور حول معسكر الاعتقال في كل من بوخنفالด์ وأوشفيتز/ بيركناو". وقد أطاع الناس ساخطين وعلى مضض: "هذه بروباجندا!". "وما علاقتي بهذا؟". "مثل هذا الكشف قد يكون صحيحاً ولكن الإخبار خطأ". هكذا كانت الآراء. لقد رأيت الفيلم مرتين دون إجبار، واصطحبت في الثانية زميلاً كان ممتعاً بشدة، وقد فقد صداقته للأبد. ما هي درجة الخجل التي يمكن للإنسان تحملها؟ وكم من الخجل لا بد أن يحمله

حتى يبقى إنسانًا - خجلًا ليس بالنسبة له فقط وإنما
للآخرين أيضًا.

السوق السوداء

أحذية مقابل زبدة، خيوط مقابل ملاعق فضية - عادة ما
تزدهر السوق السوداء في كل مكان وقت البأساء والعوز. وفي
ألمانيا كانت عملتها الرئيسية "سجائر الجنود الأمريكان". كانت
السوق السوداء غير قانونية، ولكن يعرض فيها ما لا يمكن
الحصول عليه خارجها. بكرة الخيط بمئة وثمانين ماركا، رطل
الزبدة بمائتي وخمسين ماركا. في المنطقة البريطانية يحصل
المستهلك العادي على مئة جرام من الدسم أسبوعيًا. كان أجر
أحد العمال يبلغ آنذاك قرابة ٤٢ ماركا في الأسبوع. وكان كل
من يحصل بطرق غير شرعية على بضائع المعونات يعاقب
بشدة من قبل محكمة الأمور المستعجلة.

في أكتوبر عرضت عليّ إحدى الصديقات أن أقوم
بالتدريس لأبناء أخوتها وأخواتها الكثيرين الذين يعيشون
كلاجئين في ريف نيدرساكسن: في اللغة اللاتينية

والرياضيات، ولو سمحت: في الكتابة والقراءة أيضًا، إذن في كل ما يدرسه المرء في المدرسة. أما "العلوم" الأخرى - وهذا ما كان يعرفه المرء في هذه الأوقات - فتيسرها الحياة بشكل أفضل. وقد وافقت، ولكني لم أستطع أن أقوم الفرصة التي لم آمل بتحققها للدراسة في جامعة جوتنجن. ولكن ما الذي يمكنني دراسته في ساعة الصفر الألمانية؟ "لغات قديمة!" - هل أهرب، هل نهرب جميعًا من الواقع؟ سنوصف فيما بعد - كل جيلنا - بأننا لا نريد رؤية الأنقاض - لا المادية ولا الأخلاقية - التي نعيش بينها.

والآن تبدو لي حياتي كطالب في فترة ما بعد الحرب "واقعية": ففي الصباح أعمل من السابعة حتى الثانية عشرة في أحد مصانع الفخار، في عجن الصلصال وإعداد الألوان، وذلك لكي أكسب مصاريف اليوم. وفي المساء أجمع قطع الفحم المتساقطة هنا وهناك على خطوط القطارات. وإبان النهار أقف في طابور شراء الخضروات أو أجلس في أحد قاعات الدرس (وكانت تذكرة الدخول: قالب من الفحم) أو ألا أجد الكتاب الذي اقترحه الأستاذ للقراءة ولكني أكتشف كتابًا آخر، أو تلقي مساعدة من أحد الطلاب القدامى وإعطاء مساعدة - ابنة تاجر سمك يدفع

المقابل سمك رنجة مخلل، أو السجن لأربعة أسابيع بتهمة "سرقة ممتلكات الحلفاء" (الأمر يتعلق هنا بإحدى الدفائيات التي قذف بها الإنجليز خارج إحدى الشقق التي يحتلونها؛ بعد أن تمكنوا من تشغيل التدفئة المركزية). وقد عرضت عليّ وظيفة مترجم من قبل القاضي العسكري، وذلك لأن كلمة دفاعي الإنجليزية قد أعجبته - خدمة ليلية تشمل مكان عمل ومبيت دافئ في مركز البوليس. لا يمكن وصف ذلك كله بأنه حياة في "برج عاجي" وانسحاب إلى العالم القديم المتخيل.

كنت أزور كل المحاضرات التي يجذبني موضوعها - من الفيزياء النووية حتى اللاهوت - هذا إلى جانب محاضرات التخصص: اليونانية واللاتينية والتاريخ.

كانت الدراسة تستمر بالليل في سكن أحد الزملاء. وقد بدأت الآن وبحق في التأثير على مواقفنا. ضحى اليوم في قاعة الاستماع: محاضرة عن "تصور كانط للحقيقة المطلقة"، واليوم مساءً: شجار حول إذا ما كان ينبغي أن أبلغ عن الرجل الذي يرتدي بالطو الجيش ذو الياقة المصنوعة من الفرو - لقد تعرفت عليه في قاعة الطعام (المنزا) بوصفه أحد القادة العسكريين النازيين، وقد قال لدى

نزع رتب الزميل في فيشاو: "لدينا في مدرسة إعداد قادة القومية الاشتراكية (هكذا سماها تقريباً) يتصرف المرء مع مثل هذا الخائن بطريقة مختلفة تماماً: يلف في الليل ببطانية وعلى الملعب يسوى بالأرض بدبابة". كنا نتحدث عن الإعدامات العرفية رمياً بالرصاص وبصفة خاصة تلك التي وقعت في الأسابيع الأخيرة للحرب، وعن المبدأ الذي لم يكن النازيين أول من قالوا به: المهم في السياسة التقرير إذا ما كان شخصاً ما صديقاً أم عدوً، وعن الارتباط من خلال "قسم الولاء"، وعن معاملة الأساتذة النازيين الذين لا يسمح لهم بتعليم العروض اليوناني أو أشكال البلاغة اللاتينية. لا لم أبلغ عن لابس ياقة الفرو، بل وأحضرت كل يومين وجبتي التي كنت أحصل عليها من قبل طائفة المينونيين لأحد الأساتذة العجائز الذي كان موقوفاً عن العمل.

يصور مقدار الشقاء الذي جره هتلر - ونحن معه - على العالم - وعلينا - في السرديات والصور بالحجم الذي نستطيع تصوره تبعاً لقدرتنا على التصور. في الشهور التالية للحرب جاءت الأعداد المؤيدة والمؤكدة. لقد رأينا عمال السخرة الروس هنا وهناك - والآن نقراً: أنهم كانوا

أكثر من مليون ونصف المليون، أي أكثر مما حوت هامبورج من سكان في أي وقت من الأوقات. لقد رأينا العساكر الروس الموتى - والآن نقراً: أنه سقط منهم في هذه الحرب التي بدأها هتلر ١٣ مليوناً إما مباشرة في الميدان أو في الأسر بسبب الجروح، وقد مات بالإضافة إلى ذلك عشرة ملايين مدني على الأقل. لقد رأينا في ألمانيا المدن المدمرة ثم قام أحدهم بالحسبة التالية: بعد الحرب العالمية الثانية كان يوجد مقابل كل ساكن في درسدن (42,8) متراً مكعباً من الدمار، وفي كولونيا (31,4) متراً مكعباً، وفي برلين (12,6) متراً مكعباً.

موازنة بالأعداد

بلغ عدد الموتى نتيجة للحرب العالمية الثانية ما بين ٥٥ - ٦٢ مليوناً يتوزعون كما يلي:

٢٧٠٠٠٠٠٠ من الاتحاد السوفيتي

٥٢٥٠٠٠٠ من ألمانيا

٤٦٠٠٠٠٠ من بولندا

١٨٠٠٠٠٠ من اليابان

من يوغسلافيا	١١٠٠٠٠٠
من فرنسا	٨١٠٠٠٠
من المجر	٤٢٠٠٠٠
من بريطانيا العظمى	٣٨٦٠٠٠
من رومانيا	٣٧٨٠٠٠
من إيطاليا	٣٣٠٠٠٠
من الولايات المتحدة الأمريكية	٣١٨٠٠٠
من فنلندا	٨٤٠٠٠

أما نتيجة قتل اليهود الأوربيين فتوضح سقوط 6,6 مليونًا كضحية.

وفقد ما يقرب من الثلاثين مليون أوربي أوطانهم. ومن بين ست عشرة مليون شقة في منطقة الرايخ الألماني لدى بدء الحرب دمرت حتى ١٩٤٥ خمسة ملايين وأصبحت ثلاثة ملايين ونصف بالأضرار. وكانت برلين تضم حتى عام ١٩٣٩ 3,3 مليونًا من السكان وفي عام ١٩٤٥ كان بها 2,6 مليونًا فقط. وفي عام ١٩٣٧ كانت الدولة

الألمانية تشتمل على ٤٧١.٦٧ كم مربعًا
فصارت في عام ١٩٤٥ وبعد مؤتمر بوتسدام
٣٥٦٦٧٨ كم مربعًا فقط.

سوء الحظ ينتج الشر، هذا ما قرأته لدى مارسيل بروسست.
ولكن فقط سوء الحظ كحالة للروح. أما سوء الحظ بوصفه
إسقاط أو سقوط فيجب ألا يؤثر بهذا الشكل؛ لأن العكس
هو الصحيح. التزاحم في الشقق، صراع ثلاث أسر لاجئة
على أحد المواعد، خيبة الأمل اليومية في الطوابير، إضاعة
الوقت سدى، تأنيب الضمير المسيحي الذي يتمنى أن
يكون جيدًا ولكنه يصبح - بسبب "الظروف" - أنانيًا
ومهتمًا بالصغائر، شكاكًا ومضمرًا للضغائن. فهذا كله
يحول الكارثة التي يمكن علاجها إلى حالة من الإذلال
تلقى بالمرء في الحضيض. وهذه هي الحالة التي وجدتنا
فيها الفيلسوفة التي هاجرت لأمريكا حنة أرندت بعد خمس
سنوات ووصفتنا بأننا غير مباليين، قاسين وغير شاكرين،
معاندين مهتمين بالتنظيف. هل هذا الوصف صحيح؟ لقد
تحققت فجأة حرية كبيرة تسمى "انهيارًا"؛ مرة واحدة وفجأة
أصبح كل شيء مباحًا. فجأة "فقدت الأوامر الحزبية وبطاقة

المعونات وتعليمات البوليس مفعولها، حتى التحذيرات من هجوم جوي لم تعد تثيرنا". هذا ما سجله الكاتب إرنست يونجر في يومياته. لماذا لا ينتهز المرء هذه الفرصة؟ في الواقع يمكن للعالم أن يبدأ من جديد. لماذا يمتلك الماضي كل هذه السطوة الكبيرة علينا؟ فالذنب في هذا لا يقع على السلطات المحتلة أنظمتها. فبعد عدة أيام يعرف كل فرد كيف يتجنبها ويتفادها. الشلل يأتي من الداخل: متى سيقول من عني شيئاً وماذا؟ بأي حق؟ ومن يمكنني الثقة به؟

في أول زيارتي لبرلين عرفني الأصدقاء على بعض الشيوعيين في المنطقة الروسية، كانوا يأملون أخيراً في تحقيق تصوراتهم التي حملوها معهم عبر المنافي. سمعت للمرة الأولى "أوبرا القروش الثلاثة" لبرتولد بريشت على أسطوانة من عام ١٩٢٨: "حق الإنسان على هذه الأرض، لأنه لا يعيش طويلاً أن يكون سعيداً، أن يحظى بلذة هذا العالم، أن أسمع بحصوله على خبز ليأكل وليس على حجر...، يمكننا أن نكون جيدين بدلاً من بدائيين، ولكن الأحوال ليست هكذا". لقد استمعت للمرة الأولى للحقائق الإنسانية المتوارثة للعمال واللصوص والشحاذين: أنتم يا

من تحبون بطونكم وتأدبنا، لتعلموا مرة لكل المرات: كيفما تديرون الأمر أو تدفعونه بعيداً في البداية يكون الافتراض ثم تأتي الأخلاق".

ولكن الناس الأذكياء الذين يتحاورون حول النظام العالمي الجديد، ويتحدثون عن اللغة الخطابية للمنافست الشيوعي - "قوى الإنتاج"، "التغريب"، "الاستغلال"، وهي كلمات لم أعرف عليها خلال تعليمي البورجوازي -، ويشربون الفودكا بحماس (ويتمنون لو كانت ويسكي) ليسوا عمالاً و"ظروفهم" ليست "هكذا". إنهم لا يحملون الاشتراكية الذنب وإنما الشعب.

قال لي أحد الذين بقوا في ألمانيا بوصفهم شيوعيين: "لقد نرعت ملكية الملاك، وطرد المدرسين النازيين، وأنشأت "شركات القطاع العام" بأعداد وفيرة، ولكن لا يوجد مستقبل، فقط يتم التركيز على الماضي وأكثر منه على الحاضر - وكلاهما قبيح".

إذا ما ملأ هذا الرجل استمارة الاستبيان للحكومة العسكرية لألمانيا في غرب برلين فماذا سيكون أثر ذلك على مستقبله؟ يُعد أحد الشيوعيين في المنطقة الغربية موضع ثقة إذا كان قد جاء من معسكرات الاعتقال وليس من أحد

فنادق موسكو، وبالتأكيد ليس من شقة على السطوح في شارع ليفتستوف حيث تمكن من الاختباء طوال فترة الحكم النازي بوصفه أحد الضباط الكبار في الحرب العالمية الأولى وحاصل على العديد من الأوساط والأوسمة.

طرد النازيين

كان لا بد لكل السكان الألمان فوق الثامنة عشرة في المنطقة الأمريكية من أن يملئوا إحدى استمارات الاستبيان. ستة ملايين ونصف المليون كانوا أعضاء في الحزب النازي (NSDAP)، وكان سُدس الألمان أعضاءً في إحدى منظمات الحزب النازي - بينهم نصف مليون مدرس تقريباً، وأكثر من ٦٥% من الموظفين، وأكثر من ٨٠% من القضاة وموظفي وزارة العدل.

كان الأمريكيان يريدون غسل البلد وإعادة ترتيبها. وفي الخامس من مارس ١٩٤٦ أسس ما يسمى بلجنة التطهير التي ينبغي أن تُبحث فيها الحالات المفردة. ولكن كانت النتيجة متواضعة: فمن بين ١٣٤١٠٠٠٠

ألماني ملثوا الاستثمارات حتى منتصف عام ١٩٤٩ أعلن
١٦٥٤ شخصاً كمتهمين أساسيين، وعُد ٢٢١٢٢
شخصاً بوصفهم "ناشطين"، واعتبر ١٠٦٤٢٢ شخصاً
أصحاب جنح.

أما في المنطقة السوفيتية فقد دعي، بعكس ما حدث من
الأمريكيين، ٨٠٠٠٠٠ عضواً في الحزب فقط لملء
الاستثمارات، وقد تم فصل نصفهم، وكان من بينهم قرابة
٩٠% من موظفي وزارة العدل. وقد حجزهم السوفييت
فيما يسمى بالمعسكرات الخاصة، والتي كانت في الغالب
فيما سبق معسكرات اعتقال نازية. وقد توفي فيها حتى
عام ١٩٥٠ قرابة ٥٠ ألف شخص.

تتكون استثمارة الاستبيان من اثنتا عشرة صفحة تحتوي على
١٣٢ سؤالاً يراد بها تصفية الألمان الخطرين. فالحكومة
العسكرية تعتقد أننا كألمان نمتلك قدرة كبيرة على القراءة
والكتابة - لقد كادت مكاتبتهم للتقصي والاستيضاح والتي
توصف بأنها "ذكية" أن تختنق تحت كم المعلومات الهائل؛
فبدلاً من التصحيح الذاتي الذي يمكن أن يساعدنا جاء
التحقيق بواسطة مكاتب طرد النازيين البيروقراطية. وقد وجد

من هؤلاء البيروقراطيين ٢٢ ألفاً في المنطقة الأمريكية وحدها!

ولم يكن لأحد أن يأمل التوصل بهذا الأسلوب إلى إضاءة الغابة المكونة من التعمية والإفساد والانتهاك والإغراءات والفشل؟ لذا سيحكم في النهاية على العدد الأكبر من أعضاء الحزب النازي ومنظماته الفرعية الذين بلغوا ثلاثة عشرة مليوناً بوصفهم "أصحاب جنح" أو مجرد "تابعين".

أديناور

كواحد من ١٥٠٠ ألماني وجد اسم العمدة السابق ل كولونيا كونراد أديناور على القائمة البيضاء التي ضمت شخصيات ألمانية يُعتقد أنها ليست نازية بل معادية للنازية. وكان أديناور قد عُزل عام ١٩٣٣ من منصبه من قبل النازيين، وقد سماه الأمريكان في مارس ١٩٤٥ مرة أخرى كعمدة ولكن مع الإعلام بالانتظار وذلك لأن أبناء أديناور كانوا مازالوا يحاربون على الجبهة ويخشى أن يتم التخلص منهم من قبل النازيين. وفي أكتوبر تم عزله من قبل البريطانيين

مع عدم السماح له بالمشاركة السياسية، ولكن رفع الحظر في ديسمبر من العام نفسه. وفي ١٩٤٩ أصبح أديناور أول مستشاراً لجمهورية ألمانيا الاتحادية المؤسسة من جديد.

وعي - أحكام وتحولات

هنا أترك طريقة السرد بواسطة الفعل المضارع الذي يوحي كما لو أنني أكتب إبان وقوع الأحداث؛ فهذه الطريقة توحى بالمشاركة وتتجنب إصدار الأحكام بينما يتعلق الأمر في هذا السرد التذكري بالحكم. وكذلك فإن تاريخه - أي تاريخ الحكم - يبدأ في عام ١٩٤٥. لا يمكنني القول كم هو كبير عدد الألمان الذين يفكرون هكذا؛ فالكثيرون هربوا من ذلك. كانت الغالبية تعمل باجتهاد في إعادة بناء عالم ما قبل ١٩٣٣:

في وقت قصير سارت القطارات مرة أخرى، وعمل البريد وصدرت الصحف. كان الإمداد بالطعام والطاقة قليلاً مقارنة بأيام الحرب ولكنه كان مضموناً. وتقبلت الإجراءات الضرورية القاسية - تحريم السفر بالسيارة في الإجازة

الأسبوعية، منع التجول الليلي، التقييد المستمر: "ممنوع دخول الألمان". وفي يونيه أقيمت أولى مباريات كرة القدم والحفلات الموسيقية والعروض السينمائية والمسرحية. وفي أغسطس منحت مدينة فرانكفورت الماين جائزة جوته السنوية.

عادة ما يسيطر الشعور بأن الأشياء عادية ومألوفة إذا ما بدأ الأطفال يذهبون للمدارس. وقد حدث هذا في منطقة الراين في أول الصيف، وفي الأماكن الأخرى في الخريف. وفي أكتوبر بدأت الدراسة في جامعة جوتنجن كأول جامعة، وقد تبعثها حتى بداية العام بقية الجامعات. وأجريت انتخابات اختيار العمدة في كل مكان، وكانت تسبق انتخابات برلمانات المدن. لقد ساد نوع من الأمان العام فلم توجد أية تفجيرات ضد الأشخاص أو ضد القوات المستعمرة. وبخلاف ذلك وقع القليل من العنف - سرقات فردية بالإكراه من قبل عمال السخرة والعمال الأجانب الذين يسيرون دون هدف ولا يريدون العودة لأوطانهم. كان أحد الأصدقاء يعمل لدى أحد الفلاحين أطلق عليه وأسر الفلاح النار في مخزن المنزل من قبل لصوص بولنديين. كان الأمريكيان والإنجليز والفرنسيين والروس ضحايا فقط في

الحالات المعقدة غير الواضحة. أما الحقد الألماني عليهم فقد فرغ في صديقاتهم الألمانيات.

هل كان الألمان منهكين جدًا أم عقلاء جدًا أم مطيعين جدًا أم كانوا شاعرين بالإثم حتى يتولوا أمورهم ويتخلصوا من "صدامهم" ويهمشوا المحتلين؟ أم كان المحتلون كثيرين جدًا؟

كان التغير الخارجي وإن تعثر بعض المرات يتقدم بوضوح، ولكن هل وجد تغير داخلي أيضًا؟ فالمرء يمكنه أن يعلن "نهاية التعمية"، ولكن الأمر لا يصبح بذلك مباشرة واضحًا. بصورة أخرى: من اعتقد أن المرض الثقيل المسمى الاشتراكية القومية (النازية) يمكن التخلص منه ببعض الإجراءات الجذرية وبالراحة الإلزامية لبعض الوقت فإنه لم يفهم هذا المرض.

نحن، أي أصدقائي، والناس الذين لديهم الموقف نفسه تخلوا لذلك عن "الانتقام" من النازيين، وعن التنظيف الشامل لرأينا العام، وعن فضح وتعرية المستغلبيين الصغار. فلا شيء كان سيقودنا هذا؟ بالتأكيد للعناد وليس للفهم! لقد أقام الحلفاء المحاكمة لكبار النازيين - للأسف دون إشراك للشعب الألماني الذي انتهكت قوانينه وتواريخه وتصورات

حتى "قبل" أن يظلم الشعوب الأخرى. هذا الخطأ الذي شاب المحاكمة الدولية التي بدأت في نورنبرج في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ ضد الأربعة وعشرين من "مجرمي الحرب الكبار" - الذين كانوا أعلى ممثلين للقيادة السياسية والاقتصادية والحربية - أفتر أو أخدم استعداد الكثيرين لتصفية حسابنا مع ظلم الهتلرية في هذه المحاكمة. وحينما أعلن الحكم بعد قرابة العام - الحكم بتبرئة ثلاثة وإعدام اثنا عشر وبسجن البقية لفترات تتراوح بين مؤبدة أو لعدة سنوات - بدا الأمر للكثيرين منا بأن "لا علاقة له بنا". وقد أسعد هؤلاء أن جورنج هرب من الإعدام شنفًا بتجرع السم.



المتهمون في محاكمة نورنبرج الرئيسية.

أما جملة حكم نورنبرج التي لم تجد في ألمانيا مجيباً فهي:
"تأتي الجرائم ضد الشعوب من قبل أفراد وليس من قبل
مجموعات مجردة، وفقط من خلال معاقبة هؤلاء الأفراد
الذين يرتكبون مثل هذه الجرائم يمكن للمرء أن يساعد على
جعل أحكام القانون الدولي مؤثرة". وكم كان سيكون ذكياً
لو سمح باشتراك ألماني واحد فقط في توجيه التهم في هذه
المحاكمة؛ لكن الشعوب التي عانت وتعذبت لم تكن
لترضى أو تسمح بذلك. أما إقامة محاكمة ألمانية ذاتية أو
القيام بفعل حماسي ثوري بوصفه بديلاً لهذا "الإنهاء
القانوني" للاشتراكية القومية "من الخارج" فكان سيقضى
عليه في الحال من قبل المنتصرين بوصفه تهديداً لأمنهم
ولسلطتهم. بعد أربع سنوات من هذا رأيت حنة أرندت الأمر
بشكل مختلف: لقد نقص الألمان الغضب اللازم لذلك. أم
كم من الألمان بقي نازياً بقلبه فهذا ما لا يمكن للمرء أن
يعرفه.



نورنبرج

لم يكن المنتصرون متحدين فيما بينهم مثلهم في ذلك مثل
الألمان؛ فأحدهم يريد العقاب والآخر يريد التعويضات،

ورغم أنهم يريدون جعل ألمانيا غير خطرة للأبد، وذلك من خلال: التخلص من النازيين واللامركزية والتفكيك، فقد حاولت كل سلطة مستعمرة أن تجعل الألمان الذين تحتها من أتباعها وفيما بعد من حلفائها.

محاكمة نورنبرج

في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ بدأت في نورنبرج المحاكمة الرئيسية لمجرمي الحرب، ضد القادة الكبار للنازية. وقد تم التداول فيها لمدة ٢١٨ يومًا. وقد تمثل الإدعاء في القوى الأربع المنتصرة (الفرنسيون والبريطانيون والأمريكيون والروس). وفي المحاكمة قدمت ٢٣٦٠ وثيقة اتهام، واستمع إلى ٢٤٠ شاهدًا، واختبر ٣٠٠ ألف قَسَم ولاء حكومي. وقد احتاج الأمر إلى ٤٠٠ مترجم ومترجم فوري. وقد صمم أغلب المتهمين على عدم إدانابهم. فهيرمان جورنج - كما قال رئيس فريق الادعاء الأمريكي جاكسون - لم يعرف مطلقًا كما يبدو بوجود "خطة لاستئصال اليهود رغم أنه وقع شخصيًا على الكثير من الأوامر"؛ أما كايتل رئيس القيادة العليا للجيش "قلم تكن لديه فكرة" عما تحدثه أوامره؛ أما بالنسبة لكالنتبرونر،

جنرال قوات إس-إس ورئيس المكتب الرئيسي لأمن الرايخ، فكان الجستابو يشبه نوعًا ما "شرطة المرور". فإن رأي هؤلاء الرجال - كما قال جاكسون - كأبرياء يمكن للمرء أيضًا أن يدعي "بأنه لم توجد حرب وأن أحدًا لم يُقتل ولم يحدث أي إجرام".

كان الفرنسيون - مثقفين وغير متأثرين - قد كسبوا أهالي مناطق شفاف وسارلاند وبفالس وذلك بواسطة الثقافة الفرنسية ولصالحها؛ أما الإنجليز - منضبطين ومترفعين - فكانوا يدعون "لنظام عقلاني عام" أي مصلحة عامة منظمة؛ أما الروس - لطاف وذوي نزوات مفاجئة - فكانوا يتضامنون مع الرجل العادي، يحققون احتياجاته للتنظيم ويستغلون استعداده لتقبل الحكم المزاجي، ولكنهم حققوا في الوقت نفسه ما وصمتهم به البروباغندا النازية: الاغتصاب وأعمال السلب والنهب إبان الهجوم؛ ثم المصادرات والاعتقالات والمعتقلات والترحيلات إبان التنفيذ البارد لنظامهم؛ أما الأمريكيان - كرماء وغير متحيزين - فقد نالوا الإعجاب "بعدم رسميتهم" وقدرتهم على العيش في ألمانيا المدمرة وكأنهم في وطنهم، وقد أثاروا رغبة الشباب الحارة

بأن يكونوا أو يصيروا مثلهم: مسترخين، واثقين، ومتأنقين بشكل دائم.

الجميع يريدون إعادة تربية الألمان، تحريرهم من خطأ تعاليم النازيين ومن الطاعة المجبولين عليها؛ ولكن عندما يكتفي المرء بأن يقول: إن جنون العنصرية والوطنية وإيديولوجيا وجود القائد والإمبريالية هي الشر الأكبر، فإنه لا يصل إلى الكثير من النتائج وذلك مصداقًا لتاريخ الإنسانية المملوء بمثل هذه الأمور.

فالأهم من رفض الأخطاء الكبرى والأشياء الأكثر إفزاعًا، فهم أن المرء قد وافق على الغباء والكذب وأنه تصرف بليوننة وخان مبادئه. وكان يمكن للاعتراف بالذنب الذي أعلن في شتوتجارت من قبل مجلس الكنائس الإنجيلية في ألمانيا أن يساعد إبان ذلك، ولكنه لم يؤثر قط حتى مع إخوانه وأخواته في العقيدة. فقد كان يدل بالنسبة لبعضهم على ندم نصف قلبي، بينما يدل على انتهازية قذرة بالنسبة للبعض الآخر: "نقول _ بألم كبير _ : إنه وقعت بواسطتنا عذابات لا نهاية لها على الكثير من الدول والشعوب... لقد ناضلنا فعلاً... ضد الفكر الذي وجد تحقيقه الكامل في عنف حكومة الاشتراكية القومية، ولكننا نتهم أنفسنا لأننا لم

نعلن هذا بشجاعة، ولأننا لم نتعبد واثقين، لم نعتقد مبهجين، ولم نحب مصطلين".

دائماً عندما تنتهي إحدى الحروب تجد الإنسانية نفسها أمام هذه الأسئلة القديمة على الأقل: كيف حدث هذا؟ ماذا كان يجب على المرء أن يفعل لتجنب ذلك؟ كيف يعود السلام والنظام ويتوقف العنف؟ كيف يستعيد المرء المهزومين إلى مجتمع العدل والتهديب؟ وكيف يحتفظ المرء بالذكرى مع هذه "التسوية الحسابية"؟

الإجابات لديها من ناحية شكل المواعظ والمحاضرات العامة: أوقفوها في البداية! العنف الذي يطلق من عقله مرة يكون من الصعب تقييده مرة أخرى. لا يسمح للمرء أن يطلب الكثير من الأفراد - لا بد أن تأتي المؤسسات لمساعدته. - إذا كان جاليليو في مسرحية بريشت يقول: "ملعونة هي البلد التي تحتاج لأبطال" فإن هذا هو ما سمعه المرء بعد ١٩٤٥ بشكل أوضح من ذي قبل.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الإجابات تشجع على توضيح الظروف الممهدة، وعلى دراسة التاريخ الأسبق، وتحليل "النظام" الذي يستحضر العنف: عدم ثقة الشعوب التي تطورت مؤخرًا لتصبح دولة موحدة وتريد أن توازن هذا

بواسطة الوعي بالذات وانتظار الخلاص. الميل إلى المثالية أو الشيطنة. انعدام أو تآكل تقسيم السلطات. التقاليد التي تجعل الإلتباع والطاعة والانصياع للقوانين فوق المسؤولية الشخصية وفوق النقد والتتوير. - إذا ما سوغ قائد معسكر أوشفيتز عنفه بأن "كل المشاعر الإنسانية لا بد وأن تخرس" بسبب "الإصرار الحديدي" الذي ينبغي أن تطبق به أوامر القائد؛ فإنه يتبع هذا التقليد الخاطئ.

وأخيراً تطلب الإجابات لأجل اختبار المسؤوليات الفردية. لا يوجد ذنب جماعي. وكذلك لا توجد تبرئة جماعية. فعلي كل فرد أن يتحمل مسؤولية أفعاله. - إذا ما علمني أبي أقوالاً من قبيل: "إذا ما طلب منك مطارِد الأمان فأعطه"، "لا تخضع لأي ابتزاز"، "لا تفتن على أحد"، فإنني قد حصلت على ما يحتاجه المرء.

أما الحكمة التي يحتاجها المرء حتى يثق في هذه الإجابات فأمر لا يحصل عليه من خلال إجراءات وبرامج الحكومة العسكرية. فإذا ما وجدت تغيرات داخلنا فإن هذا يرجع إلى أثر الفيلم، المسرح، الأدب. لقد تيسر لهذه الفنون وبشكل أفضل أن "تعيد تربيتنا" دون أن نلاحظ هذا.

لقد أهدانا الأمريكيون - دون هدف تربوي كما يبدو - الأفلام القديمة التي تجاهلناها في عصر النازي. وبواسطة أفلام من قبيل: "Destry Rides Again" أو "Mr. Deeds Goes to Town" أو "Unsere Kleine Stadt" تعرفنا نحن الأحداث سنًا على الأساطير الأمريكية الكبيرة: الحياة المتحررة في الأراضي الحدودية، مسؤولية المواطنين "في مدينتنا"، "كل يصنع سعادته" - حتى إبان الأزمة المالية العالمية. أما الفرنسيون فأصابونا بالاضطراب عبر فيلم "الوهم الكبير" من عام ١٩٣٧، الذي منع في ألمانيا النازية (بسبب سخريته من النزعة العسكرية)، ثم سحرونا بفيلم "أطفال الأولمب" الذي ظل ولمدة عقود أجمل أفلامي والذي كان يمكن أن يحمل عنوان "زوال الوهم الكبير". وقد اهتم الفيلم ككل بالحظ وسوء الحظ الخاص في وسط عالم مسيطر عليه من خلال السياسة والمجتمع. كان الروس أذكياء بما يكفي كي يوفروا علينا فنهم الرخيص حول الحرب. أما الإنجليز فلم ييخلوا علينا بأفضل ما لديهم حيث أرسلوا إلينا - على شاشة السينما - شكسبيرهم العظيم بأداء ممثلهم الكبير لورنس ك. أوليفيه في "هاملت" و"هاينريش الخامس".

عندما تغني الكمنجات

في ٢٦ مايو ١٩٤٥ قدمت فرقة برلين الفلهارمونيكية أول كونسرت بعد الحرب: سيمفونية تشيكوفسكي الرابعة التي لعنت من قبل جوبلز وحرمت بوصفها "منتج يهودي". كتبت الصحفية روث أندريا-فريدريش: "لقد نسينا أن النازيين قد وجدوا، ونسينا الحرب التي خسناها، والقوات المستعمرة. فجأة أصبح كل شيء غير مهم؛ فالأهم الآن هو ما تغنيه الكمنجات".

وعلى المسرح حدثت ت.س. أليوت في مسرحيته "موت في الكاتدرائية" عن العلاقة بين الولاء والافتناع، وبين السلطة والاستشهاد. أما ثورنتون وايلدر فشرح لنا في عمله "لقد نجونا مرة أخرى" زوال عالمنا النازي بوصفه حادث متكرر في تاريخ الإنسانية. وفي مسرحية ماكس فريش "والآن غني مرة أخرى" عرفنا بإمكانية جمع أقصى الاتهامات وربطها بالفهم الأشد ذكاءً: "يمكننا أن نأمر كل شيء في هذا العالم عدا العشب، إلا العشب الذي ينبغي أن ينمو على ما يجب

نسيانه"، "حيث تفتقد الشجاعة لا تفتقد الأعذار". أما "الذباب" لجان بول سارتر فلم يملك مدينة أرجوس فقط وإنما تملكنا نحن أيضًا الممثلين باللعنة وذلك بنظرية راديكالية حول الحرية الإنسانية: الإنسان "محكوم عليه" بالحرية. وتعلمنا لدى جون أنوي ماذا تعني "حتمية" قرار حياتي. كريون: "ما الذي يمكنك عمله غير أن تخمشي بأظفرك حتى تدمى مرة أخرى ويقبض عليك مرة أخرى؟". أنتيجونا: "ليس أكثر من هذا. أعرف. ولكن هذا ما يمكنني فعله على الأقل، ولا بد للمرء أن يفعل ما يقدر عليه".

جماعة ٤٧

"شلة أشقياء ذوي السنة طويلة"، هكذا وصف توماس مان جماعة ٤٧ التي أسسها تاجر الكتب الذي أصبح كاتبًا هانز فيرنر ريشتر عام ١٩٤٧ أي بعد عام من خروجه من الأسر الأمريكي. وقد طبعت جماعة ٤٧ الحياة الأدبية لفترة ما بعد الحرب. وقد وقفت ضد "لغة العبودية" للديكتاتور وضد أدب ما بعد "الرايخ الثالث" الناجح جدًا في "الابتعاد عن الحاضر" والانكفاء على الذات. وينتمي لهذه المجموعة الكثير من كتاب ألمانيا الاتحادية المشهورين -

من بينهم جونتر جراس، وهاینرش بول، وسیجفرید لینتس، وهانس ماجنوس انسبرجر.

لقد قرأنا كتبًا لم تشرح لنا الماضي الجهنمي وإنما سمحت برؤيته بالضبط: كتاب أویجن کوجن "دولة ال إس-إس". وأول تقرير حول "مجموعة الوردة البيضاء" التي أرتنا ماذا كان يمكننا فعله ولكننا لم نفعل. وقرأنا أعمالاً أمكننا أن نفهم من خلالها من هم هازمینا وما هي أهدافهم: مثل كتاب مارجریت بوفري "أمريكا للمبتدئين". وقد قرأ بعضنا للمرة الأولى "المانفيسيت الشيوعي" لماركس وإنجلز، وهو المانفيسيت الذي صنع من سخط المحرومين سلاحاً حاداً ضد النفاق وسلطة الملاك - وجعلنا متيقظين في مقابل هؤلاء الذين يريدون استمرار صراع الطبقات - الذي وجد مرة - للأبد. وقد اختفى هذا القصد الكاذب في عمل أرتور كوستلر "كسوف الشمس". أما عمل اجناتسيو سيلوناس "الخبز والخمر" فأوقفنا على النقاط الوحدة التي تجمع المسيحية الحق والشيوعية الصحيحة، هذا بينما أرانا "الغريب" لألبرتو كاموا كيف يصير المرء مذنّباً بسبب مصادفة فظيعة.

لا. لم يوجد جيل أخذ بين أحضان الإنسانية مثل جيلي بعد
عام ١٩٤٥؛ فمن فترة "ما بعد الحرب" جاءت - وبمعنى
الكلمة - فترة "ما قبل السلم".

كارولا شتين << الكراهية تزداد من خلال الصور

المعادية >> كلمة الخاتمة

"في ليالي السهر والأرق لا يعوض إدراك المرء إنه كان مشاركاً بشكل غير مباشر في القتل والخيانة عن إحساسه بالذنب. لأن القاتل ليس في كل الحالات هو من يقوم بفعل القتل، وإنما هناك من قاموا بأعمال القتل سواء من خلال إتباع وتكرار نظريات عمياء خطيرة ضد الإنسانية، ومن خلال رفع اليد اليمنى لأداء تحية هتلر التي ليست لها قيمة أو كذلك من خلال كتابة أشباه أكاذيب وعن حقائق ناقصة" يفجينيا جينسبورج

إنني امرأة في الثمانين من عمري، والكثير مما كتب في هذا الكتاب قد عايشته وأنا طفلة صغيرة، فأنا ما زلت أتذكر جيدا ما حدث يوم ٣٠ يناير عام ١٩٣٣. فقد سمعت أنا وأمي من الراديو أن أدولف هتلر قد تم تعيينه مستشارا للرايخ. أدولف هتلر؟ ألم يكن هذا هو "القائد" لعمى هانس! وأنا مأخوذة من الفكرة بأننا جميعا نعد من الفائزين في هذه الانتخابات عن طريق هذا العم، وجدت نفسي أجرى منفعة عبر القرية وناديت على كل معارفي وأنا أقول: قائد عمى هانس جاء الدور عليه الآن ليحكم ألمانيا. وكان عمري وقتها سبع سنوات.

وفى مارس قام كل من عمي هانس وأصدقائه برفع علم الصليب المعقوف (علم النازية) فوق مكتب البلدية. أما نحن تلاميذ المدرسة فقد وقفنا في صفين على جانبي الطريق.

وبعدها بقليل أعلن عمى هانس أن الجميع يتجهون إلى ناحية مدينة "يجريج"، كل أعضاء حزب العمال النازي الألماني وجمعية المحاربين وجمعية الرماة، وقسم الحماية وفريق الحماية - وكلهم قوميون من مدينة "أهلبيك".

وتم إشعال النيران فوق برج بسمارك وهو برج النصر، وقمنا نحن التلاميذ بترتيل أناشيد وطنية وحماسية. ونادى رئيس المجموعة قائلاً بأن الخلافات الحزبية قد تلاشت الآن وأنها قد أصبحتنا من الآن جمعية شعبية. أعجبني ما قاله! وتلا ذلك احتفال سنوي بعيد ميلاد أدولف هتلر في يوم ٢٠ أبريل من كل عام، وأعياد الربيع للسيدات، والأمسيات لشباب هتلر، وكذلك عرض أفلام اجتماعات الرايخ.... الخ. ومنذ ذلك الحين لم يعد هناك ملل في قريتنا الواقعة على جزيرة أوسيدوم والتي كانت تغرق في النوم في الشتاء.

بدأت الأحداث تلو الأخرى، وتوالى احتفالات النصر. ولم يحدث أبداً فيضاناً أو ارتفاعاً في مياه النهر كما حدث في هذه الفترة في مدينة "أهالبك" الواقعة على ساحل بحر الشرق.

ثم جاءت الحرب، ودخل الألمان باريس، ورايض جنودنا أمام مدينتى ليننجراد وموسكو. وتوالى الأخبار الطارئة في الراديو، الخبر تلو الآخر. كنت أشعر أننا نعيش وقتاً هاماً ومميزاً.

لقد كنت طفلة وحيدة. وكان والدي قد توفى، وكان ينقصني الأسرة "الحقيقية". وكثيراً ما تعرضت للسخرية من جانب

الأولاد الكبار؛ لأنني كان لي شعر أحمر ونمش وأرجل مقوسة. ولكنني كنت أريد أن أكون مثل الأطفال الآخرين، غير معزولة، بل أشاركهم وأنتمي إليهم. ولكن بسبب هزل جسدي وضعفه لم يسمح لي وأنا بنت العاشرة أن انضم إلى الخدمة مع البنات والأولاد لجمعية شباب هتلر. ومع مرور الوقت واستبعادي أكثر عن المشاركة والخدمة، أزداد أيضا غموض أعمال هذه الجمعية في نفسي، وذلك حتى سمح لي أخيرا بالذهاب والانضمام لأول مرة مع الأولاد والبنات هناك في مدينة "أهلبك". وغمرتني السعادة. وغنيت مع زميلات المدرسة أغاني وطنية وحماسية موجهة إلى الحزب العمال النازي الألماني وجمعية شباب هتلر. وكان هذا بالنسبة لنا نحن الأطفال عالماً جميلاً من الغناء، كأنه نافورة من المياه تتساب، وحولها صيادون ينفخون في أبواق الحرب وسط رياح عاصفة، نافورة يسكن حولها الفرسان ذوو اللون الأزرق ونساجو الكتان والصاعدون إلى الهاوية، هؤلاء الأبطال "موتى للأمة الشابة". وعلاوة على ذلك حدث كل هذا وسط عالم اللعب والرياضة والخروج في رحلات وإقامة مخيمات مع الرقص الشعبي ولعب الكرة وألعاب مثل لعبة "البحث عن الأوراق". وكان أبطالي هم هتلر،

هلدرلين، جورينج وجوته، وكان وطني هو "الرايخ" ، الذي كان يعيش فيه أناس موهوبون، نشطاء ومنظمون ، كانوا يتفوقون على شعوب أخرى، وينادون بالسيادة والسيطرة على بقية الشعوب.

وبعد فوات عامين أثناء أول لقاء لي في الملجأ في مدينة أهلبيك، كنت قد أصبحت قائدة لمجموعة تتكون من ١٠٠ بنت تتراوح أعمارهن بين ١٠ إلى ١٤ عاما. كان عمري وقتذاك ١٢ عاما وكنت أعيش في التصور بأنني أنتمي إلى مجموعة من الشابات المثاليات.

لقد أدركت وعرفت تماما منذ السابعة أو الثامنة من الذين ينتمون إلى أعدائنا، وعرفت أن أهمهم هم الشيوعيون والاشتراكيون، "هم أعداء كل من يملك بيتا أو عقارا"، هكذا كان يسميهم جدي.

كان اليهود من وجهة نظر الكثيرين أشد خطرا من الشيوعيين، لقد رأى الكثيرون هذا الأمر قبل ظهور النازية بوقت طويل.

البعض يدعون الآن أنهم لم يعرفوا شيئا عن غرف الغاز والقتل الجماعي للملايين، وأنا أتساءل أين كانوا بالأمس

من المنشور في الجرائد عن القتل والجرائم، هل لم يكن لديهم الرغبة آنذاك في التعرف على ما يحدث.

تقول الأديبة كرسا فولف في إحدى روايتها: كل ما يرغبون في معرفته سيمر مثل الصور أمام أعينهم، أليس بوسعهم تذكر المعابد المحترقة، ومحلات اليهود المحطمة ونداءات الجميع الحماسية أثناء ذلك في الشوارع لدعم ما يحدث، وتحطيم ونبش المقابر، ألم يشترك البعض في كل هذا، أم أنهم أيضا ليس بوسعهم تذكر حدوث هذا!

لن يكون بوسعي أبدا أن أمحو من ذاكرتي، صورة الكراهية عن اليهود وما سببته لي شخصيا، بعد أن كنت طفلة عادية وبسيطة، لكن صور الكراهية كانت شيئا متكررا في كل نظام ديكتاتوري، وكان عليّ أن أدفع الثمن، ثمن عقديتي التي لم يكن لي ذنب فيها، أن أتذوق الإجمام وأن أفقد إنسانيّتي ويغش قلبي بسبب ما رأيته من فظائع إنسانية.

هل كان لدي أي فرصة للرؤية بعمق داخل هذه الجرائم، الجميع كانوا يؤيدون القائد والنظام النازي، الذي وعد بإصلاح الاقتصاد، المدرسون في المدرسة كانوا يؤيدونه، أو على الأقل كانوا يدعون تأييدهم له، وفي مادة الأجناس

الجديدة، عرفنا كيف نصف اليهود الشرقيين على أنهم الطبقة السفلى من التصنيف.

كان القس يؤيده، ففي الصلوات الميدانية كانت ترفع أعلام النظام النازي وسرب الدفاع، ومع دخول القوات الألمانية واجتياحها الأراضي النمساوية دقت أجراس الكنائس احتفاء بذلك. وحمدوا الله على دخول النازيين.

كل من كان لهم شأن في قرينتا كانوا يؤيدوه، الطبيب والصيدلي، ورجال الأعمال وأصحاب الفنادق والعاملون فيها، حتى الأجانب كان منهم من يؤيده، فقد زاره أمير ويلز، وقام الرياضيون الفرنسيون بأداء تحية هتلر أثناء دورة الألعاب الأولمبية في برلين. في الحقيقة لم أعرف أناس لم يؤيده.

أثناء الحرب كنا نعرف أن العمالة الإجبارية لبعض الأسرى أو العمال القادمون من الدول التي احتلتها ألمانيا كانوا يقيدون ويضربون بالسوط، ولكن أحدا لم يرى في ذلك تعذيرا لا إنسانيا، حتى أمي كانت تقول: لا أحد يعرف ماذا فعل هؤلاء بالألمان، والجميع كانوا يجتهدون سريعا في تغيير موضوع الحديث، وهز أكتافهم في صمت، السؤال هو، هل ينبغي أن يحدث شيء كهذا، كل هذا حدث مع

وجود صورة للكراهية وللأعداء، لقد غشيت قلوب الجميع وماتت قدرتهم على الخيال للصالح الإنساني. حينما سمعت بعد ذلك بعقود بتأسيس أحد المحاميين الانجليز لمنظمة في ألمانيا من أجل مسانده أسرى الحرب ومكافحة التعذيب والحكم بالإعدام انضمت إليها في الحال وكان ذلك هم أهم ما فعلته في حياتي.

لقد فشل كل جيلي حينما تم اختبار درجة إنسانيتهم، فشلوا فشلا ذريعا، وكم أن سعيدة اليوم أن شباب الألمان لم يضطروا إلى الدخول في هذا الاختبار القاسي، لكني أود أن أوجه لكم شيئا: أرجوكم لا تبنوا صورا للأعداء! أرجوكم لا تبنوا صورا للكراهية! لا تفكروا في الناس بتقسيمات! لا تقولوا مثلا هؤلاء يهود! أو هؤلاء أجنب حقراء! أو هؤلاء المسلمون الأعداء! أرجوكم أنظروا للناس على أنهم بشر وأفراد مثلكم! إن النظر التعميمي للناس يؤدي إلى خلق صور للكراهية والأعداء، ومن خلال الصور المعادية تزداد الكراهية، ومن خلال الكراهية يزداد العنف والقتل.

إنه بوسعي تماما أن أفرق بين الدكتاتورية والديمقراطية، لكني أقول لكم يا جيل الشباب من قراء هذا الكتاب: يجب أن لا تنسوا أنكم ستصبحون كبارا في السن وتعجزون مثلي

وسيسألكم أولادكم وأولاد أولادكم عما فعلتم فيما عرفتم، على سبيل المثال الجميع يعرفون أن النازيون الجديد في ألمانيا قاموا مئات المرات بضرب وقتل الأجانب، الأجانب بكل أشكالهم، أفارقة، آسيويون، عرب وغيرهم وهذا مع بداية القرن الحادي والعشرون. فماذا فعلتم ضد ذلك!

أنتم تعرفون أنه يتم اضطهاد وقتل وتعذيب الآلاف من الشباب في سنكم في كثير من دول العالم، يقتلون بسبب معتقداتهم أو بسبب قناعاتهم السياسية ويسجنون ويعذبون ويقتلون، فماذا فعلتم ضد ذلك!

أنتم تعرفون أنه في دول العالم الثالث، هناك الملايين من الناس كبار وأطفال ممن يموتون جوعاً، لا يمتلكون حذاءً، لم يذهبوا في حياتهم إلى المدرسة، أطفال يضطرون للعمل في طفولتهم، يشردون من بلادهم، فماذا ستفعلون ضد كل هذا، حتى تساعدون الجميع!

كل ما أتمناه أيها الشباب أن يكون بوسعكم أن تفعلوا شيئاً وتتجحوا فيه وتكونوا أفضل بكثير من الناس في جيلي وفي الأجيال السابقة.

أوزدوم يوليو ٢٠٠٤

obeikandi.com

المؤلفون في سطور

هانز مامزون: ولد عام ١٩٣٠ في مدينة ماجدبورج، ودرس التاريخ والأدب الألماني والفلسفة، عمل أستاذا للتاريخ الحديث في جامعة الرهور في مدينة بوخوم. أصبح في عام ١٩٧٧ مديرا لمعهد تاريخ الحركات العمالية وحركات المقاومة أثناء الفترة النازية. قدم في كتابة من دولية فاير إلى الدولة النازية دراسات تحليلية عن الدستور الداخلي للحكومة النازية وبين الكتاب البدائل السياسية والاجتماعية لحركة المقاومة أثناء حكم النازي.

هيلكه لورينتس: ولدت عام ١٩٦٢ ودرست التاريخ والأدب الألماني، وعملت صحفية ومديرة تحرير جريدة "زونتاج أكتوئل" الأسبوعية، صدر لها كتب "أطفال الحرب، قدر جيل بأكمله" وهو عمل عن الأطفال التي عايش الحرب العالمية الثانية.

ماريم برسلر: ولدت في عام ١٩٤٠، درست في أكاديمية الفنون في مدينة فرانكفورت، لها ثلاث أطفال، حصلت

على العديد من الجوائز في أدب الأطفال، لها العديد من الترجمات عن العبرية والهولندية واللغات الأفريقية والانجليزية، لها رواية بعنوان "مالكه ماي" عن فتاة صغيرة هربت من الحكم النازي لتعيش في مزرعة مع أسرة بولندية وتكافح من أجل البقاء على قيد الحياة.

أورزلا فوفل: ولدت عام ١٩٢١ في مدينة دوزبورج هامبورن ، مات أخوها في الحرب عام ١٩٣٩ في الجبهة البولندية، درست التاريخ والأدب الألماني، تزوجت عام ١٩٤٣ في مدينة لودس وأنجبت طفلة، لكن زوجها مات أثناء أسره في الحرب عام ١٩٤٥، تعمل منذ عام ١٩٦١ ككاتبة مستقلة وحصلت في عام ١٩٩١ على جائزة أدب الشاب عن أعمالها الكاملة.

هرمان فينكه: ولد عام ١٩٤٠ في مقاطعة نيدرزاكسن، ودرس التاريخ والعلوم الاجتماعية في مدينة هامبورج، عمل مراسلا للتلفزيون الألماني في اليابان وأيضاً مراسلاً صحفياً في العديد من الصحف الألمانية، حتى أصبح في عام ٢٠٠٠ رئيس تحرير راديو بريمن. له العديد من المؤلفات،

منها "حياة صوفي شول القصيرة" وحصل أيضا على العديد من الجوائز عن أدب الشباب.

هارموت فون هنتيج: ولد في مدينة بوزين ١٩٢٥ ، والده كان يعمل مديرا للنفصلية الألمانية هناك، عاش طفولته في العديد من الدول الأجنبية، أصبح جنديا ووقع في الأسر الأميركي في عام، درس علوم اللغات القديمة وقام بالتدريس في العديد من الجامعات الدولية الألمانية.

كارولا شتين: ولدت عام ١٩٢٥ في جزيرة أودوم، وكان أسمها أريكا أسموس، هربت في الخمسينيات من القرن السابق من ألمانيا الغربية إلى ألمانيا الشرقية، وحاولت مخبرات ألمانيا الشرقية اختطافها أكثر من مرة بعد ذلك، لهذا كتبت لمدة طويلة أعمالها بأسم كارولا شتين، عملت محررة في دور النشر ولإذاعة الفري دي آر في ألمانيا.

إنجه برودريزن: ولدت عام ١٩٥٠، درست التاريخ وعملت محررة في دار نشر روفولت في برلين، لها العديد من المؤلفات الناجحة عن فترة الحرب والحكم النازي وكتبت في

السياسة مثل كتاب " المستشار الألماني عند حمام
السباحة"، هي تعمل منذ وقت قصير كوكيلة أدبية مع
العديد من المؤلفين الألمان، ولنشر أعمالهم في صحيفة
"كافكا" التي تصدر في خمس دول مختلفة.